المُيَسَّر
فِي
توحيد العلم والخبر
والايمان بالقضاء والقدر

اكرم غانم اسماعيل تكاي

الإصدار الأول
١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م

نسخة مصححة
٦/ شعبان /١٤٣٧ هـ
١٣/ أيار /٢٠١٦ م

أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى
(٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥) سَنُقْرِئُكَ فَلَا
تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَى (٨) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠)
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَا (١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى
(١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ
هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)

(سورة الأعلى)

اللهم رَبِّ يَسِّرْ وأَعِنْ يا كَريم
اللهم رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي
وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران ١٠٢)
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً) (النساء ١)
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) (الأحزاب ٧٠و ٧١).[١]
أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

موضوع الكتاب

إن الإيمان بالقضاء والقدر جانب مهم من جوانب العقيدة الإسلامية؛ كيف لا وهو أحد أركان الإيمان، قال الرسول صلى الله عليه واله وسلم: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ **وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**).[٢]
وقد دلّ على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر نصوص قرآنية كثيرة، منها قوله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر ٤٩). وقال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) (الحديد ٢٢).
والإيمان بالقضاء والقدر يدخل ضمن توحيد الأسماء والصفات؛ إذ هو مبني على الإيمان بصفات الله كالعلم والقدرة والإرادة والخلق.
وكذا يدخل ضمن الإيمان بربوبية الله على خلقه (توحيد العلم والخبر)؛ إذ أن مَن آمَنَ بأن الله هو الخالق المدبر المتصرف في شؤون خلقه كلها، فهو مؤمن بقضائه وقدره.
والإيمان بالقضاء والقدر وربوبية الله تعالى يدخلان ضمن توحيد الأسماء والصفات، وذلك أن (الرب) اسم من أسماء الله تعالى، والربوبية والقدرة والعلم والإرادة والخلق من صفات الله تعالى العليا.

أصل الكتاب

إن أصل الكتاب الذي بين يديك هو: (سبيل الرشاد في توحيد الربوبية والايمان بالقضاء والقدر)، الذي سبق نشره على الشبكة العنكبوتية في مواقع تهتم بنشر عقيدة السلف الصالح. وقد تم تداوله في المنتديات ذات العلاقة. فجزى الله خيرا كل من قرأ الكتاب، وتواصل معي لمناقشة مسألة أو تصويبها أو ابداء رأي أو نصيحة.

[١] هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمها أصحابه، وكان السلف الصالح يقدمونها بين يدي دروسهم وكتبهم ومختلف شؤونهم. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ص٢٨ للشيخ الألباني، وخطبة الحاجة له، وهي رسالة لطيفة جمع فيها طرق الحديث وألفاظه، نشرها المكتب الإسلامي – زهير الشاويش.
[٢] رواه مسلم في صحيحه -باب مَعْرِفَةِ الإِيمَانِ وَالإِسْلاَمِ وَالْقَدَرِ وَعَلاَمَةِ السَّاعَةِ.

وجزى الله خير الجزاء لكل من أرسل ملاحظاته الخطية [٣] عبر البريد الالكتروني حول مسائل البحث، أو ساعدني بتوفير مصادر جديدة للموضوع، الامر الذي جعلني أعيد النظر في الموضوع آخذاً بنظر الاعتبار المستجدات وإصدار الكتاب بمشيئة الله تعالى بصورة أفضل.
وليتبين للقارئ الكريم الإضافات والتعديلات المهمة ارتأيت أن يكون الإصدار الجديد بعنوان جديد لتسهيل التعرف عليه في الشبكة العنكبوتية تمييزاً له عن الكتاب السابق، وقد وَسَمتُه بـ:

المُيَسَّر
فِي
توحيد العلم والخبر [٤]
والايمان بالقضاء والقدر

وقد يلْحظُ القارئُ تكراراً لبعض المعاني في مباحث الكتاب، وقصدتُ من ذلك تثبيت الفكرةُ بأكثر من طرحٍ، فاقتضى التنبيه.
ولا يفوتني في هذا المقام أن أسأل الله تعالى أن يجزي خيرا كل من أعان على إكمال هذا العمل بقلم أو رأي أو نصح، أو جمع، أو مراجعة وتدقيق.
اللهم إني أعوذ بك ان أشرك بك وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم.
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين. [٥]

وكتبه
اكرم غانم إسماعيل تكاي
٢٧ جمادى الاولى ١٤٣٧هـ
٧ آذار ٢٠١٦م

---

[٣] واهمها في مسألة التقديرات الالهية، وانواع الارادة الالهية.
[٤٤] قلت: أي توحيد الربوبية.
[٥] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (وددت أنا قد رأينا إخواننا، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد). رواه مسلم عن أبي هريرة، وغيره بلفظ: (إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني)، وهو مخرج في السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني برقم / ٢٩٢٧.

الباب الاول
توحيد العلم والخبر

الباب الاول
الفصل الاول
التوحيد

علم التوحيد

(علم التوحيد يبحث عما يجب لله من صفات الجلال والكمال، وما يستحيل عليه من كل ما لا يليق به، وما يجوز من الأفعال، وعما يجب للرسل والأنبياء، وما يستحيل عليهم، وما يجوز في حقهم، وما يتصل بذلك من الإيمان بالكتب المنزلة، والملائكة الأطهار، ويوم البعث والجزاء، والقدر والقضاء، وفائدته تصحيح العقيدة، والسلامة في العواقب، ونيل السعادة في الدارين). [٦]

(إنَّ علم التوحيد أشرفُ العلوم، وأجلُّها قدرًا، وأوجبُها مطلبًا؛ لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى، وأساس شرائعه.

ولذا؛ أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قال الله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء ٢٥). وشهد لنفسه تعالى بالوحدانية، وشهد بها له ملائكته، وأهل العلم، قال الله تعالى: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (آل عمران ١٨).

ولما كان هذا شأن التوحيد؛ كان لزامًا على كل مسلم أن يعتني به تعلُّمًا، وتعليمًا، وتدبُّرًا، واعتقادًا؛ ليبني دينه على أساس سليم، واطمئنان، وتسليم، يسعدُ بثمراته، ونتائجه). [٧]

و(من خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة: التوقيفية؛ وتعني الاعتماد على الكتاب والسنة في تلقي العقيدة بفهم الصحابة، والتسليم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعرض لنصوص الوحيين بتحريف، أو تأويل، أو تعطيل، أو تكييف، أو تمثيل، واعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد، وسد باب الابتداع والإحداث في الدين) و(أما أنواع أدلته المرضية فهي: صحائح المنقول، والاجماع المتلقى بالقبول، والعقل السليم، والفطرة السوية). [٨]

منزلة علم التوحيد

(إن منزلة علم التوحيد عظيمة، ومما يدل على شرف هذا العلم:

أولاً: أنه أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما من نبي إلا قال لقومه: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (المؤمنون ٢٣)، (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً) (الأعراف ٨٥)، (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) (الأعراف ٧٣).

ثم إنه أول واجب على المكلف، فأول ما يجب على المكلف هو توحيد الله تعالى، بل هو أول ما يدخل به الإنسان إلى الإسلام، فلا يدخل الإنسان إلى الإسلام إلا بتوحيد الله تعالى، ولذلك نقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله) [٩] بدأ بقضية التوحيد، مما يدل على عظم منزلته، وأنه أول ما يدخل به الإنسان إلى الإسلام.

---

[٦] مذكرة التوحيد / الشيخ عبد الرزاق عفيفي (المتوفى ١٤١٥هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ. ص ٤.

[٧] نبذة في العقيدة الإسلامية (مطبوع ضمن كتاب الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين) / الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م. ص٢٩.

[٨] طريق الهداية - مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة / الاستاذ محمد يسري، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م/ باختصار ص٥١٣ -٥١٨.

[٩] صحيح البخاري/٣٩٢، صحيح مسلم/٢٠ و٢١.

قالوا: إنه أول منازل الطريق والسير إلى الله تعالى، ومن سار إلى الله بغير توحيد فلن يعرف الطريق ولم يسر إلى الله حق السير.

ثانياً: ومن منزلة التوحيد كذلك أنه الحياة لكل إنسان، ولا حياة للمسلم أبداً إلا بتوحيد الله تعالى، والله قد ذكره في كتابه: (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) (الأنعام ١٢٢) أي حياة تلك إلا بوقور لا إله إلا الله في قلبه، والعمل بمقتضاه، مما يدل على أن للتوحيد منازل عليا.

ثالثاً: ومن منزلة التوحيد أنه جعل نوراً يضيء القلوب (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ) (الشورى ٥٢) وأعظم ما يُهدى إليه الإنسان وينور قلبه به هو توحيد الله تعالى، ولذلك تعتبر قلوب أهل الكفر والشرك مظلمة، أما قلوب أهل الإيمان والتوحيد مضاءة أشد من ضوء الشمس؛ لأنهم يبصرون بتوحيد الله تعالى، ويحصل لهم السعادة في الدنيا والآخرة.

رابعاً: ومن منزلة التوحيد أن الإنسان لا يستغني عنه طرفة عين، وسبحان ربي! إن الإنسان ليتأمل الصلوات، يصلي الفجر وليس علينا صلاة بعدها إلا وقت الظهر وهكذا، والصيام يمر في العام مرة، والحج وهكذا العبادات، لكن توحيد الله لا نستغني عنه طرفة عين، فما نقول: هذا الوقت ليس عندنا توحيد فيه ولا نحتاج إليه أبداً، بل يصبح التوحيد مع الإنسان منذ أن يدخل في دين الله تعالى إلى أن يودع هذه الدنيا وتوحيد الله معه كاملاً.

خامساً: ومن منزلة التوحيد أنه آخر ما يودع به الإنسان الدنيا، ولقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة) [١٠] دل على أن بدايتك توحيد ونهايتك توحيد، بل كل أجزاء حياتك هي توحيدٌ لله تعالى، وأعظم دليل على ذلك قول الله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لَهُ) (الأنعام ١٦٢-١٦٣) حياتك كلها لله، وهكذا وفاتك يجب أن تكون لله؛ ليصبح الإنسان جل وقته وحياته هو لله تعالى.

سادساً: قيل: إن التوحيد من منزلته أنه شفاء، كم نجد ممن دخل في دين الله تعالى كان التوحيد شفاء لقلوبهم، نسمع من كثير ممن أسلم سبب توحيده أنه لم يجد في عقائده التي كان عليها شفاء لما في قلبه، ولا إجابة لأسئلة ملحة عليه إلا في توحيد الله تعالى، فالحمد لله على هذا التوحيد). إهـ [١١]

---

[١٠] سنن أبي داود/ ٣١١٦ عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة.)، وصححه الشيخ الألباني في سنن أبي داود.

[١١] باختصار من شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية/ عمر بن سعود بن فهد العيد – الدرس الثالث، المصدر: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net

تعريف التوحيد

التوحيد في اللغة

التوحيد لغة مصدر وحد يوحد، أي جعل الشيء واحداً.

(ووَحَّدَه تَوْحِيداً: جعلَه وَاحِداً)[12]

(والتَّوْحِيدُ: الإيمانُ بِاللهِ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ. (وَاللهُ) الوَاحِدُ الأَوْحَدُ الأَحَدُ والمُتَوَحِّدُ ذُو الوَحْدَانِيَّةِ)[13].

(وَفِي التَّهْذِيب: وأَما قولُ الناسِ تَوَحَّدَ الله بالأَمْرِ وتَفَرَّدَ، فإنه وإِن كَانَ صَحِيحا فإِني لَا أُحِبّ أَن أَلْفِظَ بِهِ فِي صِفَةِ الله تَعَالَى فِي المَعْنَى إِلاَّ بِمَا وَصَفَ به نَفْسَه فِي التَّنْزِيلِ أَو فِي السُّنَّةِ، وَلم أَجِد المُتَوَحِّدَ فِي صِفَاتِه وَلَا المُتَفَرِّدَ، وإِنّمَا نَنْتَهِي فِي صِفَاته إِلى مَا وَصَفَ بِهِ نَفسَه وَلَا نُجَاوِزُهُ إِلى غيرِه لمَجَازِه فِي العَرَبِيَّةِ.)[14]

(التَّوْحِيدُ تَوْحِيدَانِ: تَوْحِيد الرُّبُوبِيَّة، وتَوْحِيدُ الإِلاهيَّة.

فصاحِبُ تَوْحِيد الرَّبَّانِيَّةِ يَشْهَد قَيُّومِيَّةَ الرَّبِ فَوْقَ عَرْشِهِ يُدَبِّرُ أَمْرَ عِبَادِه وَحْدَه، فَلَا خالِقَ وَلَا رَازِقَ وَلَا مُعْطِيَ وَلَا مَانِعَ وَلَا مُحْيِيَ وَلَا مُمِيتَ وَلَا مُدَبِّرَ لأَمْرِ المَمْلَكَةِ ظَاهِراً وباطِناً غيرُه، فَمَا شاءَ كانَ، وَمَا لم يَشَأْ لم يَكُنْ، وَلَا تَتَحَرَّكُ ذَرَّةٌ إِلاَّ بإِذْنِه، وَلَا يَجُوز حادِثٌ إِلا بِمَشِيئَتِه، وَلَا تَسْقُط وَرَقَةٌ إِلاَّ بِعِلْمِه، وَلَا يَعْزُب عَنهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّماواتِ وَلَا فِي الأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذلك وَلَا أَكْبَرُ إِلاَّ وَقد أَحْصَاهَا عِلْمُه، وأَحاطتْ بهَا قُدْرَتُه، ونَفَذَتْ فِيهَا مَشِيئَتُه، واقْتَضَتْهَا حِكْمَتُه.

وأَمّا تَوْحِيدُ الإِلاهِيَّة، فَهُوَ أَن يُجْمِعَ هِمَّتَه وقَلْبَه وعَزْمَه وإِرادَتَه وحَرَكاتِه على أَداءِ حَقِّه، والقيامِ بِعُبُودِيَّتِه.)[15]

التوحيد في الاصطلاح

التوحيد هو: (إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به).[16]

أو (إفراد الله بما تفرد به، وبما أمر أن يفرد به؛ فنفرده في ملكه وأفعاله فلا رب سواه ولا شريك له، ونفرده في ألوهيته فلا يستحق العبادة إلا هو، ونفرده في أسمائه وصفاته فلا مثيل له في كماله ولا نظير له.) [17]

أو (الاعتقاد والشهادة بأن الله سبحانه وتعالى منفرد بذاته وصفاته وربوبيته وإلهيته وعبادته لا شريك له في ذلك كله).[18]

وعليه فيمكن تعريف التوحيد بأنه: إفراد الله بالربوبية، وماله من الأسماء والصفات، والإخلاص له في الألوهية والعبادة.

ومن الأسماء المعتبرة لعلم التوحيد عند أهل السنة والجماعة: العقيدة، والإيمان، والسنة، وأصول الدين، والشريعة، والفقه الأكبر.

---

[12] تاج العروس من جواهر القاموس / محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى ١٢٠٥هـ) تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ،٩/٢٦٦.

[13] المصدر السابق ٩/٢٦٨.

[14] المصدر السابق ٩/٢٧٣.

[15] المصدر السابق ٩/٢٧٦.

[16] شرح ثلاثة الأصول / الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص٣٩. دار الثريا للنشر، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

[17] المفيد في مهمات التوحيد/ الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، دار الاعلام، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ص ٤٧.

[18] جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية / أبو عبد الله شمس الدين بن محمد بن أشرف بن قيصر الأفغاني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، دار الصميعي، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م،١/ ٩٣. (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه من الجامعة الإسلامية).

الدليل على التوحيد من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة

دلَّت نصوص الكتاب والسنة على التوحيد، وأنَّ الله واحدٌ في ربوبيته، واحدٌ في إلهيته، واحدٌ في أسمائه وصفاته، وقد اجتمعت في قوله تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً) (مريم ٦٥).

- (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ **وَحْدَهُ** وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (الأعراف ٧٠).
- (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ **وَحْدَهُ** وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) (غافر ٨٤).
- (حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ **وَحْدَهُ**) (الممتحنة ٤)

وفي السنة النبوية الشريفة:

- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث معاذ: (لَمَّا بَعَثَ النبي صلى الله عليه وسلم مُعَاذًا نَحْوَ الْيَمَنِ قَالَ لَهُ « إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى **أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى** فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلُّوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً في أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ) [19]، فقد أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يبلغهم قبل كل شيء عقيدة التوحيد، وأن يعرفهم بالله عز وجل، وما يجب له وما ينزه عنه، فإذا عرفوه تعالى بلغهم ما فرض الله عليهم.
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ **وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى**، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ). [20]
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بِأَنْ **يُوَحَّدَ اللهُ** وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ). [21]
- عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يعذب ناس من **أَهْلِ التوحيد** في النار، حتى يكونوا فيها حمما، ثم تدركهم الرحمة، فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة، قال: فيرش عليهم أهل الجنة الماء، فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل، ثم يدخلون الجنة) [22]
- عن عبد الله: أن رجلاً لم يعمل من الخير شيئاً قطُّ إلا **التوحيد**، فلما حضرتْه الوفاةُ قال لأهله: إذا أَنا مُت فخذوني، واحرقوني حتى تدَعُوني حُمَمَةً، ثم اطْحَنُوني، ثم اذْرُوني في اَلبحر في يومٍ راحٍ، قال: ففعلوا به ذلك، قال فإذا هو في قبضة الله، قال: فقال الله عز وجل له: ما حملك على ما صنعتَ؟، قال: مخافتُك، قال: فغفر الله له). [23]وفي رواية: (قال: أي ربِّ من مخافتك، قال: فَغَفر له بها، ولم يعمل خيرا قط إلا **التوحيد**). [24]
- قال جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه: (فَأَهَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم **بِالتَّوْحِيدِ** (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ).
- (وعن الحارث بن الحارث الغامدي قال: قلت لأبي ونحن بمنى: ما هذه الجماعة؟ قال: هؤلاء القوم قد اجتمعوا على صابئ لهم قال: فنزلنا (وفي رواية: فتشرفنا) فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى

---

[19] رواه الامام البخاري /٦٩٣٧.

[20] رواه الامام احمد في المسند ١٥٨٧٥، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[21] رواه الامام احمد في المسند ١٧٠١٩، قال محققو المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[22] قال الألباني في السلسلة الصحيحة/ الحديث ٢٤٥١: أخرجه أحمد (٣/٣٩١) والترمذي (٢٦٠٠): وهو على شرط مسلم.

[23] رواه الامام احمد في المسند، وقال احمد محمد شاكر في تخريجه للمسند ٣٧٨٥: إسناده صحيح، وهو في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٤) ونسبه للمسند وحسن إسناده.

وقال الارناؤوط في تحقيقه للمسند مع اخرون ٣٧٨٥: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن من أجلِ عاصم، وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

[24] رواه الامام احمد عن ابي هريرة، قال احمد محمد شاكر في تخريج المسند ٨٠٢٧: هو بإسنادين:

أولهما: من حديث أبي هريرة، وهو إسناد صحيح متصل.

والثاني: مرسل عن الحسن وابن سيرين، فهو ضعيف لإرساله.

وكذا قال الارناؤوط في تحقيق المسند ٨٠٤٠.

توحيد الله والإيمان به وهم يردون عليه قوله ويؤذونه حتى انتصف النهار وتصدع عنه الناس وأقبلت امرأة قد بدا نحرها تبكي تحمل قدحًا فيه ماء ومنديلًا فتناوله منها وشرب وتوضأ ثم رفع رأسه إليها فقال: (يا بنية خمري عليك نحرك ولا تخافي على أبيك غلبة ولا ذلا)، قلت: من هذه؟ قالوا: هذه زينب بنته)).[٢٥]

أقسام التوحيد

التوحيد الذي ورد في الكتاب والسنة هو:

١/ توحيد يتعلق بتنفيذ خبر الله تعالى:

١. التوحيد في الاسماء والصفات والافعال.
٢. التوحيد في العلم والخبر (القولي).
٣. التوحيد في المعرفة والاثبات.
٤. التوحيد في الوسيلة.
٥. التوحيد العلمي.
٦. التوحيد الخبري.
٧. التوحيد الاعتقادي.

٢/ توحيد يتعلق بتنفيذ أوامر الله تعالى:

١. التوحيد في الالوهية.
٢. التوحيد في العبادة.
٣. التوحيد في القصد والطلب.
٤. التوحيد في الارادة.
٥. التوحيد في الشرع والقدر.
٦. التوحيد في الغاية.
٧. التوحيد العملي.

ومِنَ العلماء مَن قسَّم التوحيد إلى قسمين اثنين (إجمالا) هما:

١-التوحيد العلمي الخبري: ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.
٢-التوحيد الإرادي الطلبي: والمراد به توحيد الألوهية.

ومنهم: من قسمه إلى قسمين أيضًا بمسميين آخرين:

١-توحيد المعرفة والإثبات: ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.
٢-توحيد القصد والطلب: ويراد به توحيد الألوهية.

ومنهم من قسمه إلى قسمين آخرين:

١-التوحيد القولي: ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.
٢-التوحيد العملي: ويراد به توحيد الألوهية.

ومنهم من قسمه إلى قسمين آخرين:

١-توحيد السيادة: ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.
٢-توحيد العبادة: ويراد به توحيد الألوهية.

(فالأول: هو حقيقة ذات الرب تعالى، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وعلوه فوق سماواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جد

---

[٢٥] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١/ ٢٤٥/ ٢، وابن عساكر في تاريخ دمشق٤/ ٤٦-١/ ٢٤٣-١، والزيادات له، وقال: رواه البخاري في: التاريخ مختصرًا، وأبو زرعة، وقال: هذا الحديث صحيح. إهـ نقلا عن: جلباب المرأة المسلمة – ص٧٩ / الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، دار السلام للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢ م.

الإفصاح. كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة (تنزيل) السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.
النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة (قل يا أيها الكافرون) (الكافرون ١) وقوله: (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) (آل عمران ٦٤)، وأول سورة (تنزيل الكتاب) وآخرها، وأول سورة يونس ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد).[٢٦]

ومنهم من قسمه إلى ثلاثة أقسام (تفصيلا) وهم:

١-توحيد الربوبية.

٢-توحيد الألوهية.

٣-توحيد الأسماء والصفات.

وعلموا ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، فوجدوا أن التوحيد لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة، قال تعالى: (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (مريم ٦٥). وقد جاء هذا التقسيم (في عبارات المتقدمين من أئمة الحديث والأثر، فجاء عند أبي جعفر الطبري في تفسيره وفي غيره من كتبه، وفي كلام ابن بطة، وفي كلام ابن منده، وفي كلام ابن عبد البر، وغيرهم من أهل العلم من أهل الحديث والأثر، خلافاً لمن زعم من المبتدعة أنَّ هذا التقسيم أحدثه ابن تيمية، فهذا التقسيم قديم يعرفه من طالع كتب أهل العلم التي ذكرنا).[٢٧]

قال الامام الطحاوي في متن العقيدة الطحاوية: (وَلا شيءَ مثْلُهُ، وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ، وَلا إلهَ غَيْرُهُ).
(فقوله: (وَلا شيءَ مثْلُهُ) راجعٌ إلى توحيد الأسماء والصفات والأفعال.
وقوله: (وَلا شَيْءَ يُعْجِزُهُ) راجع أو مُثْبِتٌ لتوحيد الربوبية.
وقوله: (وَلا إلهَ غَيْرُهُ) مثبتٌ لتوحيد العبادة والألوهية).[٢٨]

---

[٢٦] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ال متوفى٧٥١هـ)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م، ٣/٤١٨.

[٢٧] شرح العقيدة الطحاوية / الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة الاصدار ٣,٤٨.
قلت: انظر التوحيد لابن منده بتحقيق د. علي الفقيهي ص ٣٣ وما بعدها، وتفسير الطبري الأعراف/ ٦٦ والنحل/ ٦٣، وتاج العروس للزبيدي باب الدال المهملة – فصل الواو مع الدال المهملة (وحد) ج ٩/ ص ٢٧٦، وأضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٣/ ٤١٠)، تجد الإشارة إلى هذا التقسيم.

[٢٨] شرح العقيدة الطحاوية / الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة الاصدار ٣,٤٨.

تعريف الاقسام الثلاثة

١/ توحيد الربوبية: وهو توحيد الله بأفعاله سبحانه[٢٩]، فلا خالق إلا الله، كما قال تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (الزمر ٦٢)، ولا مالك الا الله، كما قال الله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الملك ١) ولا مدبر إلا الله، كما قال تعالى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ) (السجدة ٥)، ولا رازق إلا الله، كما قال تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (هود ٦)، ولا محيي ولا مميت إلا الله، كما قال تعالى: (هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (يونس ٥٦).

وهذا النوع قد أقر به الكفار على زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يدخلهم في الإسلام، وقال الله تعالى فيهم: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (لقمان ٢٥).

وقال تعالى: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ) (المؤمنون ٨٦و٨٧).

وإقرار المشرك بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله، ولا يصير الرجل بمجرده مسلمًا فضلاً عن أن يكون وليًا لله أو من سادات الأولياء إن لم يقترن به إقراره بأن لا إله إلا الله فلا يستحق العبادة إلا هو وأن محمدًا رسول الله.

٢/ توحيد الألوهية: وهو توحيد الله بأفعال العباد التي أمرهم بها، فتصرف جميع أنواع العبادة لله وحده لا شريك له، مثل الدعاء والخوف والتوكل والاستعانة والاستعاذة وغير ذلك، فلا ندعو إلا الله، كما قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (غافر ٦٠)، ولا نخاف إلا الله، كما قال تعالى: (إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (آل عمران ١٧٥)، ولا نتوكل إلا على الله، كما قال تعالى: (قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (المائدة ٢٣)، ولا نستعين إلا بالله، كما قال تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة ٥)، ولا نستعيذ إلا بالله، كما قال تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) (الناس ١).

وهذا النوع من التوحيد هو الذي جاءت به الرسل عليهم السلام، حيث قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل ٣٦). وقد أنكره الكفار قديماً وحديثاً، قال تعالى: (أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) (ص ٥).

---

[٢٩] أم بمعنى آخر: افراد الله تعالى بالخلق والقدرة والتقدير، وإفراد الله تعالى بالحكمة والتدبير. المصدر: دورة منة القدير للرضواني – محاضرة ٦، دروس صوتية من دار العقيدة المصرية.

الفروق بين توحيد الربوبية والالوهية

الفرق من حيث	توحيد الربوبية	توحيد الالوهية
الاشتقاق	مشتقة من اسم الله تعالى: الرب	مشتقة من اسم الله تعالى: الإله
التعلق	متعلق الربوبية بالأمور الكونية القدرية كالخلق والرزق	متعلق الألوهية بالأمور الشرعية من الأوامر والنواهي
الإقرار	أقر به المشركون	جحدوه ورفضوا الإقرار به
المدلول	مدلوله علمي خبري	مدلوله عملي
الاستلزام والتَضَمُّن	يستلزم توحيد الألوهية	يتضمن توحيد الربوبية
الحكم	من أقر بتوحيد الربوبية فقط فإن هذا الإقرار لا يُدخل صاحبة إلى الإسلام	من أقر بتوحيد الألوهية فإن هذا الإقرار يُدخل صاحبه في الإسلام
المعنى	توحيد الربوبية يعني توحيد الله تعالى بأفعاله	توحيد الألوهية يعني توحيد الله بأفعال عباده
الخبر والأمر	تصديق الخبر الدائر بين النفي والاثبات	الانقياد للشرع أو تنفيذ الأمر الدائر بين الإرادة والمحبة، وبين الكراهة والبغض نفياً واثباتاً

٣/ توحيد الأسماء والصفات: وهو الإيمان بكل ما ورد في الكتاب والسنة الثابتة من اسماء الله وصفاته التي وصف الله بها نفسه أو وَصَفَه بها رسوله صلى الله عليه واله وسلم على الحقيقة. ويتضمن إثبات نعوت الكمال لله بإثبات أسمائه الحسنى وما تتضمنه من صفاته عليا.

فمن أسماء الله تعالى الثابتة في الكتاب والسنة:

الرحمن: ويتضمن صفة الرحمة.

والسميع: ويتضمن صفة السمع.

والعزيز: ويتضمن صفة العزة.

والحكيم: ويتضمن صفة الحكمة.

والقدير: يتضمن صفة القدرة.

قال تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (طه ٨)، وقال عز وجل: (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (الشورى ١١)، وقال سبحانه: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۞ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (الحشر٢٢-٢٤).

(فأقسام التوحيد هي هذه الثلاثة، وليس هناك قسم رابع، كما يقول بعض الناس: توحيد الحاكمية، وبعضهم يأتي بقسم خامس ويقول: توحيد المتابعة، فتكون أقسام التوحيد خمسة: توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية، وتوحيد العبادة، وتوحيد الحاكمية، وتوحيد المتابعة، فهذا لا معنى له؛ لأن توحيد المتابعة داخل في توحيد

الإلهية، وتوحيد الحاكمية داخل في توحيد الربوبية، لأن الرب جل وعلا هو الذي يحكم بين خلقه، وهو الذي يشرع ويأمر وينهى عباده، فإذا انصرف الإنسان إلى شارع آخر ومحكم آخر فإنه أشرك في توحيد الربوبية، والشرك في توحيد الربوبية يستلزم الشرك في توحيد الإلهية). إهـ [٣٠]

العلاقة بين أقسام التوحيد

(هذه الأقسام تشكل بمجموعها جانب الإيمان بالله الذي نسميه التوحيد فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة، فهي متكافلة متلازمة يكمل بعضها بعضًا، ولا يمكن الاستغناء ببعضها عن الآخر، فلا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصح ولا يقوم توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله في ربوبيته وألوهيته لا يستقيم بدون توحيد الله في أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أي نوع منها هو خلل في التوحيد كله. فمعرفة الله لا تكون بدون عبادته، والعبادة لا تكون بدون معرفة الله، فهما متلازمان). وقد أوضح بعض أهل العلم هذه العلاقة بقوله: (هي علاقة تلازم وتضمن وشمول).

فتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية.

وتوحيد الأسماء والصفات شامل للنوعين معًا.

بيان ذلك:

أن من أقر بتوحيد الربوبية وعلم أن الله سبحانه هو الرب وحده لا شريك له في ربوبيته لزمه[٣١] من ذلك الإقرار أن يفرد الله بالعبادة وحده سبحانه وتعالى، لأنه لا يصلح أن يعبد إلا من كان ربا خالقًا مالكًا مدبرًا، وما دام كله لله وحده وجب أن يكون هو المعبود وحده.

ولهذا جرت سنة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مقرونة بآيات الدعوة إلى توحيد الألوهية، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢١و٢٢).

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية، لأن من عبد الله ولم يشرك به شيئًا فهذا يدل ضمنًا على أنه قد اعتقد بأن الله هو ربه ومالكه الذي لا رب غيره.

وهذا أمر يشاهده الموحد من نفسه، فكونه قد أفرد الله بالعبادة ولم يصرف شيئًا منها لغير الله، ما هو إلا لإقراره بتوحيد الربوبية وأنه لا رب ولا مالك ولا متصرف إلا الله وحده.

وأما توحيد الأسماء والصفات فهو شامل للنوعين معًا، وذلك لأنه يقوم على إفراد الله تعالى بكل ما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى التي لا تنبغي إلا له سبحانه وتعالى، والتي من جملتها:

الرب – الخالق – الرازق - الملك، وهذا هو توحيد الربوبية.

ومن جملتها:

الله - الغفور- الرحيم - التواب، وهذا هو توحيد الألوهية [٣٢]). [٣٣]

---

[٣٠] شرح كتاب التوحيد / الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية -رقم الدرس ٣. http://www.islamweb.net.

[٣١] اللازم هنا قد يتخلف كما هو الحال في كفار قريش، فهم يقرون بتوحيد الربوبية كما دلت على ذلك النصوص، ولكنهم لم يحققوا اللازم من إقرارهم بتوحيد الربوبية

[٣٢] انظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية للشيخ عبد العزيز السلمان ص ٤٢١-٤٢٢.

[٣٣] معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات / الشيخ محمد بن خليفة بن علي التميمي -أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ -١٩٩٩م. ص ٤٠-٤٢.

وقد سئل فضيلة الشيخ أبو عبد المعزّ محمَّد علي بن بوزيد بن علي فركوس القُبِّي، عن العلاقة التلازمية بين أنواع التوحيد: [٣٤]

فأجاب: الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على مَنْ أرسله اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصَحْبِهِ وإخوانِه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد:

فاعلم أنَّه لا يكمل لأحد توحيدُه إلاَّ باجتماعِ أنواعِ التوحيدِ الثلاثةِ وهي: توحيدُ الربوبيةِ، والأسماءِ والصفاتِ، والألوهيةِ، فلا ينفعُ توحيدُ الربوبيةِ بدونِ توحيدِ الألوهيةِ، ولا يقومُ توحيدُ الألوهيةِ بدونِ توحيدِ الربوبيةِ، ولاَ يَسْتَقيمُ تَوحيدُ الله في رُبُوبيتِهِ وأُلُوهِيَتِهِ بِدُونِ توحيدِه في أسمائِه وصفاتِه [٣٥]، فهذِه الثلاثةُ متلازِمَةٌ يُكَمِّلُ بعضُهَا بعضًا، ولا يَسَعُ الاستِغْنَاءُ بِبعضِها عن البعْضِ الآخرِ، فالعلاقَةُ الرابطةُ بينَ هذِه الأقسامِ هي علاقةُ تلازُمٍ وتضمُّنٍ وشُمُولٍ.

وتوحيدُ الربوبيةِ يستلْزِمُ توحيدَ الألوهيةِ، ومَعْنى ذلكَ أنَّ تَوحيدَ الألوهيةِ خَارجٌ عَن مَدلُولِ توحيدِ الربوبيةِ، فلا يتحَقَّقُ توحيدُ الربوبيةِ إلاَّ بتوحيدِ الألوهيةِ، أي: أنَّ تَوحيدَ الربُوبيةِ لا يُدْخِل مَنْ آمن به في الإسْلاَمِ، بِخلافِ تَوْحِيدِ الأُلُوهِيةِ فَإِنَّه يَتَضمَّنُ تَوْحيدَ الربوبيةِ[٣٦]، أي: أنَّ توحيدَ الربوبيةِ جزْءٌ مِن معنى توحيدِ الأُلُوهيةِ فالإيمانُ بتوحيدِ الأُلُوهيةِ يُدْخِلُ في الإسلامِ.

فيتقَرَّرُ عِنْدئذٍ أنَّ توْحيدَ الربُوبيةِ عِلْمِيٌّ اعْتِقَادِيٌّ، وتَوحِيدُ الأُلوهيةِ عَمَلِيٌّ طَلَبِيٌّ، والعمليُّ متضَمِّنٌ للعِلْمِيّ؛ ذلك لأنَّ متعلّقاتِ الربوبيةِ الأمورُ الكونيةُ، كالخلقِ والرّزقِ، والتدبيرِ والإحياءِ، والإمَاتَةِ وغيرِ ذلكِ، بينَمَا مُتعلّقَاتُ تَوحِيدِ الأُلُوهِيةِ الأوامِرُ والنواهِي، فإذَا عَلِم العَبْدُ أنَّ الله ربُّهُ لا شَرِيكَ لَه في خَلْقِه وأسمائِه وصفاتِه ترتَّبَ عنه أن يعمَلَ عَلى طاعتِه وامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نواهِيهِ، أي: يعْمَلُ عَلَى عبادتِه [٣٧]، ومنهُ يُفْهَم أنَّ عبادَةَ اللهِ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ هِي نتيجةٌ لاعترافٍ أَوَّليٍّ بأنَّه لا ربَّ غيرُ الله يُشْرِكهُ في خلْقِهِ وأَمْرِه، أي: تَعلّقُ القَلْبِ ابتداءً بتوحيدِ الربوبيةِ ثمَّ يَرتَقِي بعدهَا إلى توحيدِ الألوهيةِ، ولهذا قال ابنُ القيِّم: (والإلهية التي دعت الرسل أُممَهم إلى توحيد الربِّ بها هي العبادة والتأليه، ومن لوازمها توحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون فاحتجَّ الله عليهم به، فإنَّه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية)، [٣٨] ومعنى كلامِ ابن القيّمِ أنَّ الله تعالى احتَجَّ على المشْرِكينَ بتوحِيدِ الربوبيةِ عَلى توحيدِ الألوهيةِ والعبادةِ ولا العكسُ، ومنْهُ يُفْهمُ – أيضًا - أنَّ توحيدَ الربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ وحدهُ لا يكفِي لإدْخَالِ صاحبِه في الإسلامِ ولا يُنْقِذُه من النَّارِ، ولا يَعْصِمُ مالَه ودَمَهُ إلاَّ بتوحِيدِ الألوهيةِ والعبادةِ.

أمَّا توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ فهو شَاملٌ للنوعينِ معًا (توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية)؛ وذلك لأنَّه يقومُ على إفرادِ الله تعالى بكلِّ مَا لَهُ منَ الأسماءِ الحسْنَى والصِّفاتِ العُلَى التي لا تُبْتَغَى إلاَّ لهُ سبحانَه، والتي من جُمْلتِها: الربُّ، الخالقُ، الرَّازِقُ، الملِكُ وهذا هو توحيدُ الربوبيةِ، وكذلِك من جُمْلتِها: الله، الغفُورُ، الرَّحيمُ، التوَّابُ، وهذا توحيد الألوهيةِ. [٣٩]

والعلمُ عند اللهِ تعالى، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصَلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وإخوانِه إلى يوم الدِّين، وسلَّم تسليمًا). إهـ [٤٠]

---

[٣٤] الفتوى رقم: ٩٠٦/ الصنف: فتاوى العقيدة والتوحيد / في العلاقة التلازمية بين أنواع التوحيد.
السؤال: هل من تفصيلٍ في العلاقة بين توحيدِ الربوبية وتوحيدِ الألوهية وكذا توحيد الأسماء والصفات؟

[٣٥] (الكواشف الجلية) للسلمان: (٤٢٢).

[٣٦] (شرح العقيدة الطحاوية) لابن أبي العزّ: (٤١/١).

[٣٧] انظر المصدر السابق: (٤٢/١)، (دعوة التوحيد) لهراس: (٨٣، ٨٤).

[٣٨] (إغاثة اللهفان): (١٣٥/٢).

[٣٩] (الكواشف الجلية) للسلمان: (٤٤٢)، (دعوة التوحيد) لهراس: (٨٤).

[٤٠] تاريخ الفتوى: الجزائر في: ١٤ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ/ الموافق لـ: ١٩ مـاي ٢٠٠٨م. الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ أبو عبد المعزّ محمَّد علي بن بوزيد بن علي فركوس القُبِّي، نسبةً إلى القُبَّة القديمة بالجزائر (العاصمة) التي وُلد فيها بتاريخ: ٢٩ ربيع

التوحيد أول الدين وآخره

(التوحيد أول الدين وآخره فأول ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم شهادة أن لا إله إلا الله وقال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله) [٤١]، (وقال لمعاذ: إنك تأتي قوما أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) [٤٢] وختم الأمر بالتوحيد فقال في الصحيح من رواية مسلم عن عثمان: (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)، وفي الحديث الصحيح من رواية مسلم عن أبي هريرة (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) [٤٣]، وفي السنن من حديث معاذ (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) [٤٤]. وفي المسند (إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حين الموت إلا وجد روحه لها روحا)[٤٥] وهي الكلمة التي عرضها على عمه عند الموت).[٤٦] فإن عقيدة التّوحيد هي أساس الدين، وكل الأوامر والنواهي والعبادات والطاعات كلها مؤسسة على عقيدة التّوحيد، التي هي معنى شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله، الشهادتان اللتان هما الركن الأول من أركان الإسلام؛ فلا يصح عملٌ، ولا تقبل عبادةٌ ولا ينجو أحد من النار

=

الأوَّل ١٣٧٤هـ الموافق لـ: ٢٥ نوفمبر ١٩٥٤م في شهر وسنة اندلاع الثورة التحريرية في الجزائر ضدَّ الاستعمار الفرنسي الغاشم. http://www.ferkous.com/site/rep/Ba61.php.

قلت: وهوامش الفتوى كما وردت في نصها.

[٤١] قلت: جاء في السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني / ٤٠٨:

(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله. أخرجه البخاري (١ / ٦٣ - ٦٤) ومسلم (١ / ٣٩).

[٤٢] قلت: جاء في ارواء الغليل للشيخ الالباني /٧٨٢:

(حديث معاذ: (إنك تأتى قوما من أهل الكتاب. فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم، فترد على فقرائهم) متفق عليه.

صحيح. أخرجه البخاري (٣٥٢/١، ٣٦٩، ٣٨٠) ومسلم (٣٧/١ ـ ٣٨) وكذا أبو داود (١٥٨٤) والنسائي (٣٤٨/١) والترمذي (١٢٢/١) والدارمي (٣٧٩/١) وابن ماجه (١٧٨٣) وابن أبى شيبة (٥/٤) والدارقطني (٢١٨) والبيهقي (٩٦/٤، ١٠١).

[٤٣] قلت: جاء في ارواء الغليل للشيخ الالباني / (٦٨٦):

(قوله صلى الله عليه وسلم: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله).

صحيح. مسلم (٣ / ٣٧) وأبو داود (٣١١٧) والنسائي (١ / ٢٥٩) والترمذي (١ / ١٨٢) وابن ماجه (١٤٤٥) والبيهقي (٣ / ٣٨٣) وأحمد (٣ / ٣) وابن أبى شيبة (٤ / ٧٥) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا. وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح.

ومسلم وابن ماجه (١٤٤٤) وابن الجارود (٢٥٦) والبيهقي وابن حبان في صحيحه (٧١٩ - موارد) من حديث أبي هريرة.

والنسائي (١ / ٢٥٩) وسنده صحيح.

وابن أبي الدنيا في "المحتضرين" (١ / ٢) عن حذيفة بن اليمان.

وابن منده في معرفة الصحابة (٢ / ١٠٢ / ٢) عنه عن عروة بن مسعود الثقفي.

[٤٤] قلت: جاء في ارواء الغليل للشيخ الالباني /٦٨٧:

(قوله صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) رواه أبو داود.

حسن. أبو داود (٣١١٦) والحاكم (٣٥١/١) وابن منده في التوحيد (ق ٢/٤٨) وأحمد (٢٣٣/٥) من طريق صالح بن أبى عريب عن كثير بن مرة عن معاذ بن جبل مرفوعا به. وقال الحاكم: " صحيح الإسناد " ووافقه الذهبي.

[٤٥] رواه الامام احمد في المسند/ ١٨٧ -حدثنا عبد الله بن نمير، عن مجالد، عن عامر، عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول لطلحة بن عبيد الله: ما لي أراك قد شعثت واغبررت منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ لعلك ساءك يا طلحة إمارة ابن عمك؟ قال: معاذ الله، إني لأجدركم أن لا أفعل ذاك، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل عند حضرة الموت إلا وجد روحه لها روحا حين تخرج من جسده، وكانت له نورا يوم القيامة) فلم أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، ولم يخبرني بها، فذلك الذي دخلني، قال عمر: فأنا أعلمها، قال: فلله الحمد، قال: فما هي؟ قال: هي الكلمة التي قالها لعمه: لا إله إلا الله، قال طلحة: صدقت.

[٤٦] مجموع الفتاوى / تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية -المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٣٤/٨-٣٥.

ويدخل الجنة؛ إلاَّ إذا أتى بهذا التّوحيد وصحّح العقيدة. ولهذا كان اهتمام العلماء رحمهم الله في هذا الجانب اهتماماً عظيماً؛ لأنه هو الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ثم بعد ما تصح العقيدة فإنه حينئذٍ يُطلب من الإنسان أن يأتي ببقية الأعمال.

القران الكريم والتوحيد

(إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد.).إهـ [٤٧]

(اقرأ كتاب الله من أوله إلى آخره تجد بيان التوحيد والأمر به، وبيان الشرك والنهي عنه، مقررا في كل سورة، وفي كثير من سور القرآن يقرره في مواضع منها، يعلم ذلك من له بصيرة وتدبر. ففي فاتحة الكتاب: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الفاتحة ٢) نوعا التوحيد: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وفي: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة ٥) النوعان، وقصر العبادة، والاستعانة على الله عز وجل أي: لا نعبد غيرك، ولا نستعين إلا بك.

وأول أمر في القرآن يقرع سمع السامع والمستمع، قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة ٢١) إلى قوله: (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢١): فأمرهم بتوحيد الإلهية، واستدل عليه بالربوبية، ونهاهم عن الشرك به، وأمرهم بخلع الأنداد، التي يعبدها المشركون من دون الله. وافتتح سبحانه كثيرا من سور القرآن بهذا التوحيد: (الم اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) (آل عمران ١-٢): (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) (الأنعام ١) إلى قوله: (وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ) (الأنعام ٣) أي: المألوه، المعبود في السماوات، والمألوه المعبود في الأرض؛ وفي هذه السورة، من أدلة التوحيد، ما لا يحصر، وفيها من بيان الشرك والنهي عنه، كذلك.

وافتتح سورة هود بهذا التوحيد، فقال تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) فأحكم تعالى آيات القرآن، ثم فصلها، ببيان توحيده، والنهي عن الإشراك به، وفي أول: سورة طه، قال تعالى: (اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (طه ٨) وافتتح، سورة الصافات بهذا التوحيد، وأقسم عليه، فقال: (وَالصَّافَّاتِ صَفّاً ۞ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْراً ۞ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْراً ۞ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۞ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) (الصافات ١-٥) وافتتح، سورة: الزمر، بقوله: (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۞ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ۞ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) (الزمر ١-٣) وفي هذه السورة من بيان التوحيد والأمر به، وبيان الشرك والنهي عنه، ما يستضيء به قلب المؤمن. وفي السورة بعدها كذلك، وفي سورة (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ) (الكافرون ١) نفي الشرك في العبادة، في قوله تعالى: (لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ) (الكافرون ٢) إلى آخرها، وفي سورة: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) (الإخلاص ١) توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ وهذا ظاهر لمن نور الله قلبه. وفي خاتمة المصحف (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۞ مَلِكِ النَّاسِ ۞ إِلَهِ النَّاسِ) (الناس ١-٣)، بين أن ربهم وخالقهم ورازقهم، هو المتصرف فيهم بمشيئته، وإرادته، وهو ملكهم الذي نواصي الملوك، وجميع الخلق في قبضته:

---

[٤٧] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م. ٤١٧/٣ - ٤١٨.

يعز هذا ويذل هذا، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، (لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (الرعد ٤١) وهو: معبودهم، الذي لا يستحق أن يعبد سواه.) [٤٨]

التوحيد والتحميد

(قوله صلى الله عليه وسلم: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد)[٤٩] يتضمن التوحيد والتحميد، وكذلك كان يقول عقب الصلاة: (لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون)[٥٠] وهو سبحانه يفتتح خطابه بالحمد ويختم الأمور بالحمد وأول ما خلق آدم كان أول شيء أنطقه به الحمد، فإنه عطس فأنطقه بقوله: الحمد لله، فقال له: يرحمك ربك يا آدم، وكان أول ما تكلم به الحمد، وأول ما سمعه الرحمة.[٥١]

وهو يختم الأمور بالحمد كقوله تعالى: (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الزمر ٧٥)، (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام ٤٥)، (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (يونس ١٠)، وهو سبحانه (لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص ٧٠)).[٥٢]

وقوله تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (التغابن ١)، (قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: يسجد له ما في السماوات السبع، وما في الأرض من خلقه ويعظمه.

وقوله (لَهُ الْمُلْكُ): يقول تعالى ذكره: له ملك السماوات والأرض، وسلطانه ماضٍ قضاؤه في ذلك كله، نافذ فيه أمره.

وقوله: (وَلَهُ الْحَمْدُ) يقول: وله حَمْدُ كل ما فيها من خلقٍ؛ لأن جميع مَنْ في ذلك من الخلق لا يعرفون الخيرَ إلا منه وليس لهم رازقٌ سواه، فله حمدُ جميعهم.

(وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقول: وهو على كل شيء ذو قدرة، يقول: يخلق ما يشاء، ويميت من يشاء، ويغني من أراد، ويفقر من يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، ولا يتعذر عليه شيءٌ أراده؛ لأنه ذو القدرة التامة التي لا يُعجزُه معها شيء).[٥٣]

وقال الشيخ السعدي:(هذه الآيات الكريمات، مشتملات على جملة كثيرة واسعة، من أوصاف الباري العظيمة، فذكر كمال ألوهيته تعالى، وسعة غناه، وافتقار جميع الخلائق إليه، وتسبيح من في السماوات والأرض بحمد ربها، وأن الملك كله لله، فلا يخرج مخلوق عن ملكه، والحمد كله له، حمد على ما له من صفات الكمال، وحمد

---

[٤٨] الدرر السنية في الأجوبة النجدية / علماء نجد الأعلام، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. ١ / ٤٤٣-٤٤٥.

[٤٩] قلت: الحديث (من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشرا كان كمن أعتق رقبة من ولد إسماعيل) رواه الشيخان والترمذي والنسائي عن أبي أيوب ولفظ الترمذي: (كانت له عدل أربع رقاب من ولد إسماعيل). قال الشيخ الألباني: (صحيح)، انظر الحديث رقم /٦٤٣٥ في صحيح الجامع.

[٥٠] قلت: الحديث رواه ابو داود ولفظه: (كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا انصرف من الصلاة يقول: (لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، مخلصين له الدِّينَ ولو كره الكافرون، أهلَ النعمة والفضل والثناء الحسن، لا إله إلا الله، مخلصين له الدِّينَ ولو كره الكافرون). قال الشيخ الالباني في صحيح ابي داود/١٣٥٠: إسناده صحيح. وأخرجه مسلم وأبو عوانة في صحيحيهما، وكذا ابن حبان /٢٠٠٥.

[٥١] قلت: الحديث (لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال: الحمد لله فحمد الله بإذنه فقال له ربه: يرحمك الله يا آدم!) رواه الترمذي والحاكم في المستدرك عن ابي هريرة، قال الشيخ الألباني: (صحيح). انظر الحديث/٥٢٠٩ في صحيح الجامع.

[٥٢] مجموع الفتاوى/ شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٤/٨.

[٥٣] التعليقات السنية على العقيدة الواسطية / فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (المتوفى ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الإله بن عثمان الشَّايع، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦ م، ص٦٢.

على ما أوجده من الأشياء، وحمد على ما شرعه من الأحكام، وأسداه من النعم، وقدرته شاملة، لا يخرج عنها موجود، فلا يعجزه شيء يريده).[٥٤]
وقال ابن كثير: (هذه السورة هي آخر المسبحات، وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها؛ ولهذا قال: (له الملك وله الحمد) أي: هو المتصرف في جميع الكائنات، المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره.
وقوله: (وهو على كل شيء قدير) أي: مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن).[٥٥]
قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:
(والملك والحمد في حقه متلازمان فكل ما شمله ملكه وقدرته شمل حمده، فهو محمود في ملكه، وله الملك والقدرة مع حمده، فكما يستحيل خروجُ شيء من الموجودات عن ملكه وقدرته، يستحيل خروجها عن حمده وحكمته، ولهذا يحمد سبحانه نفسه عند خلقه وأمره، لينبّه عباده على أن مصدر خلقه وأمره عن حمده، فهو محمودٌ على كلّ ما خلقه وأمر به حمد شكر وعبودية، وحمد ثناءٍ ومدح، ويجمعهما التبارك، فتبارك الله يشمل ذلك كله، ولهذا ذكر هذه الكلمة عقيب قوله: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الاعراف ٥٤).
فالحمد أوسع الصفات وأعم المدائح والطرق إلى العلم به في غاية الكثرة، والسبيل إلى اعتباره في ذرّات العالم وجزئياته وتفاصيل الأمر والنهى واسعة جداً، لأن جميع أسمائه تبارك وتعالى حمد، وصفاته حمد، وأفعاله حمد، وأحكامه حمد، وعدله حمد، وانتقامه من أعدائه حمد، وفضله في إحسانه إلى أوليائه حمد، والخلق والأمر إنما قام بحمده ووجد بحمده وظهر بحمده وكان الغاية هي حمده فحمده سبب ذلك وغايته ومظهره وحامله فحمده روح كل شيء، وقيام كل شيء بحمده، وسريان حمده في الموجودات وظهور آثاره فيه أمر مشهود بالأبصار والبصائر: فمن الطرق الدالة على شمول معنى الحمد وانبساطه على جميع المعلومات معرفة أسمائه وصفاته، وإقرار العبد بأن للعالم إلهاً حياً جامعاً لكل صفة كمال واسم حسن وثناءٍ جميل وفعل كريم وأنه سبحانه له القدرة التامة والمشيئة النافذة والعلم المحيط والسمع الذى وسع الأصوات والبصر الذى أحاط بجميع المبصرات والرحمة التي وسعت جميع المخلوقات والملك الأعلى الذى لا يخرج عنه ذرة من الذرات والغنى التام المطلق من جميع الجهات والحكمة البالغة المشهود آثارها في الكائنات والعزة الغالبة بجميع الوجوه والاعتبارات والكلمات التامات النافذات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من جميع البريات، واحد لا شريك له في ربوبيته ولا في إلهيته، ولا شبيه له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، وليس له من يشركه في ذرة من ذرات ملكه، أو يخلفه في تدبير خلقه، أو يحجبه عن داعيه أو مؤمليه أو سائليه، أو يتوسط بينهم وبينه بتلبيس أو فرية أو كذب كما يكون بين الرعايا وبين الملوك، ولو كان كذلك لفسد نظام الوجود وفسد العالم بأسره:
(لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا الله لَفَسَدَتَا) (الأنبياء ٢٢).[٥٦]

التوحيد والاستغفار

(قرن سبحانه وتعالى بين التوحيد والاستغفار في غير آية، كما قال تعالى: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) (محمد ١٩)، وقال تعالى: (فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ) (فصلت ٦)، وقال تعالى: (الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ۝ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ۝ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) (هود ١-٣). وفي الحديث الذي رواه ابن أبي

---

[٥٤] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان /الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى ١٣٧٦ هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص٨٦٦.
[٥٥] تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م، ١٣٥/٨.
[٥٦] طريق الهجرتين وباب السعادتين / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار السلفية، القاهرة -مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ، ص ١٢٥.

عاصم وغيره: (يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون، لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا).[57]

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن ذي النون أنه نادى في الظلمات: (أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الانبياء ٨٧)، قال تعالى: (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ) (الانبياء ٨٨)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرّج الله بها كربه).[58]

وجماع ذلك أنه لا بدّ له في الأمر من أصلين، ولا بدّ له في القدر من أصلين، ففي الأمر عليه الاجتهاد في الامتثال علما وعملا، فلا يزال يجتهد في العلم بما أمر الله به، والعمل بذلك، ثم عليه أن يستغفر ويتوب من تفريطه في المأمور، وتعديه الحدود.

ولهذا كان من المشروع أن تختتم جميع الأعمال بالاستغفار، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا[59]، وقد قال تعالى: (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) (آل عمران ١٧)، فقاموا الليل ثم ختموا بالاستغفار، وآخر سورة نزلت قوله تعالى: (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) (النصر ١-٣) ، وفي الحديث الصحيح أنه كان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) يتأول القرآن.[60]

وأما في القدر فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به، ويتوكل عليه، ويدعوه، ويرغب إليه، ويستعيذ به، فيكون مفتقرًا إليه في طلب الخير وترك الشر، وعليه أن يصبر على المقدور، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدَّر عليه).[61]

اختلاف مدلولات الإيمان والتوحيد والعقيدة

الإيمان والتوحيد والعقيدة أسماء لمسميات تختلف في مدلولاتها بعض الاختلاف، ولكنها ترجع إلى شيء واحد. (التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، والإيمان هو الإيمان بأنه مستحق للعبادة، والإيمان بكل ما أخبر به سبحانه، فهو أشمل من كلمة التوحيد، التي هي مصدر وحد يوحد، يعني أفرد الله بالعبادة وخصه بها ؛ لإيمانه بأنه سبحانه هو المستحق لها ؛ لأنه الخلاق ؛ لأنه الرزاق ؛ ولأنه الكامل في أسمائه وصفاته وأفعاله ؛ ولأنه مدبر الأمور والمتصرف فيها، فهو المستحق للعبادة، فالتوحيد هو إفراده بالعبادة ونفيها عما سواه، والإيمان أوسع من ذلك يدخل فيه توحيده والإخلاص له، ويدخل فيه تصديقه في كل ما أخبر به رسوله عليه الصلاة والسلام، والعقيدة

---

[57] قال الشيخ الالباني في ضعيف الجامع للسيخ الالباني/٣٧٩٥: موضوع، ورواه ابن أبي عاصم في السنة/٧.

قلت: ورواه ابي يعلى في المسند/ ١٣٦ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ فَأَكْثِرُوا مِنْهُمَا، فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ: أَهْلَكْتُ النَّاسَ بِالذُّنُوبِ، فَأَهْلَكُونِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَالِاسْتِغْفَارِ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ أَهْلَكْتُهُمْ بِالْأَهْوَاءِ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ).

حكم حسين سليم أسد: إسناده ضعيف

[58] قال الشيخ الالباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته/٣٣٨٣: (دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له). (صحيح) رواه الامام احمد في المسند والترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك والبيهقي في السنن والضياء عن سعد. وهو في الكلم ١٢٢، والترغيب ٢٧٥/٢و٤٣/٣.

[59] قال الشيخ الالباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته/٤٦٨٨: (كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا ثم قال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام). (صحيح) رواه الامام احمد في المسند ومسلم في صحيحه والاربعة عن ثوبان.

[60] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق الشيخ الالباني عليه في التعليقات الحسان/١٩٢٦: صحيح. وهو في صحيح ابي داود/٨٢١، ورواه الشيخان. قلت: وأنظر، للشيخ الالباني: الصحيحة/٢٠٨٤، وأصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم/٤، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، ٢/ص٦٦٠ وما بعدها. (٣ مجلدات في ترقيم مسلسل واحد).

[61] التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع/ شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ٢٢٦/١-٢٢٩.

تشمل الأمرين، فالعقيدة تشمل التوحيد، وتشمل الإيمان بالله وبما أخبر به سبحانه أو أخبر به رسوله، والإيمان بأسمائه وصفاته.
والعقيدة: هي ما يعتقده الإنسان بقلبه ويراه عقيدة يدين الله بها ويتعبده بها، فيدخل فيها كل ما يعتقده من توحيد الله والإيمان بأنه الخلاق الرزاق وبأنه له الأسماء الحسنى والصفات العلى، والإيمان بأنه لا يصلح للعبادة سواه، والإيمان بأنه حرم كذا وأوجب كذا وشرع كذا ونهى عن كذا، فهي أشمل).[٦٢]
قال الشيخ العثيمين: (الإيمان والتوحيد شيئان متغايران وشيئان متفقان، فالتوحيد هو إفراد الله عز وجل بما يستحقه ويختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات ولهذا قال العلماء رحمهم الله إن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات وأن هذه الأقسام جاءت في قول تعالى (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً) (مريم ٦٥)، فقوله (رب السماوات والأرض وما بينهما) يعني توحيد الربوبية، وقوله (فاعبده واصطبر لعبادته) يعني توحيد الألوهية، وقوله (هل تعلم له سميا) يعني توحيد الأسماء والصفات).
و(الإيمان بالله عز وجل يتضمن الإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وعلى هذا فالموحد لله مؤمن به والمؤمن بالله موحد له لكن قد يحصل خلل في التوحيد أو في الإيمان فينقصان ولهذا كان القول الراجح أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد وينقص في حقيقته وفي آثاره ومقتضياته فالإنسان يجد من قلبه أحياناً طمأنينة بالغة كأنما يشاهد الغائب الذي كان يؤمن به وأحياناً يحصل له شيء من قلة هذا اليقين الكامل وإذّا شئت أن تعرف أن اليقين يتفاوت فاقرأ قول الله تعالى عن إبراهيم خليله عليه الصلاة والسلام (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي) (البقرة ٢٦٠) كما أنه أيضا يزيد بآثاره ومقتضياته فإن الإنسان كلما ازداد عملا صالحا ازداد إيمانه حتى يكون من المؤمنين الخلص).[٦٣]
وقال: (التوحيد: هو إفراد الله عز وجل بما يختص به ويجب له. والإيمان: هو التصديق المتضمن للقبول والإذعان. وبينهما عموم وخصوص فكل موحد مؤمن وكل مؤمن موحد بالمعنى العام.
ولكن أحياناً يكون التوحيد أخص من الإيمان، والإيمان أخص من التوحيد. والله أعلم).[٦٤]

تفاضل الناس في التوحيد والإيمان

(الناس يتفاضلون في التوحيد، تفاضلا عظيما، ويكونون فيه على درجات بعضها أعلى من بعض. فمنهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، كما دلت عليه النصوص الصريحة الصحيحة، ومنهم من يدخل النار، وهم العصاة، ويمكثون فيها على قدر ذنوبهم، ثم يخرجون منها لأجل ما في قلوبهم من التوحيد والإيمان؛ وهم في ذلك متفاوتون، كما في الحديث الصحيح، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه من الخير ما يزن برة)[٦٥] وفي لفظ: (شعيرة)، وفي لفظ: (ذرة)، وفي لفظ: (حبة خردل من إيمان).[٦٦]

---

[٦٢] مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (المتوفى ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه محمد بن سعد الشويعر، ٢١٧/٦ – ٢١٨.
[٦٣] فتاوى نور على الدرب / السؤال ٣١٥، الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى: نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة الاصدار ٣,٤٨.
[٦٤] مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين/ ج١، العقيدة، التوحيد، المسألة (٢)، نسخة الكترونية، المكتبة الشاملة الإصدار ٣,١.
[٦٥] البخاري: الإيمان (٤٤)، ومسلم: الإيمان (١٩٣)، والترمذي: صفة جهنم (٢٥٩٣)، وابن ماجه: الزهد (٤٣١٢)، وأحمد: (١٧٣/٣، ٢٧٦/٣).
[٦٦] البخاري: الإيمان (٢٢)، وأحمد (٥٦/٣). قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة). الحديث رواه الشيخان والامام احمد في المسند والترمذي والنسائي عن انس، وانظر الحديث في الجامع الصغير للشيخ الألباني/ ٨٠٦١.

ومن تأمل النصوص، تبين له أن الناس يتفاضلون في التوحيد والإيمان، تفاضلا عظيما، وذلك بحسب ما في قلوبهم من الإيمان بالله، والمعرفة الصادقة، والإخلاص، واليقين، والله أعلم).[٦٧]

عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال: (عرضت علي الأمم بالموسم فرأيت أمتي فأعجبتني كثرتهم وهيئتهم قد ملأوا السهل والجبل فقال: يا محمد أرضيت؟ قلت: نعم أي رب قال: ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فقال عكاشة: ادع الله أن يجعلني منهم قال: (اللهم اجعله منهم) ثم قال رجل آخر: ادع الله أن يجعلني منهم قال: (سبقك بها عكاشة).[٦٨]

وقال صلى الله عليه وسلم: (عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه رهط والنبي ومعه رجل والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فقلت: هذه أمتي فقيل: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم ثم قيل لي: انظر إلى هذا الجانب الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي: أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) ثم نهض النبي صلى الله عليه وسلم فدخل فخاض القوم في ذلك وقالوا: من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب؟ فقال بعضهم: لعلهم الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله ـ قط ـ وذكروا أشياء فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه)؟ فأخبروه بمقالتهم فقال: (هم الذي لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) فقام عكاشة بن محصن الأسدي فقال: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: (أنت منهم) ثم قام رجل آخر فقال: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: (سبقك بها عكاشة). [٦٩]

وقال صلى الله عليه واله وسلم: (عرضت علي الأنبياء ـ الليلة ـ بأتباعها من أمتها فجعل النبي يجيء ومعه الثلاثة من قومه والنبي يجيء ومعه العصابة من قومه والنبي ومعه النفر من قومه والنبي ليس معه من قومه أحد حتى أتى علي موسى بن عمران في كبكبة من بني إسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني فقلت: يا رب من هؤلاء؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران قال: وإذا ظراب من ظراب مكة قد سد وجوه الرجال قلت: رب! من هؤلاء؟ قال: أمتك قال: فقيل لي: رضيت؟ قال: قلت: رب! رضيت، رب! رضيت ، قال: ثم قيل لي: (إن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة لا حساب عليهم) قال: فأنشأ عكاشة بن محصن ـ أخو بني أسد بن خزيمة ـ فقال: يا نبي الله ادع ربك أن يجعلني منهم قال: اللهم اجعله منهم) قال: ثم أنشأ رجل آخر فقال: يا نبي الله ادع ربك أن يجعلني منهم فقال: (سبقك بها عكاشة) قال: ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: (فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين فكونوا فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الأفق فإني رأيت ثم أناسا يتهرشون كثيرا) قال: فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم: (إني لأرجو أن يكون من تبعني من أمتي ربع أهل الجنة) قال: فكبرنا ثم قال: (إني لأرجو أن يكونوا الثلث) قال: فكبرنا ثم قال: (إني لأرجو أن يكونوا الشطر) قال: فكبرنا فتلا نبي الله صلى الله عليه وسلم: (ثلة من الأولين ۞ وثلة من الآخرين) (الواقعة ٣٩ ـ ٤٠) قال: فتراجع المسلمون على هؤلاء السبعين فقالوا: نراهم أناسا ولدوا في الإسلام ثم لم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه قال: فنمي حديثهم إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم: (ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون). [٧٠]

وقال صلى الله عليه واله وسلم: (أعطيت سبعين ألفا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين ألفا).[٧١]

---

[٦٧] الدرر السنية في الأجوبة النجدية / علماء نجد الأعلام -تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. ٢٠٧/١.

[٦٨] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق الشيخ الالباني على الحديث في التعليقات الحسان/ ٦٠٥٢ بقوله: حسن صحيح. وانظر تخريج الحديث في التعليقات الحسان.

[٦٩] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق الشيخ الالباني على الحديث في التعليقات الحسان/ ٦٣٩٦ بقوله: صحيح.

[٧٠] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق الشيخ الالباني على الحديث في التعليقات الحسان/ ٦٣٩٧ بقوله: صحيح.

[٧١] رواه الامام احمد في المسند عن أبي بكر. وقال الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر الحديث/١٠٥٧ في صحيح الجامع.

وقال صلى الله عليه واله وسلم: (صفوة الله من أرضه الشام وفيها صفوته من خلقه وعباده وليدخلن الجنة من أمتي ثلة لا حساب عليهم ولا عذاب).[٧٢]
وقال صلى الله عليه واله وسلم: (إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار فيقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم بدخول الجنة فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا). [٧٣]
وقال صلى الله عليه واله وسلم: (لأعلم آخر أهل الجنة خروجا من النار وآخر أهل الجنة دخولا الجنة: رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيقول: يا رب قد وجدتها ملأى فيقول له: اذهب فارجع فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع إليه فيقول: يا رب قد وجدتها ملأى فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثال الدنيا فيقول: أتسخر بي ـ أو تضحك بي ـ وأنت الملك) قال: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه.
قال إبراهيم: وكان يقال: إن ذلك الرجل أدنى أهل الجنة منزلة. [٧٤]
وقال صلى الله عليه واله وسلم: (يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله فيلتفت إليه أحدهم فيقول: أي رب! إذا أخرجتني منها لا تعدني فيها فينجيه الله منها). [٧٥]
وقال صلى الله عليه واله وسلم: (يخرج من النار قوم بعد ما احترقوا فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين). [٧٦]

وسائل التوحيد

لتوحيد الله في الربوبية والإلهية وسائله أو دلائله، فهي وسائل لمن شاء أن يكون خالص التوحيد اعتقادا وعملا، ودلائل يفصل بها المؤمن الصادق بين الموحد والمشرك، وتلك الوسائل هي حسب ما فهمته من كتاب الله واستنبطها منه.

أولا: طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
ثانيا: تقوى الله سبحانه وتعالى وحده فيما يطيع به الإنسان ربه، والرسول، ليكون لله الدين الخالص.
ثالثا: اتباع الكتاب والسنة، حتى تكون الطاعة عن بينة هادية، والعمل خالصا من كل شائبة، والاعتقاد في الله حق اليقين.
رابعا: الاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسوله كلما وقع بين المسلمين خلاف سواء أكان في شئون الدنيا أم في شئون الدين، حتى تظل وحدة المسلمين ثابتة مكينة، والتآخي بينهم قويا صادق الشعور.
خامسا: الحكم بكتاب الله وسنة رسوله بين المختلفين أو المتخاصمين، مسلمين أو غير مسلمين، حتى تظل الدولة الإسلامية قوية العماد، لا ينتقض عليها أفرادها، ولا يختلف فيها محكوم على حاكم، ما دام حكم الله يشمل الجميع، ويطبق عليهم تطبيقا صحيحا عادلا.
سادسا: الرضى بحكم الله، والصبر عليه، والإذعان الكامل له.

تلك هي دلائل التوحيد ـ أو هي وسائله ـ التي يجب على المسلمين أن يتوصلوا بها وحدها إذا شاءوا أن يكونوا أولياء الله، وأن يكون الله وليهم، وأن يسودوا العالم كله بالحق والعدل والسلام والرحمة. [٧٧]

---

[٧٢] قال الشيخ الالباني في الجامع الصغير/ ٣٧٦٥ -(صحيح)، رواه الطبراني في المعجم الكبير عن أبي أمامة. وهو في السلسلة الصحيحة /١٩٠٩، وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق.
[٧٣] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق الشيخ الالباني على الحديث في التعليقات الحسان/ ٧٣٧١ بقوله: صحيح.
[٧٤] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق الشيخ الالباني على الحديث في التعليقات الحسان/ ٧٤٣٢ بقوله: صحيح.
[٧٥] رواه الامام مسلم في صحيحه عن أنس. قال الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر الحديث/٨٠٥٨ في صحيح الجامع.
[٧٦] رواه الامام البخاري في صحيحه عن أنس. قال الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر الحديث/٨٠٦٠ في صحيح الجامع.
[٧٧] وسائل التوحيد أو دلائله/ العلامة عبد الرحمن الوكيل -دار القاسم، المصدر: الكتيبات الإسلامية www.ktibat.com.

نواقض التوحيد ومنقصاته

نواقض التوحيد: هي الأمور التي إذا وجدت عند العبد خرج من دين الله بالكلية، وأصبح بسببها كافراً أو مرتداً عن دين الإسلام، وهي كثيرة، تجتمع في الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر (الاعتقادي).

ومن نواقض التوحيد: [٧٨]

١. الشرك في عبادة الله تعالى.

قال تعالى: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) (المائدة ٧٢).

٢. اتخاذ الوسائط بين العبد وربه، يدعوهم ويسألهم الشفاعة، ويتوكل عليهم.

قال تعالى: (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) (الزمر ٣٨).

وفي القرآن الكثير من ذلك مما يدل على وجوب إخلاص العبادة لله وحده، وعدم جعل الوسائط بينه وبين خلقه.

٣. من لم يكفِّر المشركين، أو شكَّ في كفرهم، أو صحَّح مذهبهم.

قال تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) (الممتحنة ٤)، وقال تعالى: (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى) (البقرة ٢٥٦).

٤. الاعتقاد بأن غير هدي النبي صلّى الله عليه وسلّم أكمل من هديه، أو أنّ حكم غيره أحسن من حكمه.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبة الجمعة:(أما بعد؛ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد).[٧٩] فلا شك ولا ريب أن هدي محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الهدي؛ لأنه وحي يوحى إليه صلى الله عليه وآله وسلم؛ كما قال الله جل وعلا: (إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم ٤).

وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ۝ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ۝ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء ٦٠ - ٦٥).

أقسم الله جل وعلا بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يستكملوا ثلاثة أشياء:

١-أن يحكموا الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور.

٢-أن لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضى به.

---

[٧٨] انظر غير مأمور تفاصيل النواقض العشرة في الرسالة الثانية عشرة، من رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ضمن (الجامع الفريد)، ص ٢٧٧-٢٧٨.

قلت: إن النواقض الكثيرة التي ذكرها الفقهاء في باب حكم المرتد مرجعها إلى هذه العشرة.

[٧٩] الجامع الصغير للألباني/ ١٣٥٣-(أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أتتكم الساعة بغتة بعثت أنا والساعة هكذا صبحتكم الساعة ومستكم أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي وأنا ولي المؤمنين).

صحيح. رواه احمد في المسند ومسلم في صحيحه والنسائي وابن ماجة، عن جابر.

٣-أن يسلموا تسليماً كاملاً لحكمه.
٥. بغض شيء مما جاء به النبي صلّى الله عليه وسلّم.
قال الله تعالى حاكماً بكفر من كره ما أنزل على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) (محمد ٨-٩).
فالله جل وعلا أحبط أعمالهم، وجعلها هباءً منثوراً؛ بسبب كراهيتهم ما أنزل على رسوله من القرآن الذي جعله الله فوزاً وفلاحاً للمتمسكين به، المؤتمرين بأمره، المنتهين عن نهيه.
٦. الاستهزاء بشيء من دين الرسول صلّى الله عليه وسلّم.
قال تعالى: (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۞ لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (التوبة ٦٥-٦٦). الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول كفر بإجماع المسلمين، ولو لم يقصد حقيقة الاستهزاء؛ كما لو هزل مازحاً.
٧. السحر، ومنه الصرف والعطف[٨٠]، فمن فعله أو رضي به؛ كفر.
قال الله: (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُر) (البقرة ١٠٢).
٨. مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين.
قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة ٥١).
٩. الاعتقاد بأن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلّى الله عليه وسلّم.
قال الله تعالى: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (الانعام ١٥٣).
وعن عبد الله بن مسعود قال: خَطّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خَطّاً، ثم قال: (هذا سبيل الله)، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: (هذه سُبُل"، قال يزيد: "متفرقةٌ، على كل سبيل منها شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ) (الأنعام ١٥٣).[٨١]
١٠. الإعراض عن دين الله تعالى.
قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) (السجدة ٢٢).
والمراد بالإعراض الذي هو ناقض من نواقض الإسلام: هو الإعراض عن تعلم أصل الدين الذي به يكون المرء مسلماً، ولو كان جاهلاً بتفاصيل الدين؛ لأن هذا قد لا يقوم به إلا العلماء وطلبة العلم.
أما منقصات التوحيد: فهي الأمور التي تنافي كمال التوحيد ولا تنقضه بالكلية، فإذا وجدت عند المسلم قدحت في توحيده ونقص إيمانه، ولم يخرج من دين الإسلام، وهي المعاصي التي لا تصل إلى درجة الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر أو النفاق الأكبر، وعلى رأسها: وسائل الشرك الأكبر، والشرك الأصغر، والكفر الأصغر، والنفاق الأصغر، والبدعة.

فائدة

إذا علم ما تقدم من النواقض التي تحبط الأعمال وتجعل صاحبها من الخالدين في النار، فليعلم أن المسلم قد يقول قولاً أو يفعل فعلاً قد دل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أنه كفر ورده عن الإسلام، ولكن لا تلازم عند أهل العلم بين القول بأن هذا كفر وبين تكفير الرجل بعينه.

---

[٨٠] الصرف: صرف الرجل عما يهواه؛ كصرفه مثلاً عن محبة زوجته إلى بغضها.
العطف: عمل سحري كالصرف، ولكنه يعطف الرجل عما لا يهواه إلى محبته بطرق شيطانية.
[٨١] رواه الامام احمد في المسند، قال احمد محمد شاكر ٤١٤٢: إسناده صحيح. وقال الارناؤوط في تحقيقه للمسند ٤١٤٢: إسناده حسن.

فليس كل من فعل مكفراً حكم بكفره؛ إذ القول أو الفعل قد يكون كفراً، لكن لا يطلق الكفر على القائل أو الفاعل إلا بشرطه؛ لأنه لا بد أن تثبت في حقه شروط التكفير، وتنتفى موانعه؛ فالمرء قد يكون حديث عهد بإسلام، وقد يفعل مكفراً ولا يعلم أنه مكفر، فإذا بُيِّنَ له؛ رجع وقد ينكر شيئاً متأولاً أخطأ بتأويله وغير ذلك من الموانع التي تمنع من التكفير.

وهذا أصل عظيم، يجب تفهمه والاعتناء به؛ لأن التكفير ليس حقًّا للمخلوق، يكفر من يشاء على وفق هواه، بل يجب الرجوع في ذلك إلى الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح، فمن كفّره الله ورسوله، وقامت عليه الحجة؛ فهو كافر، ومن لا فلا.

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ قال: (أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت؛ أوصى بنيه؛ فقال: إذا أنا مُتُّ؛ فأحرقوني، اسحقوني، ثم ذروني في الريح في البحر، فو الله، لئن قدر عليَّ ربي؛ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً". قال: " ففعلوا ذلك به، فقال للأرض أدى ما أخذت. فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب (أو قال مخافتك)! فغفر له بذلك).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا ذُرِّي، بل اعتقد أنه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك، والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، أولى بالمغفرة من مثل هذا).[٨٢]

وقال رحمه الله: (وحقيقة الأمر في ذلك: أن القول قد يكون كفرا فيطلق القول بتكفير صاحبه ويقال من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين الذي قاله لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها. وهذا كما في نصوص الوعيد فإن الله سبحانه وتعالى يقول: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) (النساء ١٠)، فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار لجواز أن لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع فقد لا يكون التحريم بلغه وقد يتوب من فعل المحرم وقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه وقد يشفع فيه شفيع مطاع).[٨٣]

والحاصل أن مذهب أهل التحقيق التفريق بين تكفير الفعل وبين تكفير الفاعل، وكذلك الأمر في التبديع هناك فرق بين تبديع القول أو الفعل وبين تبديع القائل أو الفاعل فليس كل من فعل بدعة صار مبتدعاً.

ومن نظر في سيرة السلف؛ عرف حقيقة هذا القول، وعلم أن مذهبهم وهذه طريقتهم، ورأى ما هم عليه من العدل والإنصاف وقول الحق والحرص على هداية الخلق، لما خصهم الله به من العلم النافع والعمل الصالح، وهذا هو الواجب على جميع الخلق: أن يكون قصدهم بيان الحق وإزهاق الباطل مع العدل والإنصاف؛ ليكون الدين كله لله، والحمد لله رب العالمين.

---

[٨٢] مجموع الفتاوى، ٣/ ٢٣١.

[٨٣] المصدر السابق، ٢٣/ ٣٤٥.

الفصل الثاني
توحيد الربوبية

المبحث الأول: توحيد الربوبية
توحيد الربوبية لغة

توحيد الربوبية مركب من كلمتين: التوحيد وقد تقدم تعريفه. والربوبية التي هي صفة لله تعالى، وهي مصدر من الفعل (ربب).

وفي معاجم اللغة:

(رب كل شيء: مالكه. والربُّ: اسم من أسماء الله عَزَّ وجَلّ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة، وقد قالوه في الجاهلية للملِك.)[84]

(ورَبُّ كُلِّ شَيْءٍ: مالِكُهُ ومُسْتَحِقُّه، أو صاحِبُهُ)[85]

(الرَّبُّ: هُوَ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ، وَهُوَرَبُّ كلِّ شيءٍ، أَي مالِكُه، لَهُ الرُّبُوبِيَّةُ على جَمِيعِ الخَلْقِ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَهُوَ رَبُّ الأَرْبَابِ، ومَالِك المُلوكِ والأَمْلاَكِ، قَالَ أَبو مَنْصُور: والرَّبُّ يُطْلَقُ فِي اللُّغَة على المَالِكِ، والسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والمُتَمِّمِ).[86]

(والرُّبُوبِيَّةُ، بالضَّمّ كالرِّبَابَةِ: وعِلْمٌ رَبُوبِيٌّ بالفَتْحِ نِسْبَةٌ إِلى الرَّبِّ علَى غَيْرِ قِيَاسٍ وحكى أَحمد بن يحيى لاَ وَرَبْيِكَ مُخَفَّفَةً، لَا أَفْعَلُ، أَي لاَ وَرَبِّكَ، أَبْدَلَ البَاءَ يَاءً للتَّضْعِيفِ ورَبُّ كُلِّ شيْءٍ: مَالِكُه ومُسْتَحِقُّه، أَو صَاحِبُهُ يُقَال فلانٌ رَبُّ هَذَا الشيءِ، أَي مِلْكُه لَهُ، وكُلُّ مَنْ مَلَكَ شَيْئاً فَهُوَ رَبُّه، يُقَال: هُوَ رَبُّ الدَّابَّةِ، ورَبُّ الدَّارِ، وفُلاَنَةُ رَبَّةُ البَيْتِ، وهُنَّ رَبَّاتُ الحِجَالِ، وَفِي حَدِيث أَشْرَاطِ السَّاعَةِ (أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، ورَبَّهَا أَرادَ بِهِ المَوْلَى والسَّيِّدَ يَعْنِي أَنَّ الأَمَةَ تلِدُ لِسَيِّدِهَا وَلَداً فَيَكُونُ كالمَوْلَى لَهَا لأَنَّه فِي الحَسَبِ كَأَبِيه، أَرَادَ أَنَّ السَّبْيَ يَكْثُرُ والنِّعْمَةَ تَظْهَرُ فِي النَّاسِ فَتَكْثُرُ السَّرَارِي، وَفِي حَدِيث إِجَابة الدَّعْوَةِ (اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ) أَي صَاحِبَهَا، وقيلَ المُتَمِّمَ لَهَا والزَّائِدَ فِي أَهْلِهَا والعَمَلِ بهَا والإِجَابَةِ لَهَا، وَفِي حَدِيث أَبي هريرةَ: (لاَ يَقُلِ المَمْلُوكُ لِسَيِّدِهِ رَبِّي) كَرِهَ أَنْ يَجْعَلَ مَالِكَهُ رَبًّا لِمُشَارَكَةِ اللهِ فِي الرُّبُوبيَّة فَأَمَّا قَوْله تَعالَى: (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ) (يُوسُف ٤٢) فَإِنَّهُ خَاطَبَهُمْ عَلَى المُتَعَارَفِ عِنْدَهُمْ، وعَلى مَا كانُوا يُسَمُّونَهُمْ بِهِ، وَفِي ضَالَّةِ الإِبِلِ (حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا) فإِن البَهَائِمَ غَيْرُ مُتَعَبَّدَةٍ وَلاَ مُخَاطَبَةٍ، فَهِيَ بمَنْزِلَةِ الأَمْوَالِ الَّتِي تَجُوزُ إِضَافَةُ مالِكِها إِليها، وقولُه تَعَالَى: (ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) (الْفجْر ٢٨، ٢٩) فِيمَنْ قَرَأَ بِهِ، مَعْنَاهُ واللَّهُ أَعْلَمُ ارْجِعي إِلى صَاحِبِكِ الَّذِي خَرَجْتِ مِنْهُ، فادخُلِي فيهِ، وَقَالَ عزّ وجلّ: (إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ) (يُوسُف ٢٣) قَالَ الزّجاج: إِنَّ العَزِيزَ صَاحِبِي أَحْسَنَ مَثْوَاي، قَالَ: ويَجُوزُ أَنْ يكونَ: اللَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ)[87]

(وَرَبَّ الشَّيْءَ: مَلَكَهُ، قَالَ ابْن الأَنْبَارِيّ: الرَّبُّ يَنْقَسِمُ على ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ، يَكُونُ الرَّبُّ: المَالِكَ، ويكونُ الرَّبُّ: السَّيِّد المُطَاعَ، ويَكُونُ الرَّبُّ: المُصْلِحَ)[88]

وكلمة (الرب) في اللغة تطلق على المعاني التالية:

---

[84] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى ٣٩٣هـ) -تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م. ١٣٠/١.

[85] القاموس المحيط / مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى ٨١٧هـ) -تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م. ٨٧/١.

[86] تاج العروس من جواهر القاموس / محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي (المتوفى ١٢٠٥هـ) تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بدون تاريخ، ٤٥٩/٢.

[87] تاج العروس من جواهر القاموس ٤٦٠/٢-٤٦١.

[88] تاج العروس من جواهر القاموس ٤٦٣/٢.

١/ المَالِك. ٢/ المَلِك. ٣/ السَّيِّد المُطَاع. ٤/ المُرَبِّي. ٥/ المُدَبِّر. ٦/ المُصْلِح. ٧/ المُتَمِّم.
إن اسم الله تعالى – الرب – (يدل على ذات الله وصفة الربوبية بالمطابقة، وعلى ذات الله وحدها بالتضمن، وعلى الربوبية وحدها بالتضمن، ويدل باللزوم على الصفات اللازمة لقيام الربوبية كالحياة والقيومية والعلم والمشيئة والقدرة، والملك والغنى والقوة، والإحياء والإبقاء والهداية، والرزق والإمداد والرعاية، والإفناء والإماتة والإعادة، والهيمنة والعزة والإحاطة، وكل ما يلزم من صفات الذات وصفات الأفعال لتخليق الشيء وتصنيعه، وكمال إيجاده واختراعه، فصفة الخالق أن يستغنى بنفسه فلا يحتاج إلى غيره، وأن يفتقر إليه كل من سواه، كما أن اسم الرب يدل أيضا بدلالة اللزوم على تدبير أمر المخلوقات وتقدير أحوالهم، والقيام على شؤونهم، والعناية واللطف بهم، والهداية إلى ما يصلحهم، والفصل والقضاء والحكم بينهم، وتهيئة الكون لتحقيق الغاية من خلقهم.) [٨٩]

توحيد الربوبية إصطلاحاً

توحيد الربوبية فهو إفراد الله تبارك وتعالى بالربوبية وهي الخلق والتدبير الكوني والشرعي كما قال الله عز وجل (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف ٥٤).
فالرب عز وجل فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق، ولا رازق، ولا معطي ولا مانع، ولا محيي ولا مميت، ولا باسط ولا قابض، ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرا وباطنا غيره سبحانه وتعالى، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا أحصاها، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته، فهو سبحانه وتعالى المتفرد بربوبية خلقه إيجاداً وإمداداً، وخلقاً، وتدبيراً.
قال تعالى: (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) (البروج ١٦).
وقال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ) (يونس ٣١).
وقال: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الروم ٤٠).
وقال: (إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) (يوسف ١٠٠).

الصفات الاختيارية

إن توحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله سبحانه، والإيمان بالقضاء والقدر يدخل في توحيد الربوبية؛ لأن القدر من أفعال الله جل وعلا (القدر قدرة الله)، فتدبير الخلق والتقدير عليهم من مقتضيات ربوبية الله تعالى، ولا يقع شيء في ملكه إلا وقد قدره وشاءه سبحانه.
والصفات الاختيارية هي أفعال الله تعالى التي تتعلق بمشيئته واختياره. أو بمعنى آخر هي: أفعال الله تعالى التي تقع باختياره وإرادته ومشيئته وتسمى الصفات الفعلية، وربما تسمى الأفعال الاختيارية.
وكل صفة تعلقت بالمشيئة فإنها صفة فعلية، وكل ما تعلق بالمشيئة؛ إن شاء الله تعالى فعله، وإن شاء لم يفعله فإنها من الصفات الفعلية، هذا هو الحد المميز أو الفاصل بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية. [٩٠]

---

[٨٩] شرح الأسماء الحسنى الدالة على صفات الذات / الدكتور محمود عبد الرازق الرضواني، المحاضرة الأولى، دار العقيدة المصرية، الموقع الرسمي للدكتور الرضواني.www.alridwany.com

[٩٠] قلت: الصفات الثبوتية (المثبتة) نوعان: صفاتٌ ذاتية وصفاتٌ فعلية، فالصفات التي لا يمكن أن تنفك عن الله تعالى بحال، بل هو متصفٌ بها أزلاً وأبدًا هي الصفات الذاتية، والصفات التي تتعلق بالمشيئة فمتى ما شاء الله فعلها ومتى ما شاء لم يفعلها فهي الصفات الفعلية.

قال الله سبحانه وتعالى: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (القصص ٦٨)، وقال تعالى: (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (المائدة ١٧)، وقال تعالى: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ) (الروم ٥٤).

والصفات الاختيارية أعم من الصفات الفعلية لأنها:

١/ تشمل بعض الصفات الذاتية التي لها تعلق بالمشيئة، مثل: الكلام، السمع، البصر، الإرادة، المحبة، الرضا، الرحمة، الغضب، السخط.

٢/ تشمل الصفات الفعلية غير الذاتية:

أ / مثل: الخلق، الإحسان، العدل.

ب / مثل: الاستواء، المجيء، الإتيان، النزول.

أفعال الله تعالى

إن قدرة الله تعالى هي قدرته على الفعل والفعل نوعان:

(لازم ومتعد والنوعان في قوله: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (الحديد ٤) فالاستواء والإتيان والمجيء والنزول ونحو ذلك أفعال لازمة لا تتعدى إلى مفعول؛ بل هي قائمة بالفاعل والخلق والرزق والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع والهدى والنصر والتنزيل ونحو ذلك تتعدى إلى مفعول). [٩١]

أو بمعنى آخر:

١. أفعال لازمة: ما كان منها متعلقاً بالذات الإلهية، وليس لها تأثير على المخلوقات، كالتكلم والنزول والاستواء إلى السماء والاستواء على العرش ومجيء الله تعالى يوم القيامة ونحو ذلك. وتسمى هذه الأفعال **أفعال الصفات**.
٢. أفعال متعدية: ما كان منها متعدياً إلى غيره، ولها تأثير على المخلوقات، كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التدبير الأخرى.

فهي أفعال لله عز وجل، لكنها متعدية إلى الخلق، وتسمى هذه الأفعال أفعال **الربوبية**.

فعندما نعرف توحيد الربوبية بأنه توحيد الله بأفعاله فإنه يشمل هذه الأنواع جميعاً فلا يكون دقيقاً، وعندما نعرف توحيد الربوبية بأنه إفراد الله بالخلق والرزق والملك والتدبير، فإن هذا يكون أدق؛ لأنه يتعلق بأفعاله المتعدية التي يسميها أهل العلم **بأفعال الربوبية**.

قال سبحانه وتعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) (الحديد ٤)، فذكر فعلين متعدٍ ولازم، فالخلق متعد وهو من أفعال الربوبية، والاستواء لازم وهو من أفعال الصفات، وكلاهما حاصل بقدرته ومشيئته وهو متصف به سبحانه وتعالى. [٩٢]

---

[٩١] مجموع الفتاوى/ شيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ١٩/٨.

[٩٢] قلت: مثال لتوضيح الفرق بين الاسم والصفة وصفة الفعل والفعل، القدير اسم الله تعالى، والقدرة صفة الله تعالى، والتقدير صفة فعل، وقدَّر فعل متعدٍ. وقس على ذلك. وصفة الفعل هي الصفة المتعلقة بمشيئة الله تعالى، قال تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) (الفرقان/٢)، وأما الفعل فمتعلق بالمشيئة والزمن، قال صلى الله عليه وعلى اله وسلم: (إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء).

أنواع ربوبية الله على خلقه

ربوبية الله على خلقه على نوعين:

١-الربوبية العامة: وهي لجميع الناس؛ بَرّهم وفاجرِهم مؤمنِهم وكافرِهم؛ وهي خلقه للمخلوقين، ورزقُهم، وهدايتهم، لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم في الدنيا.

٢-الربوبية الخاصة: وهي تربيته لأوليائه المؤمنين، فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم، ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب؛ فإن مطالبهم كلَّها داخلةٌ تحت ربوبيته الخاصة.

قال تعالى:

- (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) (البقرة ١٢٧-١٢٩)
- (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (المائدة ١١٤)
- (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) (يونس ٨٨)
- (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۝ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۝ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۝ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) (ابراهيم ٣٥ – ٤١)
- (قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه ٥٠)

الفطرة

قال الخليل في (العين): (وفطر الله الخلق، أي خلقهم، وابتدأ صنعة الأشياء، وهو فاطر السماوات والأرض، والفطرة التي طبعت عليها الخليقة من الدين، فطرهم الله على معرفته بربوبيته. وانفطر الثوب وتفطر أي انشق، وتفطرت الجبال والأرض انصدعت).

والفطرة ها هنا الإسلام، وهو المعروف عند عامة السلف أهل التأويل، وقد أجمعوا في تأويل قوله عز وجل: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) (الروم ٣٠)، على أن: فطرة الله، دين الله الإسلام.

والفطرة بهذا المعنى هي دليل من أدلة الربوبية التي غرسها الله عز وجل في بني آدم وخلقهم عليها، وهي توحيده سبحانه وتعالى وعدم الشرك به، ثم تتغير هذه الفطرة بما يجتالها من شياطين الجن، والأهواء والشهوات.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن قوله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة) ما معناه؟ أراد فطرة الخلق أم فطرة الإسلام؟

فأجاب: (الحمد لله، أما قوله صلى الله عليه وسلم (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٩٣] فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى) (الأعراف ١٧٢). وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة. فإن حقيقة (الإسلام) أن يستسلم لله؛ لا لغيره وهو معنى لا إله إلا الله وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال: (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟) بين أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن وأن العيب حادث طارئ.

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن الله: (إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا). [٩٤] ولهذا ذهب الإمام أحمد رضي الله عنه في المشهور عنه: إلى أن الطفل متى مات أحد أبويه الكافرين حكم بإسلامه؛ لزوال الموجب للتغيير عن أصل الفطرة. وقد روي عنه؛ وعن ابن المبارك وعنهما: أنهم قالوا: (يولد على ما فطر عليه من شقاوة وسعادة)، وهذا القول لا ينافي الأول فإن الطفل يولد سليما وقد علم الله أنه سيكفر فلا بد أن يصير إلى ما سبق له في أم الكتاب كما تولد البهيمة جمعاء وقد علم الله أنها ستجدع. وهذا معنى ما جاء في صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغلام الذي قتله الخضر: طبع يوم طبع كافرا؛ ولو ترك لأرهق أبويه طغيانا وكفرا)[٩٥] يعني طبعه الله في أم الكتاب أي كتبه وأثبته كافرا؛ أي أنه إن عاش كفر بالفعل. ولهذا (لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يموت من أطفال المشركين وهو صغير قال: الله أعلم بما كانوا عاملين)[٩٦] أي الله يعلم من

---

[٩٣] قال الشيخ الالباني في تخريجه لكتاب (رفع الاستار) ص١٢٤: هو في (الصحيحين) وغيرهما بألفاظ متقاربة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وله عنه طرق كثيرة خرجت خمسا منها في (إرواء الغليل) وخرجت له فيه شاهدين من حديث الأسود بن سريع وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما فمن شاء فليرجع إليه (١٢٢٠). إهـ

قلت: في سنن ابي داود بتحقيق الشيخ الالباني:

٤٧١٤-عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تناتج الإبل من بهيمة جمعاء هل تحس من جدعاء قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير قال: الله أعلم بما كانوا عاملين).

تحقيق الشيخ الألباني: صحيح الترمذي ٢٢٣٧، صحيح الجامع ٤٥٦٠، الإرواء ١٢٢٠.

وفي صحيح الجامع للشيخ الالباني:

٤٥٥٩-(كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه).

صحيح: ابن عدي والطبراني عن الأسود بن سريع. الصحيحة ٤٠٢.

٤٥٦٠-(كل مولود يولد على الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويشركانه قيل: فمن هلك قبل ذلك؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين).

صحيح: الترمذي عن أبي هريرة. الإرواء ١٢٢٠.

[٩٤] في صحيح مسلم ٧٣٨٦ - عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ في خُطْبَتِهِ: (أَلاَ إِنَّ رَبِّى أَمَرَنِى أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِى يَوْمِى هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عبادي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ وَإِنَّ اللَّهَ أمرني أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رأسي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً قَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ. قَالَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ - قَالَ - وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ الضَّعِيفُ الَّذِى لاَ زَبْرَ لَهُ الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَتْبَعُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً وَالْخَائِنُ الَّذِى لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِى إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ). وَذَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ (وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ). وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو غَسَّانَ في حَدِيثِهِ (وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ).

[٩٥] في صحيح الجامع للشيخ الالباني ٤١٨٣-"الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا وكفرا".

صحيح: مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي. السنة ١٩٣: ابن أبي عاصم.

[٩٦] في ظلال الجنة للشيخ الالباني ٢٠٨ -عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: سئل عن اولاد المشركين من مات منهم صغيرا فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين). إسناده جيد وقد أخرجه مسلم (٨ / ٤٥) من طريق أخرى عن سفيان به وأخرجه

يؤمن منهم ومن يكفر لو بلغوا. ثم إنه قد جاء في حديث إسناده مقارب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " (إذا كان يوم القيامة فإن الله يمتحنهم ويبعث إليهم رسولا في عرصة القيامة فمن أجابه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار) [٩٧]فهنالك يظهر فيهم ما علمه الله سبحانه ويجزيهم على ما ظهر من العلم وهو إيمانهم وكفرهم؛ لا على مجرد العلم.

وهذا أجود ما قيل في أطفال المشركين وعليه تتنزل جميع الأحاديث. ومثل الفطرة مع الحق: مثل ضوء العين مع الشمس وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب لرأى الشمس والاعتقادات الباطلة العارضة من تهود وتنصر وتمجس: مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس. وكذلك أيضا كل ذي حس سليم يحب الحلو إلا أن يعرض في الطبيعة فساد يحرفه حتى يجعل الحلو في فمه مرا. ولا يلزم من كونهم مولودين على الفطرة أن يكونوا حين الولادة معتقدين للإسلام بالفعل فإن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا [٩٨] ولكن سلامة القلب وقبوله وإرادته للحق: الذي هو الإسلام بحيث لو ترك من غير مغير لما كان إلا مسلما. وهذه القوة العلمية العملية التي تقتضي بذاتها الإسلام ما لم يمنعها مانع: هي فطرة الله التي فطر الناس عليها).[٩٩]

=

أحمد (٢ / ٢٤٤) عن سفيان به ثم أخرجه (٢ / ٢٦٤) من طريق أخرى عن أبي الزناد وأخرجه البخاري (٤ / ٢٥٢) من طريق اخرى عن أبي هريرة تأتي بعد الحديث.

[٩٧] روى الامام احمد في المسند ١٦٣٠١ - عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا "، قال محققو المسند: حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. قلت: وهو في السلسلة الصحيحة للألباني ١٤٣٤.

[٩٨] قال ابن القيم : (فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده فإنه الله يقول: (وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) (النحل ٧٨) ، ولكن فطرته موجبة مقتضية لدين الإسلام لقروبه ومحبته فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له وموجبات الفطرة ومقتضياتها تحصل شيئا بعد شيء بحسب كمال الفطرة إذا سلمت من المعارض وليس المراد ايضا مجرد قبول الفطرة لذلك فإن هذا القبول تغير بتهويد الأبوين وتنصيرهما بحيث يخرجان الفطرة عن قبولها وإن سعيا بين بينهما ودعائهما في امتناع حصول المقبول ايضا ليس هو الإسلام وليس هو هذه الملة وليس هو الحنيفية وأيضا فإنه شبه تغيير الفطرة بجدع البهيمة الجمعاء ومعلوم أنهم لم يغيروا قبوله ولو تغير القبول وزال لم تقم عليه الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب بل المراد أن كل مولود فإنه يولد على محبته لفاطره وإقراره له بربوبيته وادعائه له بالعبودية فلو خلي وعدم المعارض لم يعدل عن ذلك إلى غيره كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من الأغذية والأشربة فيشتهي اللبن الذي يناسبه ويغذيه وهذا من قوله تعالى: (رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى) (طه ٥٠)، وقوله: (الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) (الأعلى ٢ - ٣)، فهو سبحانه خلق الحيوان مهتديا إلى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره ثم هذا الحب والبغض يحصل فيه شيئا فشيئا بحسب حاجته ثم قد يعرض لكثير من الأبدان ما يفسد ما ولد عليه من الطبيعة السليمة والعادة الصحيحة فهكذا ما ولد عليه من الفطرة ولهذا شبهت الفطرة باللبن بل كانت إياه في التأويل للرؤيا ولما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء اللبن والخمر أخذ اللبن فقيل له أخذت الفطرة ولو أخذت الخمر لغوت أمتك فمناسبة اللبن لبدنه وصلاحه عليه دون غيره لمناسبة الفطرة لقلبه وصلاحه بها دون غيرها). إه

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل/ ابن القيم الجوزية، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر -بيروت، ١٣٩٨ – ١٩٧٨، ص٢٨٩.

[٩٩] مجموع الفتاوى / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية -المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٢٤٥/٤-٢٤٧.

المبحث الثاني: خصائص توحيد الربوبية [100]

١-أن توحيد الربوبية دليل على توحيد العبادة فإن الله سبحانه وتعالى احتج على المشركين الذي أخلوا بتوحيد الألوهية بإقرارهم بالربوبية كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۞ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢١و٢٢).

فأمر سبحانه وتعالى بعبادته وذكر البرهان على أنه مستحق للعبادة وهو قوله: (الَّذِي خَلَقَكُمْ) إلى قوله: (رِزْقاً لَّكُمْ) وهو برهان على بطلان إلهية ما سواه ولهذا قال: (فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً) وقوله تعالى: (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) إلزاما لهم بما يقرون به.

٢-أن إقرار الناس بالربوبية أسبق من إقرارهم بتوحيد الألوهية، وفي ذلك يقول ابن تيمية: (ولما كان علم النفوس بحاجتهم وفقرهم إلى الرب قبل علمهم بحاجتهم وفقرهم إلى الإله المعبود وقصدهم لدفع حاجتهم العاجلة قبل الآجلة كان إقرارهم بالله من جهة ربوبيته أسبق من إقرارهم به من جهة ألوهيته...) إلى أن قال: (ولهذا إنما بعث الرسل يدعونهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له الذي هو المقصود المستلزم الإقرار بالربوبية وقد أخبر عنهم أنهم: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (الزخرف ٨٧).

(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلا إِيَّاهُ) (الإسراء ٦٧).

وقال: (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (لقمان ٣٢).

فأخبرهم أنهم مقرون بتوحيد الربوبية وأنهم مخلصون له الدين إذا مسهم الضر في دعائهم واستعانتهم، ثم يعرضون عن عبادته في حال حصول أغراضهم وكثير من المتكلمين إنما يقررون الوحدانية من جهة الربوبية، أما الرسل فهم دعوا إليها من جهة الألوهية).[101]

٣-أن توحيد الربوبية قد أقر به المشركون كما قال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ) (يونس ٣١).

وقال تعالى: (قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) (المؤمنون ٨٤-٨٩).

وقال تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) (لقمان ٢٥).

وقال تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) (الزخرف ٨٧).

وقال المقريزي: (ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السماوات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنما أنكروا توحيد الألوهية) إلى أن قال: (من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيته ولو وحد في ربوبيته، فتوحيد الربوبية هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها، وتوحيد الألوهية مفترق الطرق بين المؤمنين والمشركين). [102]

فلأن الإقرار بالربوبية كان مسلما به عند المشركين لم يرسل الله رسولا لتحقيق هذا التوحيد، ولم تعرض له الكتب السماوية كما عرضت لتوحيد العبادة لأنه تحصيل حاصل.

---

[100] نقل المبحث من: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة / الشيخ محمد بن عبد الرحمن الخميس – دار الصميعي، المملكة العربية السعودية. ص ٢١٦-٢٢٠.

[101] مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي وساعده ابنه محمد، طبعة مؤسسة الرسالة ـ بيروت.١٤/١٤-١٥.

[102] تجريد التوحيد ص٢٠، ٢١.

والمصيبة أن أهل الكلام أفنوا أعمارهم لتحقيق هذه القضية المسلَّم بها حتى عند المشركين. وليتهم وقفوا عند هذا الباب بل زعموا أن توحيد الربوبية هو الغاية العظمى من بعثة الرسل، وأنهم إذا أثبتوه بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد.[١٠٣]

وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده: (أصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له... وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد. وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كما تشهد به آيات الكتاب العزيز).[١٠٤]

والرد على هذا ما يلي:

أ/ أن توحيد الربوبية نوع من التوحيد فهو بعضه لا جميعه، وقد أقر به المشركون، فكيف مع ذلك يكون هو الغاية العظمى من بعثة الرسل؟

ب/ أن مجرد الإقرار بهذا التوحيد فقط لا يوجب الدخول في الإسلام ولا يصير به الرجل مسلما.

فمشركو العرب كانوا مقرين بأن الله تعالى وحده خالق كل شيء، ومع هذا سماهم مشركين، حيث قال عنهم: (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) (يوسف ١٠٦).

فالمراد بقوله تعالى: (وَمَا يُؤْمِنُ) هو تصديقهم واعترافهم بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت، والمراد من قوله تعالى: (إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ) أي أنهم أشركوا مع الله في عبادته وهذا ما فسر به السلف هذه الآية. [١٠٥]

قال محمود الألوسي الحنفي في تفسير هذه الآية: (يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالى وخالقيته مثلا وكان مرتكبا ما يعد شركا كيفما كان، ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها المعتقدون للنفع والضر ممن الله تعالى أعلم بحاله فيها وهم اليوم أكثر من الدود).[١٠٦]

ج/ أن توحيد الألوهية هو الغاية العظمى والمقصد الأعلى وهو أول دعوة الرسل والغاية من خلق الجن والإنس كما يشهد بذلك الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة.

قال تعالى: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) (النحل ٣٦).

ومن السنة حديث ابن عباس وفيه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا إلى اليمن قال: (إنك تقدم على قوم أهل كتاب. فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عزَّ وجلَّ...)[١٠٧].

فهذان النصان الشرعيان دالان على أن أول دعوة الرسل والغاية من بعثتهم هي الدعوة إلى توحيد الله في العبادة والنصوص الشرعية في ذلك كثيرة. إهـ [١٠٨]

---

[١٠٣] انظر اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د. ناصر العبد الكريم العقل، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ، شركة العبيكان ـ الرياض.٢/٨٤٥-٨٤٦؛ ومجموع الفتاوى ٩٨/٣؛ وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب، طبعة دار البيان ـ دمشق. ص١٣.

[١٠٤] رسالة التوحيد لمحمد عبده، الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٥هـ، دار إحياء العلوم ـ بيروت / ص٤٣.

[١٠٥] كابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة والشعبي وقتادة والضحاك. انظر جامع البيان ٧٧/١٤. ومعالم التنزيل ٤٥٢/٢.

[١٠٦] قلت: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى ١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ٦٤/٧.

[١٠٧] أخرجه مسلم: كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ٥١/١ ح٣١ طريق أبي معبد عن ابن عباس.

[١٠٨] أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة. ص٢١٦-٢٢٠.

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية (الشرك في الربوبية)

بالرغم من أن توحيد الربوبية أمر مركوز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه. [١٠٩]

(إن الشرك في الربوبية أحد أقسام الشرك الأكبر، وهو شرك يتعلق بذات الله عز وجل.

أولا: تعريفه

هو صرف خصائص الربوبية كلها، أو بعضها لغير الله عز وجل، أو تعطيله عز وجل عنها بالكلية.

وخصائص الربوبية هي: التفرد بالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والإعطاء والمنع، والضر، والنفع، وغير ذلك.

ثانيا: نوعاه

الشرك في الربوبية نوعان:

١/ شرك تعطيل

٢/ شرك تمثيل

١-شرك التعطيل:

تعريفه: هو تعطيل المصنوع عن صانع، وتعطيل الصانع عن أفعاله ويكون ذلك بتعطيل خصائص الربوبية، وإنكار أن يكون الله رب العالمين[١١٠].

ومن الأمثلة عليه: [١١١] شرك فرعون الذي عطل الربوبية ظاهرا؛ (قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِين) (الشعراء ٢٣)، وقال لهامان: (يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا) (غافر ٣٦-٣٧).

ومن هذا الشرك: [١١٢] شرك أهل وحدة الوجود؛ كابن عربي، وابن سبعين، وغيرهم الذين يقولون: إن الخالق عين المخلوق؛ فعطلوا لله عز وجل عن أن يكون رب العالمين، ولم يفرقوا بين رب، وعبد.

٢-شرك التمثيل:

تعريفه: هو التسوية بين الله وخلقه في شيء من خصائص الربوبية، أو نسبتها إلى غيره عز وجل.[١١٣]

ومن الأمثلة عليه: [١١٤] شرك النصارى الذين اتخذوا معه أربابا، فجعلوه ثالث ثلاثة؛ وشرك المجوس القائلين بأن للعالم ربين أحدهما خالق للخير، والآخر خالق للشر؛ وشرك الصابئة الذين زعموا أن الكواكب هي المدبرة لأمر العالم؛ وشرك القدرية (مجوس هذه الأمة) القائلين بأن كل إنسان يخلق فعل نفسه؛ وشرك عباد القبور الذين يزعم أن أرواح الأولياء تتصرف بعد الموت، فتقضى الحاجات، وتفرج الكربات، وتنصر من دعاها، وتحفظ من لاذ بحماها. ومثلهم مزاعم غلاة الصوفية في الأولياء: أنهم ينفعون ويضرون ويتصرفون في الأكوان إلخ). إهـ[١١٥]

---

[١٠٩] أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة / نخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية -الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. ص١٩.

[١١٠] انظر الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص٢٣١.

[١١١] انظر تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص٦٩.

[١١٢] انظر الدين الخالص لصديق حسن خان ١/ ٣١٥.

[١١٣] انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للدكتور إبراهيم البريكان ص١٤٧.

[١١٤] انظر: تجريد التوحيد المفيد للمقريزي ص٥٥-٥٧، ٧٠. والجواب الكافي لابن القيم ٢٣١-٢٣٢. وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ١/ ٣٨. وتوحيد الربوبية لمحمد إبراهيم الحمد ص٢١-٢٥.

[١١٥] المفيد في مهمات التوحيد / الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي – دار الاعلام، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ -١٤٢٣هـ. ص١١٢ – ١١٣. وانظر غير مأمور، تسهيل العقيدة الإسلامية / الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ص ١٥٢-١٥٤.

المبحث الرابع: القدرية والشرك الخفي

(القدرية شركهم في الربوبية شرك خفي، وليس شركاً عاماً، فهو شرك فيه تأويل، حيث حصلت لهم الشبهة، وهو زعمهم أن المعاصي إذا خلقها الله لا يستقيم أن يعذب عليها، والمعروف عند العلماء أن القدرية مبتدعة.

والقدرية طائفتان:

الطائفة الأولى: القدرية الأولى، وهم الغلاة الذين أنكروا علم الله وكتابته، فهؤلاء كفار؛ لأن مراتب القدر أربع: علم الله بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، والإرادة والمشيئة، والخلق.

فالقدرية الأولى الذين أنكروا المرتبتين الأوليين - العلم والكتابة - كفار؛ لأن من أنكر العلم فقد نسب الله إلى الجهل، وهذا كافر بالإجماع، وهم الذين قال فيهم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا، وإن أنكروه كفروا.

أما القدرية المتأخرون فيقرون بعلم الله، وأن الله كتب الأشياء، وأن الله أراد الأشياء، وأن الله خلق الأشياء كلها، لكن بالنسبة لأفعال العباد خاصة حصلت لهم الشبهة بتأويل، ولو كان معتقدهم إنكاراً من دون تأويل لكان كفراً، لكنه عن تأويل بسبب الشبهة التي عرضت لهم، بخلاف الأمور الواضحة، مثل شرك العبادة، كعبادة القبور، والنذر لغير الله، والذبح لغير الله، ودعاء غير الله، فهذه أمور واضحة لا لبس فيها ولا إشكال.

ومما يبين أن الشيء إذا كان خفياً قد يعذر صاحبه ما ثبت في الصحيحين في مواضع متعددة من قصة الرجل الذي كان من بني إسرائيل،[١١٦] فقال لبنيه: (إني أسرفت على نفسي، وإني أخاف أن يعذبني الله عذاباً شديداً، فإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الهواء، فو الله لئن قدر الله علي ليعذبني عذاباً شديداً، ففعل به بنوه لما مات ذلك، فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر الله البر فجمع ما فيه فإذا هو قائم، فسأله الله عن ذلك، فقال: ما الذي حملك على ذلك؟ قال: يا رب! مخافتك، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فغفر الله له).

فهذا الرجل ما أنكر قدرة الله، وما أنكر البعث، وإنما أنكر كمال تفاصيل القدرة، وظن أنه إذا أحرق وذري لا يقدر الله عليه، وهو يعلم أنه لو لم يفعل به ذلك فإنه سيبعث، يقول: إذا ما أحرقتموني بعثني الله، لكن أحرقوني وذروني فلا يقدر الله على بعثي، والذي حمله على ذلك أمران: الجهل وخوف العذاب؛ لأن هذا الأمر خفي بالنسبة إليه، فلما كان الذي حمله عليه الجهل والخوف العظيم من الله غفر الله له.

فالشيء الخفي قد يعذر صاحبه، بخلاف الشيء الواضح، فلو أنكر أحد البعث كفر، أو أنكر قدرة الله كفر، وهذا مؤمن بالله ومؤمن بقدرة الله، وظن أنه إذا أحرق وذري في البر والبحر لا يقدر الله عليه، فكذلك القدرية حصلت لهم هذه الشبهة). إهـ [١١٧]

وقسم شيخ الإسلام ابن تيمية القدرية إلى ثلاثة أقسام فقال: (وأهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق: مجوسية، ومشركية، وإبليسية.

---

[١١٦] قلت: جاء في صحيح البخاري / باب الْخَوْفِ مِنَ اللهِ.

٦٤٨٠-عَنْ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ فَقَالَ لأَهْلِهِ إِذَا أَنَا مُتُّ فَخُذُونِي فَذَرُّونِي فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَفَعَلُوا بِهِ فَجَمَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ مَا حَمَلَكَ عَلَى الَّذِي صَنَعْتَ قَالَ مَا حَمَلَنِي إِلاَّ مَخَافَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ.

٦٤٨١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ رَجُلاً فِيمَنْ كَانَ سَلَفَ، أَوْ قَبْلَكُمْ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً وَوَلَدًا، يَعْنِي أَعْطَاهُ قَالَ - فَلَمَّا حُضِرَ قَالَ لِبَنِيهِ أَيَّ أَبٍ كُنْتُ قَالُوا خَيْرَ أَبٍ قَالَ فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ عِنْدَ اللهِ خَيْرًا - فَسَّرَهَا قَتَادَةُ لَمْ يَدَّخِرْ - وَإِنْ يَقْدَمْ عَلَى اللهِ يُعَذِّبْهُ فَانْظُرُوا فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي، أَوْ قَالَ فَاسْهَكُونِي، ثُمَّ إِذَا كَانَ رِيحٌ عَاصِفٌ فَأَذْرُونِي فِيهَا فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي فَفَعَلُوا فَقَالَ اللَّهُ كُنْ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ ثُمَّ قَالَ أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ قَالَ مَخَافَتُكَ، أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ - فَمَا تَلاَفَاهُ أَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قلت: والحديث رواه الامام مسلم في صحيحه/ ٧٠٨٤-(٢٧-٢٧٥٧)، ورواه ابن حبان في صحيحه / ذِكْرُ رَجَاءِ مَغْفِرَةِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا لِمَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ حَالَةُ خَوْفِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَى حَالَةِ الرَّجَاءِ، وهو في التعليقات الحسان للشيخ الالباني / الحديث ٦٤٨ و٦٤٩.وانظر غير مأمور طرق الحديث في السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني / الحديث ٣٠٤٨.

[١١٧] دروس في العقيدة – رقم الدرس (٢) / الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي / دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net

فالمجوسية، الذين كذّبوا بقدر الله، وإن آمنوا بأمره ونهيه، فغلاتهم أنكروا العلم والكتاب، ومقتصدتهم أنكروا عموم مشيئة الله وخلقه وقدرته، وهؤلاء هم المعتزلة ومن وافقهم.

والفرقة الثانية: المشركية، الذين أقروا بالقضاء والقدر، وأنكروا الأمر والنهي، قال الله تعالى: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ) (الانعام ١٤٨)، فمن احتج على تعطيل الأمر والنهي بالقدر فهو من هؤلاء، وهذا قد كثر فيمن يدّعي الحقيقة من المتصوفة.

والفرقة الثالثة: الإبليسية، وهم الذين أقروا بالأمرين،[١١٨] لكن جعلوا هذا تناقضًا من الرب سبحانه وتعالى، وطعنوا في حكمته وعدله، كما يُذكر مثل ذلك عن إبليس مقدمهم، كما نقله أهل المقالات، ونقل عن أهل الكتاب). [١١٩]

(فالقدرية المجوسية: هم المعتزلة، شابهوا المجوس في نسبة الخلق لغير الله سبحانه وتعالى، كما أن المجوس نسبوا للظلمة مخلوقات.

والقدرية المشركية: هم الجبرية؛ لأن المشركين احتجوا بالقدر على الشرك وقالوا: (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (النحل ٣٥).

والقدرية الإبليسية: هم الذين يعترضون بالقدر على دين الله عز وجل وشرعه، وهم الزنادقة في الحقيقة، وسماهم ابن تيمية رحمه الله بذلك؛ لأن إبليس اعترض على الله عز وجل بالقدر أيضاً). [١٢٠]

---

[١١٨] قلت: أي القدر والشرع.

[١١٩] التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق الدكتور محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م. ص٢٠٧ – ٢٠٨.

[١٢٠] دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية / الشيخ عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، المصدر: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، رقم الدرس /١٠. http://www.islamweb.net

المبحث الخامس: توحيد الربوبية لا يتم إلاَّ بإثبات القدر

الإيمان بالقدر هو من ربوبية الله عز وجل، ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (القدر قدرة الله). لأنه من قدرته ومن عمومها بلا شك، وهو أيضا سر الله تعالى المكتوم الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، مكتوب في اللوح المحفوظ، في الكتاب المكنون الذي لا يطلع عليه أحد، ونحن لا نعلم بما قدره الله لنا أو علينا، أو بما قدره الله تعالى في مخلوقاته إلا بعد وقوعه أو الخبر الصادق عنه.

والإيمان بالقضاء والقدر يدخل في توحيد الربوبية؛ لأنه من أفعال الله جل وعلا، فمن جحد القضاء والقدر لم يكن مؤمناً بتوحيد الربوبية. ومن تأمل توحيد الربوبية وآمَنَ حَقًّاً بربوبية الله تعالى فإنه يؤمن بالقَدَرْ؛ لأنَّ الإيمان بالقدر من ثمرات الإيمان التام بربوبية الله تعالى، فإنَّ المؤمن بالربوبية، مؤمن بأنَّ الله تعالى هو الرب المتصرف في ملكه، وهو السيد المطاع، وهو الذي لا معقب لحكمه ولا راد لأمره، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته، ولا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، وهو الذي لا يُغالَب في ملكه، وهو الذي يعطي ويمنع ويخلق ويرزق ويميت ويحيي، ومن آمن بالربوبية على تفاصيلها فإنه لن يجادل في القدر؛ لأنه يعلم أنه مربوب مستسلم لله تعالى. قَالَ الله عز وجل فِي كِتَابِهِ الكريم (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) (الفرقان ٢)، وَقَالَ تَعَالَى (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) (الأحزاب ٣٨)، (إنا كل شيء خلقناه بقدر) (القمر ٤٩).

وأنّ مَن أنكر القدر فقد أشرك في توحيد الربوبيّة، لأنّه جَحد قدره وعلمَه وأنكر أن يكون ما يجري في هذا الكون بتقدير الله ومشيئَتِه، ووصف الله تعالى بالجهل وبالعجز، إلى غير ذلك.

ومن هذا نعلم أن من تمام توحيد الربوبية أن يؤمن الإنسان بالقدر، فمن ضل في مسألة القدر فإنه لم يحقق الإيمان بتوحيد الربوبية؛ لأن من توحيد الربوبية الإيمان بأن الله خالق، وأنه مالك، ولابد للخلق والملك من قدرة ومشيئة وعلم.

ويرى الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى بأن القدر له مساس بأقسام التوحيد الثلاثة:

(مسألة: الإيمان بالقدر هل هو متعلق بتوحيد الربوبية، أو بالألوهية، أو بالأسماء والصفات؟

الجواب: تعلقه بالربوبية أكثر من تعلقه بالألوهية والأسماء والصفات، ثم تعلقه بالأسماء والصفات أكثر من تعلقه بالألوهية، وتعلقه بالألوهية أيضا ظاهر؛ لأن الألوهية بالنسبة لله يسمى توحيد الألوهية، وبالنسبة للعبد يسمى توحيد العبادة، والعبادة فعل العبد؛ فلها تعلق بالقدر، فالإيمان بالقدر له مساس بأقسام التوحيد الثلاثة.).[١٢١]

وقال الشيخ محمد أمان بن علي جامي علي: (هكذا يتضح أن مدار القضاء والقدر وما يترتب عليهما إنما هو على أسماء الله وصفاته بصرف النظر عن نوع المقضي والمُقدّر.

فكل ذلك من الله ومن آثار أسمائه وصفاته. ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، والشأن كل الشأن في فقه ذلك: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)[١٢٢]). [١٢٣]

(فلو قيل إن معنى قوله صلى الله عليه وسلم: (إن لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة)[١٢٤] هو إدراك آثار الأسماء الحسنى والصفات العلى إدراك آثارها في الكون بما يقضيه الله ويقدره وفي النفس البشرية

---

[١٢١] القول المفيد على كتاب التوحيد / الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٤هـ. ٤٢٩/٢.

[١٢٢] قلت: (صحيح) رواه الامام احمد في المسند والشيخان عن معاوية، ورواه الامام احمد في المسند والترمذي عن ابن عباس، ورواه ابن ماجة عن أبي هريرة. وانظر غير مأمور، الروض النضير ١١٤٩، والسلسلة الصحيحة ١١٩٤ للشيخ الالباني.

[١٢٣] قلت: انظر غير مأمور مدارج السالكين لابن القيم الجوزية -١/ ٤١٨-٤٢٢، فصل المشهد الثامن مشهد الأسماء والصفات/ تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م.

[١٢٤] قلت: رواه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧).

والتصرفات الإنسانية اليومية وغيرها ثم التزام التعبد بآثار كل اسم دون أن يحجبه التعبد بآثار اسم معين عن التعبد بآثار أسمائه الأخرى، لو قيل: إن هذا من معاني الحديث لما كان هذا القول بعيداً فيما يبدو لي. [١٢٥]
ولو كنت أعلم أن لي سلفاً في هذا المعنى لاخترته وأيدته. وإن كان تحقيقه صعباً، ولكنه يسير على من يسره الله عليه. فالجنة سلعة غالية، فثمنها ليس في متناول كل أحد، (حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات)[١٢٦][١٢٧].
(وبالرجوع إلى القرآن العظيم، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وواقع دعوته، نجد أنها تولي أهمية بالغة وعناية خاصة بإزالة ما علق في قلوب الناس من مفاهيم وعقائد وظنون خاطئة، وذلك بالتركيز على تجلية **أسماء الله وصفاته وأفعاله، وحكمته وقدره وحقه على عباده،** والرد على من أثبت خلاف الحق في ذلك، وبهذه التجلية والبيان الواضح والرد الحاسم ينفك المسلم عن الطاغوت وكل ما يمت إليه بصلة، ويستمسك بالإيمان وكل ما يتصل به.
والخلل في معرفة الخالق تبارك وتعالى، أو حكمته وقدره، أو حقه على عباده، يُوجِد سوء ظن بالله يتناسب مع هذا الخلل، **سواء كان بجهل تلك الأسماء وما تدل عليه من الصفات، أو جهل بعض تفاصيل القدر وتوحيد الألوهية،** أو كان بفهمها فهماً يخالف الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة).[١٢٨]
(وبالجملة فكل دليل في القرآن على التوحيد فهو دليل على القدر وخلق أفعال العباد ولهذا كان إثبات القدر أساس التوحيد قال ابن عباس: (الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه التوحيد)).[١٢٩]

---

[١٢٥] قلت: قال الشيخ محمد رشيد رضا – صاحب المنار -: (أي من أحصاها حفظاً لمعانيها وعلماً بها وإيماناً، أو من استخرجها من كتاب الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم لأجل أن يزداد بها إيماناً ومعرفة بربه عز وجل، ويدعوه بها، أو من أطاق العمل بما تهدي إليه من الكمال والبر، أو من أخطرها بباله وتفكر في معانيها عند ذكرها بتلاوة القرآن والأذكار المأثورة خاشعاً معتبراً متدبراً راغباً راهباً... ولك أن تقول به كله...). مجلة المنار (١٧/ ٧٣٨).
وقال الشيخ السعدي: (وقوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) (الأعراف/١٨٠)، يشتمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.
أما دعاء المسألة: فإنه يسأل الله تعالى في كل مطلوب باسم يناسب ذلك المطلوب ويقتضيه، فمن سأل رحمة الله ومغفرته دعاه باسم الغفور الرحيم. ومن سأل الرزق سأله باسم الرزاق، وهكذا.
وأما دعاء العبادة: فهو التعبد لله تعالى بأسمائه الحسنى، فيفهم أولاً معنى ذلك الاسم الكريم، ثم يديم استحضاره بقلبه، حتى يمتلئ قلبه منه.
فالأسماء الدالة على العظمة والجلال والكبرياء تملأ القلب تعظيماً وإجلالاً لله تعالى.
والأسماء الدالة على الرحمة والفضل والإحسان تملأ القلب طمعاً في فضل الله ورجاءً لرَوْحِه ورحمته.
والأسماء الدالة على الود والحب والكمال تملأ القلب محبة وودا وتألهاً وإنابة لله تعالى.
والأسماء الدالة على سعة علمه ولطيف خبره توجب للعبد مراقبة الله تعالى والحياء منه.
وهذه الأحوال التي تتصف بها القلوب هي أكمل الأحوال، وأجل وصف يتصف به القلب وينصبغ به، ولا يزال العبد يمرن نفسه عليها حتى تنجذب نفسه وروحه بدواعيه منقادة راغبة، وبهذه الأعمال القلبية تكمل الأعمال البدنية.
فنسأل الله تعالى أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه، فإنه أكرم الأكرمين وأجود الجوادين). ينظر: القواعد الحسان في تفسير القرآن / العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -القاعدة الحادية والخمسون، المكتبة الالكترونية للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، الإصدار الثالث، إعداد موقع روح الإسلام: www.islamspirit.com.
[١٢٦] قلت: الحديث (حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات) رواه الامام احمد في المسند والامام مسلم في صحيحه والترمذي عن أنس، والامام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة، ورواه الامام احمد في الزهد عن ابن مسعود موقوفا.
قال الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر الحديث / ٣١٤٧ في صحيح الجامع.
[١٢٧] الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه / الشيخ أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى ١٤١٥هـ)، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ص٣٨١ – ٣٨٢.
[١٢٨] أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة/ عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ٣٥٦/١.
[١٢٩] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٦٥.

المبحث السادس: ارتباط العلم الإلهي في القرآن إما بالخلق والقدرة والتقدير وإما بالحكمة والتدبير [130]

لما كان توحيد الربوبية في القرآن الكريم والسنة النبوية يقوم على ركنين أساسيين أو معنيين جامعين، عليهما يدور محور الدليل النقلي وهما:

الأول: إفراد الله بالخلق والقدرة التقدير، وكل ما يلزم من صفات الذات وصفات الأفعال، لتخليق الشيء وتصنيعه، وكمال إيجاده واختراعه.

الثاني: إفراد الله بالحكمة والتدبير، من تدبير أمر المخلوقات وتقدير أحوالهم، والقيام على شؤونهم، والهداية إلى ما يصلحهم، والحكم بينهم في الدنيا والآخرة.

لما كان توحيد الربوبية يقوم على هذين الركنين كان العلم الإلهي مرتبطا أيضا بهذين الركنين، فإما يرتبط بالخلق والقدرة والتقدير وهو العلم السابق المسمى بعلم التقدير، أو يرتبط بالحكمة والتدبير، وهو علم الإحاطة، ولذلك إذا ذكرت معاني القدرة والخلق وباقي معاني الربوبية اقترن اسمه العليم باسمه القدير، وإذا ذكرت معاني الحكمة والأمر وأمور الشرائع والتدبير اقترن اسمه العليم باسمه الحكيم.

مثال للمواضع التي اقترن فيها اسمه العليم باسمه القدير:

١. قوله تعالى: (هُوَ الذِي خَلَقَ لكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (البقرة ٢٩).
٢. قوله تعالى: (قُل إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلمْهُ اللهُ وَيَعْلمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (آل عمران ٢٩).
٣. قوله تعالى: (وَاللهُ خَلقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلى أَرْذَلِ العُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلمَ بَعْدَ عِلمٍ شَيْئاً إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ) (النحل ٧٠).

ومثال للمواضع التي اقترن فيها اسمه العليم باسمه الحكيم:

١. قول الله تعالى: (وعَلمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلى الْمَلاَئِكَةِ فَقَال أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لا عِلمَ لنَا إِلا مَا عَلمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ) (البقرة ٣٢).
٢. قوله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لهُ وَلدٌ فَإِنْ لمْ يَكُنْ لهُ وَلدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً) (النساء ١١).
٣. قوله تعالى: (إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلى اللهِ لِلذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَليْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً) (النساء ١٧). إهـ

---

[130] دورة منة القدير بميت الرخا غربية – مصر، المحاضرة الثامنة، عنوان المحاضرة: (المرتبة الأولى من مراتب القدر العلم الدكتور محمود عبد الرازق الرضواني.www.alridwany.com

المبحث السابع: حقيقة الفوقية المطلقة للرب جل وعلا والتي هي من خصائص الربوبية وهي المستلزمة لعظمة الرب جل جلاله.

إثبات صفة العلو

قال الله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (طه ٥)، دلت هذه الآية على صفة من أهم الصفات لله تعالى وهي صفة العلو لله جل وعلا، والعلو علوان: علو مطلق، وعلو مقيد.

العلو المطلق: هو علو الشأن وعلو الذات (الفوقية)، وعلو القهر، وعلو القدر والمكانة، وهو من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله.

والعلو المقيد: هو علو الاستواء على العرش، فهذا علو مقيد بالعرش، وهو صفة فعلية (وصف فعل) وليست صفة ذاتية، لأنها تتعلق بمشيئة الله جل وعلا، إن شاء استوى، وإن شاء لم يستو.

أما العلو المطلق فإن الله جل وعلا اتصف بعلو الذات، وعلو الشأن وعلو القهر، علو الشأن أي: علو المكانة، والقدر والتعظيم، قال الله تعالى: (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) (غافر ١٥) سبحانه وتعالى، له الكمال المطلق، والجلال المطلق، والعظمة المطلقة، وقد أنكر على أهل الكفر والإلحاد أنهم ما عظموه حق عظمته، ولا قدروه حق قدره، قال الله تعالى: (مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) (نوح ١٣)، أي: تعظيماً وإجلالاً، وقال جل وعلا: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (الأنعام ٩١).

أما العلو الثاني من أنواع العلو المطلق فهو علو القهر وعلو الربوبية، فالله جل وعلا قهر عباده، وكل العباد تحت أمره، لا راد لأمره ولا لقضائه، قال الله تعالى: (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (النحل ٤٠)، وقال سبحانه: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) (مريم ٩٣)، تحت قهر الله جل وعلا، وقال الله تعالى: (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ) (الأنعام ١٨)، فهذا علو القهر.

أما علو الذات (علو الفوقية) ومعناه: أن الله عال بذاته على خلقه، وقد دل على ذلك أكثر من دليل من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، كما دل على ذلك العقل والفطرة.

أو بمعنى آخر: نثبت لله ثلاث أنواع للفوقية (علو مطلق):

- فوقية القهر (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (الأنعام ١٨).
- فوقية القدر والمكانة والمنزلة (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (سبأ ٢٣).
- فوقية الذات (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ) (الملك ١٦).

(قال الله تعالى: (إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) (مريم ٩٣ – ٩٤)، فهذا خضوع في النهاية، وأيضاً خضوع الربوبية في كل العباد، وكذلك كل العباد لا يستطيعون رد قضاء الله وقدره جل في علاه، فإنه لو أمرض الكافر، أو أراد موت الكافر، نفذ أمره جل في علاه، وهذا من باب علو القهر على عباده جل في علاه).[١٣١]

توحيد الربوبية وعلاقته بإثبات الاستواء على عرشه

من اللوازم الضرورية للإيمان بتوحيد الربوبية إفراد الله بالملك وإثبات الاستواء والفوقية، لأن إفراد الله بالخلق وتدبير الأمر، وتقديره للرزق يرتبط ارتباطا قويا بصفة الاستواء على العرش.

فإن توحيد الربوبية قائم على ركنيين اثنين: أحدهما إفراد الله بالخلق والقدرة والتقدير، والثاني إفراده بالحكمة والتدبير كما قال: (أَلا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِين) (الأعراف ٢٤)، (اللهُ خَالِقُ كُل شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُل شَيْءٍ وَكِيلٌ) (الزمر ٦٢)، (سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى الذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالذِي قَدَّرَ فَهَدَى) (الأعلى ١-٣).

---

[١٣١] شرح كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد / الشيخ محمد حسن عبد الغفار – الدرس التاسع. المصدر: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية -http://www.islamweb.net

فإذا كان توحيد الربوبية يقوم على إفراد الله بالخلق والتدبير، فإن كثيرا من معاني الربوبية ترتبط بهذين الركنين وتترتب عليهما، ومن أبرز هذه اللوازم المرتبطة بتوحيد الربوبية إفراد الله بالملك والاستواء والفوقية. ولا يبلغ العبد درجة التوحيد إلا إذا خلع عن نفسه رداء الربوبية واكتسى بثوب العبودية، فعلم واعتقد أنه عبد في ملك سيده مستخلف في أرضه أمين على ملكه، قد ابتلاه فيما أعطاه، وامتحنه فيما خوله واسترعاه.[١٣٢]
ومن هنا تعرف أهمية اعتقاد أن الله عز وجل منفرد في ملكه، مستو على عرشه، بائنٌ من خلقه عالم بأحوالهم ومتصرف فيهم من فوق عرشه، وبه يعرف عظم الربوبية وفضلها.
قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۞ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۞ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ) (فاطر ١٥ -١٧).

قول الناس: الآدمي جبار ضعيف

قول الناس: الآدمي جبار ضعيف أو فلان جبار ضعيف؛ فإن ضعفه يعود إلى ضعف قواه من قوة العلم والقدرة، وأما تجبره فإنه يعود إلى اعتقاداته وإراداته، أما اعتقاده فأن يتوهم في نفسه أنه أمر عظيم فوق ما هو ولا يكون ذلك، وهذا هو الاختيال والخيلاء والمخيلة وهو أن يتخيل عن نفسه ما لا حقيقة له. ومما يوجب ذلك مدحه بالباطل نظما ونثرا وطلبه للمدح الباطل فإنه يورث هذا الاختيال. وأما الإرادة فإرادة أن يتعظم ويعظم وهو إرادة العلو في الأرض والفخر على الناس وهو أن يريد من العلو ما لا يصلح له أن يريده وهو الرئاسة والسلطان حتى يبلغ به الأمر إلى مزاحمة الربوبية كفرعون ومزاحمة النبوة وهذا موجود في جنس العلماء والعباد والأمراء وغيرهم.[١٣٣]
قال صلى الله عليه واله وسلم: (إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا فيقول: ما صنعت شيئا ويجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله فيدنيه منه ويقول: نعم أنت!).[١٣٤]
وقال: (إنّ إبليس! يضعُ عرشهُ على الماءِ (وفي طريق: البحر)، ثم يبعثُ سراياهُ؛ فأدناهُم منه منزلةُ أعظمُهم فتنةً، يجيءُ أحدُهم فيقولُ: فعلتُ كذا وكذا، فيقولُ: ما صنعتَ شيئاً، ثمَّ يجيءُ أحدُهم فيقولُ: ما تركتُه حتى فرّقتُ بينهُ وبين امرأتهِ، فيُدنِيه منه ويقولُ: نِعم أنت! قال الأعمش: أراه قال: فيلتزِمُه).[١٣٥]
وعن أبي سعيد، قال: لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر في بعض طرق المدينة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتشهد أني رسول الله؟)، فقال هو: أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ما ترى؟)، قال: أرى عرشا على الماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ترى عرش إبليس على البحر، وما ترى؟)، قال: أرى صادقين وكاذبا، أو كاذبين وصادقا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لبس عليه، دعوه).[١٣٦] وفي رواية: عن جابر بن عبد الله، قال: لقي نبي الله صلى الله عليه وسلم ابن صائد، ومعه أبو بكر، وعمر، وابن صائد مع الغلمان، فذكر نحوه. [١٣٧]

---

[١٣٢] باختصار من دورة منة القدير بميت الرخا غربية – مصر / المحاضرة السابعة. عنوان المحاضرة: (توحيد الربوبية وعلاقته بإثبات الاستواء على عرشه) – الدكتور محمود الرضواني، وانظر كتاب سهل للدكتور الرضواني / الفقر الذاتي والغنى الذاتي. دار العقيدة المصرية، www.alridwany.com.

[١٣٣] مجموع الفتاوى / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية -المملكة العربية السعودية، عام النشر ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٢١٩/١٤.

[١٣٤] رواه الامام احمد في المسند والامام مسلم في صحيحه عن جابر. وقال الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر الحديث رقم / ١٥٢٦ في صحيح الجامع.

[١٣٥] قال الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة/ ٣٢٦١: أخرجه مسلم (١٣٨/٨)، وأحمد (٣١٤/٣)، وعبد بن حميد في المنتخب (١٠٣١/٢٠/٣).

[١٣٦] رواه الامام مسلم في صحيحه/٧٤٥٣-(٨٧-٢٩٢٥).

[١٣٧] رواه الامام مسلم في صحيحه/٧٤٥٤-(٨٨-٢٩٢٦).

المبحث الثامن: آثار توحيد الربوبية وثمراته

للإيمان بالربوبية آثار عظيمة، وثمرات كثيرة، فإذا أيقن المؤمن أن له ربّاً خالقاً هو الله تبارك وتعالى وأن هذا الرب هو رب كلِّ شيءٍ ومليكُه وهو مصرف الأمور، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض، أَنِسَت رُوحُه بالله، واطمأنت نفسه بذكره، ولم تزلزله الأعاصير والفتن، وتوجه إلى ربه بالدعاء، والالتجاء، والاستعاذة، وكان دائماً خائفاً من تقصيره، وذنبه؛ لأنه يعلم قدرة ربه عليه، ووقوعه تحت قهره وسلطانه، فتحصل له بذلك التقوى، والتقوى رأس الأمر، بل هي غاية الوجود الإنساني.

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: (ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربَّاً وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً).[١٣٨]

ومن ثمراته أن الإنسان إذا علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقن أن الله بيده خزائن السماوات والأرض، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى عما بأيديهم، وانبعث إلى إفراد الله بالدعاء والإرادة والقصد.

ثم إذا علم أن الله هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أمره كلَّه بيد الله انبعث إلى الإقدام والشجاعة غير هياب، وتحرر من رق المخلوقين، ولم يعد في قلبه خوف من سوى الله عز وجل.

وهكذا نجد أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

والكلام في مقتضيات الربوبية وما تثمره من ثمرات يفوق الحصر والعد، وما مضى إنما هو إشارات عابرة يقاس عليها غيرُها. [١٣٩]

---

[١٣٨] قلت: رواه الامام احمد في المسند والامام مسلم في صحيحه والترمذي عن العباس بن عبد المطلب. وصححه الشيخ الألباني. وانظر الحديث رقم /٣٤٢٥ في صحيح الجامع.

ورواه الامام ابن حبان في صحيحه: (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم نبياً)، وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان/١٦٩٢.

[١٣٩] توحيد الرُّبوبية / الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد، نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة الاصدار ٣,٤٣.

الباب الثاني
الايمان بالقضاء والقدر

الباب الثاني
الفصل الأول
الايمان بالقضاء والقدر

تمهيد

الإيمان بالقضاء والقدر هو السعادة، وهو ركن الإفادة من هذه الدنيا والاستفادة، منه تنشرح الصدور، ويعلوها الفرح والحبور، وتنزاح عنها الأحزان والكدور، فما أحلاها من حياة عندما يسلِّم العبد زمام أموره لخالقه سبحانه وتعالى، فيرضى بما قسم له، ويسلّم لما قدّر عليه، فتراه يحكي عبداً مستسلماً لمولاه، الذي خلقه وأنشأه وسواه، وبنعمه وفضله رباه وغذاه،[140] فيسعد في الدنيا ويؤجر في الأخرى.

ولا يتم ذلك إلا لمن فهم القضاء والقدر، وعرف أسراره، وعلم حكمه على فهم سلف الأمة، فهم على علم أقدموا، وعن فهم كفوا وأحجموا، فلابد من الوقوف حيث وقفوا، وقصر الأفهام على ما فهموا. [141]

و(أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلا عن الفاضل الجليل، ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، فهو من أسنى المقاصد والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان، التي يرجع إليها، ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالعدل قوام الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة، وكمال النعمة، ولا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، فبالقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين، (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (الأعراف ٥٢)).[142]

أهمية عقيدة القضاء والقدر

يعتبر موضوع القضاء والقدر من المواضيع المهمة لتعلقه بحياة الإنسان، فما من إنسان يعيش في هذه الحياة، ويسير في مناكبها على أي ديانة كان، وفي أي اتجاه اتجه في حياته العملية أو العقدية أو غيرها؛ إلا وقضية القضاء والقدر عنده من القضايا التي تشغل باله في كل وقت.

وقد دل الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وإجماع سلف الأمة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه من أصول الإيمان الستة، التي لا يتم إسلام العبد ولا إيمانه إلا بها، كما دلت على ذلك آيات من القرآن الكريم وأحاديث صحيحة مستفيضة بل متواترة عن الرسول الأمين عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم.

ومن ذلك قوله عز وجل: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (الحج ٧٠)، وقوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (الحديد ٢٢)، وقال تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر ٤٩).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبرائيل عليه السلام عن الإيمان، قال عليه الصلاة والسلام: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث، وتؤمن

---

[140] قلت: (غَذاهُ غَذْواً وغَذَّاه فاغْتَذى وتغَذّى. وَيُقَالُ: غَذَوْتُ الصبيَّ باللَّبَنِ فاغْتذَى أَي رَبَّيْته بِهِ، وَلَا يُقَالُ غَذَيْته، بِالْيَاءِ. والتَّغْذِيَة أَيضاً: التَّرْبية). لسان العرب لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة -١٤١٤ هـ ١١٩/١٥.

[141] دروس للشيخ عبد الرحمن صالح المحمود / المصدر: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الدرس /١١- القضاء والقدر. http://www.islamweb.net

[142] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٢.

بالقدر كله). قال: صدقت، الحديث. وهذا لفظ مسلم.[١٤٣] وخرج مسلم في صحيحه من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جبرائيل عليه السلام سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فأجابه بقوله: (أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)، فقال له جبرائيل: صدقت.[١٤٤] والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.) [١٤٥]

منزلة القضاء والقدر في عقيدة المؤمن

لا شك أن القضاء والقدر أحد أركان الإيمان الستة، التي بينها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لجبريل حين سأله عن الإيمان؛ (أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ورسله وتؤمن بالبعث الآخر وتؤمن بالقدر كله).[١٤٦]
ولذلك يعتبر الإيمان به جزء من عقيدة المؤمن، ولا يصح إيمانه إلا بالإيمان بالقضاء والقدر.
وقال العلماء الافاضل: إن مبحث القضاء والقدر داخل في باب توحيد الربوبية؛ لأن القضاء والقدر فعل الله تعالى، وإذا كان فعلاً لله فهو صفة من صفاته [١٤٧]، ولذلك هو متعلق بتوحيد الربوبية، فالعلم والكتابة والإرادة والمشيئة والخلق من فعل الرب سبحانه وتعالى، وما كان فعلاً لله فهو صفة من صفاته، وباب الأسماء والصفات يدخل في باب توحيد الربوبية، لذا من لم يأت بالإيمان بالقضاء والقدر فإنه لا يصح توحيده أبداً، ولا يعتبر موحداً؛ لأنه أخل بجزء من أجزاء التوحيد، وهو الإيمان بربوبية الله تعالى المتضمن الأيمان بأسماء الله تعالى وصفاته وافعاله.
(وقد تنازع الناس في القدر من زمن بعيد حتى في عهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كان الناس يتنازعون فيه ويتمارون فيه، وإلى يومنا هذا والناس يتنازعون فيه، ولكن الحق فيه ولله الحمد واضح بين، لا يحتاج إلى نزاع ومراء، فالإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قد قدر كل شيء كما قال تعالى: (وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا) (الفرقان ٢)، وهذا التقدير الذي قدره الله عز وجل تابع لحكمته، وما تقتضيه تلك الحكمة من غايات حميدة، وعواقب نافعة للعباد في معاشهم ومعادهم). إهـ [١٤٨]
(ومن هنا كان اعتصام المؤمن بعقيدة الإيمان بالقضاء والقدر يعصمه من أمور كثيرة، على رأسها أمران:
أحدهما: عصمته في باب توحيد الربوبية الذي هو أساس وعمدة توحيد الألوهية.
والثاني: عصمته في مسيرته في الحياة، بألا يقع عنده تعارض بين القضاء والقدر والأمر والشرع.) [١٤٩]
قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: (والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر). [١٥٠]

---

[١٤٣] رواه أحمد (٢/ ٤٢٦) والبخاري (١/ ٥٠/١٥٣) ومسلم (١/ ٩/٣٩) والنسائي (٨/ ٤٧٥ -٤٧٦/ ٥٠٠٦) وابن ماجه (١/ ٦٤/٢٥). وأخرجه أبو داود (٥/ ٤٦٩٨/٧٤) مختصرا.

[١٤٤] رواه أحمد (١/ ٢٧) ومسلم (١/ ٣٦ -٣٨/ ٨) وأبو داود (٥/ ٦٩ -٧٣/ ٤٦٩٥) والترمذي (٥/ ٨ -٩/ ٢٦١٠) والنسائي (٨/ ٤٧٢ -٤٧٥/ ٥٠٠٥) وابن ماجه (١/ ٢٤ -٢٥/ ٦٣).

[١٤٥] موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (أكثر من ٩٠٠٠ موقف لأكثر من ١٠٠٠ عالم على مدى ١٥ قرنًا) / أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة -مصر، النبلاء للكتاب، مراكش – المغرب، الطبعة الأولى. ١٠ /٣٦٠ – ٣٦١. قلت: وتخريج الأحاديث كما وردت في المصدر.

[١٤٦] رواه البخاري ومسلم واللفظ له. وانظر الحديث: ١٨٧٣ في صحيح الترغيب والترهيب / الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ) مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الخامسة.

[١٤٧] قلت: أي: الفعلية، لأن صفات الله تعالى، صفات ذاتية وصفات فعلية.

[١٤٨] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن -دار الثريا، الطبعة الأخيرة -١٤١٣ هـ. ٢ / ٨٠.

[١٤٩] تيسير لمعة الاعتقاد / الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود. نسخة الكترونية -ص١٩٩، جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود. www.almahmood.islamlight.net

[١٥٠] صحيح مسلم / كتاب الإيمان -باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، الحديث ١٠٢.

وكذلك أيضاً قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه في مرض موته وهو يوصي ولده:(يا بني: إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطاك لم يكن ليصيبك). فالإيمان لا يتحقق إلا بالإيمان بالقضاء والقدر والتصديق به وان الله سبحانه وتعالى لـه الربوبية التامة، وأن ربوبيته مقتضية لأن يكون هو المدبر، الخالق، الرازق، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.[١٥١]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك).[١٥٢]

وقال الحسن البصري لتلاميذه: (والله لَوَضْعُ يدي هذه اليمنى في اليسرى بقضاء وقدر من الله، ومن لم يؤمن بالقضاء والقدر فقد كفر).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: (القدر قدرة الله).

فالواجب على الإنسان في هذا الباب أن يؤمن بقضاء الله وقدره، وأن يؤمن بشرع الله وأمره ونهيه، وعليه تصديق الخبر، وتنفيذ الأمر.

ولا يلزمه أن يعلم تفاصيل الحديث عن الإيمان بالقضاء والقدر، بل يكفي الإيمان المجمل.

---

[١٥١] تيسير لمعة الاعتقاد / الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود. نسخة الكترونية -ص١٩٩، جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود. www.almahmood.islamlight.net، ص ٢١٤ – ٢١٥.

[١٥٢] خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل / الامام محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى ٢٥٦ هـ، تحقيق فهد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ هـ، ٦٩/٢ – رقم ١٣١.

المبحث الأول: تعريف القضاء والقدر، والعلاقة بينهما [١٥٣]

القضاء

تعريف القضاء لغة

القضاء في اللغة مصدر الفعل قضى يقضي قضاءاً.

قال ابن فارس في مادة (قضى): القاف، والضاد، والحرف المعتل - أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته.

قال الله تعالى:(فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ) (فصلت ١٢).

أي أحكم خلقهن، ثم قال أبو ذؤيب الهذلي:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو نَسَجُ السوابغ تُبَّعُ [١٥٤]

والقضاء: هو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان.

وأصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه؛ فيكون بمعنى الخلق[١٥٥].

إطلاقات القضاء في القرآن الكريم

يطلق لفظ القضاء في القرآن إطلاقات عديدة منها: [١٥٦]

أ -الوصية والأمر: قال الله تعالى: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ) (الإسراء ٢٣)، أي أمر وأوصى.

ب -الإخبار: قال تعالى: (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ) (الإسراء ٤).

ج -الفراغ: قال تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ) (البقرة ٢٠٠)، وقال سبحانه: (فَإِذَا قَضَيْتُمْ الصَّلاَةَ) (النساء ١٠٣).

د -الفعل: قال تعالى: (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) (طه ٧٢).

هـ -الوجوب والحتم: قال تعالى: (وَقُضِيَ الأَمْرُ) (هود ٤٤)، وقال تعالى: (قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) (يوسف ٤١).

و -الكتابة: قال تعالى: (وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً) (مريم ٢١).

ز -الإتمام: قال تعالى: (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ) (القصص ٢٩)، وقال تعالى: (أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ) (القصص ٢٨).

ح -الفصل: قال تعالى: (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) (الزمر ٦٩).

ط -الخلق: قال تعالى: (فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ) (فصلت ١٢).

ي -القتل: قال تعالى: (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ) (القصص ١٥).

---

[١٥٣] التعريفات باختصار من كتاب - القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية / دراسة وتحقيق وشرح: الباحث محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد. نسخة الكترونية: www.toislam.net.

[١٥٤] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩٩/٥.

[١٥٥] انظر تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ص٤٤١-٤٤٢، وانظر المفردات لغريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٢٣، وانظر لسان العرب لابن منظور ١٨٦/١٥، والقاموس للفيروزأبادي ص١٧٠٨.

[١٥٦] انظر ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لأبي عُمَر محمد ابن عبدالواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، حققه وقدم له د. محمد ابن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص٢٥٣، ص٣٠٦، ص٥٧٦، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٤٤١-٤٤٢ ومعجم مقاييس اللغة ٩٩/٥، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، ضبط هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، ص٤٢٣-٤٢٤، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية، دار الشروق (ب ت) ص٥٠٩ - ٥١١، والوجوه والنظائر في القرآن الكريم، دراسة وموازنة د. سليمان ابن صالح القرعاوي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٥٢٩ - ٥٣٦.

القدر

تعريف القدر لغة

مصدر الفعل قَدِرَ يقْدَرُ قدَرَاً، وقد تسكن دالُه.[157]

قال ابن فارس في مادة (قدر): قدر: القاف، والدال، والراء، أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنه، ونهايته؛ فالقدْر مبلغ كل شيء، يقال: قَدْرُه كذا أي مبلغه، وكذلك القدَرُ، وقدَرْت الشيء أقدِره وأقدُره من التقدير[158].

والقدَر محركة: القضاء، والحكم، وهو ما يقدِّره الله عز وجل من القضاء، ويحكم به من الأمور.

والتقدير: التروية، والتفكير في التسوية أمر، والقَدَرُ كالقَدْر وجميعها جمعها: أقدار[159].

إطلاقات القدر في القرآن الكريم

يطلق القدر في القرآن عدة إطلاقات منها:

أ -التضييق: قال تعالى: (وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ) (الفجر ١٦).

ب -التعظيم: قال تعالى: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) (الأنعام ٩١).

ج -الاستطاعة، والتغلب، والتمكن: قال تعالى: (إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ) (المائدة ٣٤).

د -التدبير: قال تعالى: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) (المرسلات ٢٣)، أي دبَّرنا الأمور، أو أردنا وقوعها بحسب تدبيرنا.

هـ -تحديد المقدار، أو الزمان، أو المكان: قال تعالى: (وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) (سبأ ١٨)، وقال: (وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ) (فصلت ١٠).

و -الإرادة: قال تعالى: (فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) (القمر ١٢)، أي دبِّر، وأريد وقوعه.

ز -القضاء والإحكام: قال تعالى: (نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ) (الواقعة ٦٠).

أي قضينا، وحكمنا.

ح -التمهل والتَّروي في الإنجاز: قال تعالى: (إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ) (المدثر ١٨)، أي تمهَّل، وتروَّى؛ ليتبين ما يقوله في القرآن، وقال تعالى: (وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) (سبأ ١١)؛ أي تمهلْ، وتروَّ في السرد؛ كي تحكمه.

ط -الصنع بمقادير معينة: قال تعالى: (قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً) (الإنسان ١٦)[160].

العلاقة بين القضاء والقدر، وتعريفهما في الاصطلاح

العلاقة بين القضاء والقدر

من خلال ما سبق من تعريف القضاء والقدر في اللغة وبيان إطلاقاتهما في القرآن يتبين مدى العلاقةِ بينهما.

فمعاني القضاء تؤول إلى إحكام الشيء، وإتقانه، ونحو ذلك من معاني القضاء.

ومعاني القدر تدور حول ذلك، وتعود إلى التقدير[161]، والحكم، والخلق، والحتم، ونحو ذلك.

---

[157] النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ٢٢/٤.

[158] معجم مقاييس اللغة ٦٢/٥، وانظر ياقوتة الصراط ص٥٧٦، والنهاية ٢٣/٤.

[159] انظر لسان العرب ٧٢/٥، والقاموس المحيط، للفيروز ابادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ، ص٥٩١.

[160] انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز ابادي، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، المكتبة العلمية بيروت، توزيع دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة (ب ت) ٢٤٣/٤-٢٤٥، وياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن ص٥٧٦، والمفردات في غريب القرآن ص٤١٠-٤١٣، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية ص٤٩٥-٤٩٦.

[161] قلت: هذا بيان للفرق بين (القدير والقدرة والتقدير وقدَّر) فالقدير اسم لله تعالى، والقدرة صفة له سبحانه وتعالى وهي صفة ذاتية (معنوية) وهي ملازمة للذات، لا تنفك عنها، والتقدير فصفة فعل لله تعالى، والصفات الفعلية صفة متعلقة بمشيئته سبحانه، أما قدَّر ففعله سبحانه وتعالى والفعل متعلق بالمشيئة وبزمن.

القضاء والقدر في الاصطلاح الشرعي

القدر: خروج الممكنات من العدم إلى الوجود واحداً بعد واحد مطابقاً للقضاء.
والقضاء في الأزل، والقدر فيما لا يزال.[١٦٢]
وفي الاصطلاح: عبارة عن الحكم الكلي الإلهي في أعيان الموجودات على ما هي عليه من الأحوال الجارية في الأزل إلى الأبد[١٦٣]. [١٦٤]
والقضاء والقدر: هو تقدير الله تعالى للأشياء في القِدَم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها وخلقه لها.[١٦٥] إهـ[١٦٦]
وخلاصة القول: أن التعريف يجب أن يشمل مراتب القضاء والقدر: (وهي المراحل التي يمر بها المخلوق من كونه معلومة في علم التقدير الى أن يكون مخلوقا واقعا بقدرة القدير ومشيئته)،[١٦٧] التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر، وهي أربع مراتب:

المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.
المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.
المرتبة الثالثة: مشيئته لها.
المرتبة الرابعة: خلقه لها. [١٦٨]

ولهذا فالقَضَاء: هو علم الله بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ قبل كونها، وعموم مشيئته لها.
أما القَدَر: فهو علم الله بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ قبل كونها، وعموم مشيئته لها، وخلقه للأشياء كلها.

الفرق بين القضاء والقدر

قال الجرجاني: والفرق بين القدر والقضاء هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها[١٦٩].
وقال الحافظ العسقلاني في الفتح / كتاب الدعوات: (القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل والقدر الحكم بوقوع الجزئيات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل).[١٧٠]

---

[١٦٢] التعريفات / علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالشريف (٧٤٠هـ -٨١٦هـ)، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ١٤١٦هـ -١٩٥٥م، ص١٧٤.
[١٦٣] الأزل: هو الشيء الذي لا بداية له، والأبد: هو الشيء الذي لا نهاية له. أو يقال: الأزل: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية من جانب الماضي، والأبد: هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية من جانب المستقبل. انظر التعريفات للجرجاني ص٧.
[١٦٤] التعريفات للجرجاني ص١٧٧.
[١٦٥] القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه/ الدكتور عبد الرحمن المحمود، دار الوطن، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م، ص٣٩
[١٦٦] بإختصار من كتاب - القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية / دراسة وتحقيق وشرح: الباحث محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد. نسخة الكترونية: www.toislam.net. وأنظر غير مأمور مصطلحات في كتب العقائد – دراسة وتحليل، الباحث محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد، ١٤٢٦هـ. ص ١٦٩ – ١٧٦.
[١٦٧] دورة منة القدير في توحيد الربوبية ومسائل القضاء والقدر والحكمة والتدبير بميت الرخا - غربية – مصر، المحاضرة الثامنة، عنوان المحاضرة: (المرتبة الأولى من مراتب القدر العلم) / الدكتور محمود عبد الرازق الرضواني، وكتاب منة القدير لفضيلته، ص ٣٠٣. موقع الرضوانية دار العقيدة المصرية.www.alridwany.com
[١٦٨] وأنظر غير مأمور شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. ص٢٩.
[١٦٩] التعريفات ص١٧٤.

وقال ايضاً في الفتح كتاب القدر: (وقالوا أي العلماء القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله، وقال أبو المظفر بن السمعاني: سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء العي ولا ما يطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى اختص العليم الخبير به وضرب دونه الأستار وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف لهم قبل دخولها انتهى). [١٧١]

وقال العيني في العمدة: (فَإِن قلت: مَا الْفرق بَين الْقَضَاء وَالْقدر؟ قلت: الْقَضَاء عبارَة عَن الْأَمر الْكُلِّي الإجمالي الَّذِي حكم الله بِهِ فِي الْأَزَل، وَالْقدر عبارَة عَن جزئيات ذَلِك الْكُلِّي ومفصلات ذَلِك الْمُجْمل الَّتِي حكم الله بوقوعها وَاحِدًا بعد وَاحِد فِي الْإِنْزَال، قَالُوا: وَهُوَ المُرَاد بقوله تَعَالَى: (وَإِن من شَيْء إلاَّ عندنَا خزائنه وَمَا ننزله إلاَّ بِقدر مَعْلُوم) (الْحجر ٢١).). [١٧٢]

وخلاصة القول في الفرق بين القضاء والقدر أن:

١- القضاء ثلاث مراتب والقدر أربع، فالقضاء علم وكتابة ومشيئة، أما القدر فعلم وكتابة ومشيئة وخلق.
٢- القضاء غيب ويكون مشهودا بالقدرة عند وقوع القدر.
٣- القضاء يسبق القدر، ويشترك معه في علم التقدير، فكلاهما يتفقان في العلم والكتابة والمشيئة، ويزيد القدر مرتبة الخلق والتنفيذ، ولذلك نقول قضاء وقدر، ولا نقول قدر وقضاء، فالقضاء سابق والقدر لاحق.
٤- القضاء أعم من حيث التعلق والقدر أخص، فالقضاء يتعلق بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، أما القدر من جانب القدرة والخلق والتكوين فيتعلق بما كان، وما هو كائن، أو بم تم ويتم خلقه وتنفيذه، أما من جهة المراتب فالقدر أعم لأنه أربع مراتب، والقضاء أخص لأنه ثلاث مراتب.

والله أعلم.[١٧٣]

نصوص الكتاب والسنة في مسألة القضاء والقدر

١- من القرآن الكريم

قوله عز وجل:

(فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) (الأنعام ٩٦).
(لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً) (الأنفال ٤٢).
(وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ) (الحجر ٢١).
(إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ) (الحجر ٦٠).
(وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ) (الإسراء ٤).

=

[١٧٠] فتح الباري شرح صحيح البخاري / الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ١٤٩/١١.

[١٧١] المصدر السابق ٤٧٧/١١.

[١٧٢] عمدة القاري شرح صحيح البخاري / أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ٢٥٨/٢١ – ٢٥٩.

[١٧٣] باختصار وتصرف، من كتاب سهل في التوحيد والعقيدة للدكتور الرضواني، مكتبة سلسبيل.ص٢٣٦ -٢٣٧. موقع دار العقيدة المصرية. وانظر غير مأمور كتاب منة القدير ومحاضرات منة القدير للدكتور الرضواني وتجدها في موقع الرضوانية دار العقيدة المصرية.www.alridwany.com

(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) (الاسراء ٩٩).
(ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى) (طه ٤٠).
(وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) (المؤمنون ١٨).
(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً) (الفرقان ٢).
(وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ) (الشورى ٢٧).
(وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ) (الزخرف ١١).
(وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً) (الأحزاب ٣٨).
(وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ) (القمر ١٢).
(إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر ٤٩).
(نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ) (الواقعة ٦٠).
(إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ، فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) (المرسلات ٢٢-٢٣).
(مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) (عبس ١٩).
(وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى) (الأعلى ٣).

٢- من السنة النبوية

قوله صلى الله عليه واله وسلم:
(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره حلوه ومره). [١٧٤]
(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره). [١٧٥]
(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه). [١٧٦]
(لا يؤمن العبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر). [١٧٧]
(المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وكل على خير، احرص على ما ينفعك، ولا تعجز، فإن غلبك شيء؛ فقل: قدر الله وما شاء، وإياك واللو؛ فإن اللو تفتح عمل الشيطان). [١٧٨]
(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل الخير، فاحرص على ما تنتفع به، واستعن بالله، ولا تعجز، فإن أصابك شيء؛ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل؛ فإن اللو تفتح عمل الشيطان). [١٧٩]
(خلق الله آدم ثم أخذ الخلق من ظهره فقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي) قال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال:
(على مواقع القدر). [١٨٠]

---

[١٧٤] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان /١٦٨ – صحيح.
[١٧٥] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان /١٧٣ – صحيح.
[١٧٦] قال الشيخ الالباني في الصحيحة / ٢٤٣٩: أخرجه الترمذي (٢ / ٢١) وابن عدي في " الكامل " (٢١٧ / ١) عن جابر، حديث صحيح.
[١٧٧] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ١٧٨ – صحيح.
[١٧٨] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٥٦٩١ – صحيح.
[١٧٩] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٥٦٩٢ – صحيح.

(لا عليكم أن لا تفعلوا فإن الله قدر ما هو خالق إلى يوم القيامة). [181]
(ما قدر الله نسمة تخرج إلا هي كائنة). [182]
(يا كعب بل هي من قدر الله). [183]
(قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة). [184]
احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة فقال له آدم: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده تلومني على أمر قد قدر علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ قال: فحج آدم موسى فحج آدم موسى). [185]
(إن ما قد قدر في الرحم سيكون). [186]
(أخاف على أمتي من بعدي ثلاثا: حيف الأئمة وإيمانا بالنجوم وتكذيبا بالقدر). [187]
(ثلاثة لا يقبل الله منهم يوم القيامة صرفا ولا عدلا: عاق ومنان ومكذب بالقدر). [188]
(سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر). [189]
عن طاوس اليماني قال: أدركت ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون: (كل شيء بقدر) قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كل شيء بقدر حتى العجز والكيس). [190]

أقوال السلف الصالح في القضاء والقدر

عن وهب بن خالد عن ابن الديلمي قال: أتيت أبي بن كعب فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعله أن يذهب من قلبي فقال: إن الله لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحد في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار
قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل قوله ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل قوله ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم.... مثل ذلك. [191]
عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قِيلَ لابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ نَاسًا يَقُولُونَ فِي القدر. قال: يكذبون بالكتاب، لئن أَخَذْتُ بِشَعْرِ أَحَدِهِمْ لأَنْصُوَنَّهُ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى عَرْشِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا، فَخَلَقَ الْخَلْقَ فَكَتَبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يوم القيامة. فإنما يُجْرِي النَّاسَ عَلَى أَمْرٍ قَدْ فرغ منه. [192]

=
[180] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٣٣٩ – صحيح.
[181] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٤١٨١ – صحيح.
[182] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٤١٨٢ – صحيح.
[183] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٦٠٦٨ – حسن لغيره.
[184] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٦١٠٥ – صحيح.
[185] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٦١٧٤ – صحيح.
[186] رواه النسائي عن أبي سعيد الزرقي. قال الشيخ الألباني: (حسن)، وانظر الحديث رقم / ٢١٩١ في صحيح الجامع، و١٠٣٢ في السلسلة الصحيحة.
[187] رواه ابن عساكر عن أبي محجن. قال الشيخ الألباني: (صحيح)، وانظر الحديث رقم /٢١٤ في صحيح الجامع.
[188] رواه الطبراني في الكبير عن أبي أمامة. قال الشيخ الألباني: (حسن)، وانظر الحديث رقم/٣٠٦٥ في صحيح الجامع.
[189] رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عمر. قال الشيخ الألباني: (صحيح)، وانظر الحديث رقم/٣٦٦٩ في صحيح الجامع.
[190] قال شعيب الارناؤوط في المسند / ٥٨٩٣: إسناده صحيح على شرط مسلم. وانظر غير مأمور، مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط -عادل مرشد، وآخرون، إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ-٢٠٠١ م، ١٣٣/١٠ – ١٣٤.
[191] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٧٢٥ – صحيح.

عن أبي الأسود الديلي، قال: قال لي عمران بن الحصين، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم، ومضى عليهم، قال فقال: أفلا يكون ظلما؟ قال: ففزعت من ذلك فزعا شديدا، وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: (لا، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا) (الشمس ٧و٨)). [١٩٣]

القدر نظام التوحيد

كثيرا ما يرد هذا الاثر في كتب العقيدة – باب القضاء والقدر، وتحقيقا للفائدة اليك تخريجه وأقوال أهل العلم فيه:

جاء في سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ الالباني:

٢٢٤٤ – (الإيمان (بالقدر) نظام التوحيد).

ضعيف

رواه الديلمي (٣٥٩/٢/١) عن مزاحم بن العوام عن الأوزاعي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعا.

قلت: وهذا إسناد ضعيف، مزاحم بن العوام؛ لم أجد من ترجمه، وقد مضى له حديث آخر في الإيمان بالقدر (٨٠٦).

٤٠٧٢ - (القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى، لا انفصام لها).

ضعيف

رواه الطبراني في "الأوسط" من حديث ابن عباس مرفوعاً، وفيه هانئ بن المتوكل، وهو ضعيف. كذا في "المجمع" (٧/ ١٩٧)، وسيأتي إسناده برقم (٧١٥٠).

قلت: وقد رواه هبة الله اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦/ ٢٦٢/ ٢) عن الأوزاعي: قال لنا بعض أصحابنا: عن الزهري، عن ابن عباس قال: فذكره موقوفاً عليه. وهو الأشبه بالصواب، والله أعلم.

ورواه (١/ ١٤٢/ ١) عن سفيان الثوري، عن عمر بن محمد - رجل من ولد عمر بن الخطاب -، عن رجل، عن ابن عباس موقوفاً.

٧١٥٠ - (الأمور كلها - خيرها وشرها - من الله).

منكر.

أخرجه الطبراني في " المعجم الأوسط " (٤/٤٥/ ٣٥٧٣) من طريق هانئ بن المتوكل الإسكندراني قال: نا أبو ربيعة سليمان بن ربيعة عن أبي حازم عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:... فذكره.

وزاد؛ وقال: " إن القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله، وآمن بالقدر؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن لم يؤمن بالقدر؛ كان ناقضاً للتوحيد ". وقال: " لا يدخل الجنة مكذب بقدر ".

قلت: وهذا إسناد منكر؛ هانئ بن المتوكل: ضعيف أو أشد؛ قال ابن حبان: " كان تدخل عليه المناكير وكثرت؛ فلا يجوز الاحتجاج به في حال ".

=

[١٩٢] مختصر العلو للعلي العظيم للذهبي / شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى ٧٤٨هـ)، حققه واختصره محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م. ص ٩٥، رقم/٢٩.

[١٩٣] رواه الامام مسلم / كتاب القدر – ٢٦٥٠.

ثم ساق له بعض مناكيره، وسبق تخريج اثنتين منها؛ فانظر الرقم (١٠٧٧) و (١٥٢٢).
وأبو ربيعة سليمان بن ربيعة: لم أجد له ترجمة.
وجملة: " نظام التوحيد" رويت من طريق أخرى عن ابن عباس موقوفاً، وقد تقدم برقم (٢٢٤٤) و(٤٠٧٢).إه
وقال الشيخ الالباني في تخريج الطحاوية:[١٩٤] ضعيف موقوفا ومرفوعا، أما الموقوف فرواه اللالكائي في شرح السنة (١/ ١٤٢/ ١، ٦/ ٢٦٢/ ٢) وفيه من لم يسم، وأما المرفوع، فرواه بنحوه الطبراني في الأوسط وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف، وهو مخرج في الضعيفة (٤٠٧٢). إه
وقال الشيخ سليمان العلوان: قول ابن عباس رضي الله عنهما: (الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذَّب بقدره نقض تكذيبه توحيد). رواه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب السنة، والآجري واللالكائي وابن بطه في الإبانة، وغيرهم من طريق سفيان الثوري عن عمر بن محمد رجل من ولد عمر بن الخطاب عن رجل عن ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا إسناد فيه إبهام ولا يصح.[١٩٥]
وفي مجمع الزوائد / ١١٨٣٥ -وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الأمور كلها خيرها وشرها من الله)، وقال: (القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله وآمن بالقدر فقد استمسك بالعروة الوثقى)
رواه الطبراني في الأوسط، وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف. إه [١٩٦]

[١٩٤] شرح العقيدة الطحاوية / صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي)، الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، ص ٢٥٠.
[١٩٥] الأحاديث والآثار التي تكلم عليها الشيخ سليمان العلوان في شرحه لتجريد التوحيد للمقريزي تصحيحاً أو تضعيفاً / إعداد أبو المهند القصيمي، نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة الاصدار ٣,٤٨.
[١٩٦] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى ٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر ١٤١٤ هـ -١٩٩٤ م، ١٩٧/٧.

المبحث الثاني: الطوائف المنحرفة في القضاء والقدر

أنّ الناس في القَدَرْ لهم فِرَقْ كثيرة وهذه الفرق ترجع إلى فرقتين:
الأولى القدرية: الذين أنكروا القدر، إما أنكروا كل المراتب، أو أنكروا بعض مراتب القَدَر.
الثانية الجبرية: الذين يزعمون أنَّ الإنسان لا اختيار له وأنه مجبور.

أولاً / القدرية: وهم فِرَقْ:

١-الفرقة الأولى: هم الغلاة الذين كانوا يُنكرون عِلْمَ الله عز وجل السابق فيقولون: إنَّ الله عز وجل لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه والأمر أُنُفْ؛ يعني مستأنف جديد غير معلوم وغير مُقَدَّر له قبل ذلك.

وهؤلاء هم الذين كفَّرَهُم السلف وكفَّرَهُم الصحابة كابن عمر وابن عباس وغير أولئك، وذلك لأنهم أنكروا مرتبة العلم، والله عز وجل ذكر عِلْمَهْ، فمعنى ذلك أنهم ردُّوا حكم الكتاب ومن رد حكم الكتاب فهو من الكافرين.

وهؤلاء هم الذين قال فيهم السلف (ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خُصِمُوا وإن جحدوه كفروا).

وهذه الفرقة ذهبت ولا يُعْرَفْ أنها عقَّبَتْ وارثاً في الأعْصُرْ المتأخرة.

٢ -الفرقة الثانية: وهم القدرية المتوسطة: المعتزلة والشيعة الرافضة والزيدية ومن نحا نحو أولئك.

وهؤلاء لا يُنْكِرُونَ جميع المراتب؛ ولكن يُنْكِرُونَ بعض الأشياء في بعض المراتب.
فيقولون: إنَّ المشيئة ثابتة لكن ليست عامة.
ويقولون: إنَّ الخلق ثابت ولكن ليس عامَّاً.
وسُمُّوا بالقدرية لأنهم ينفون بعض مراتب القدر.
وهذه الفرقة باقية إلى الآن في أمصار كثيرة من بلاد المسلمين.

ثانياً / الجبرية: وهم أيضا فِرَق:

١-الفرقة الأولى: هم الغلاة، وهم الذين يقولون إنَّ الإنسان مجبور على كل شيء، وحركاته كحركة الريشة في مهب الهواء، وكحركة الخشبة في البحر، فإنَّ الأمواج تتقاذفها وليس لها اختيار، وكذلك الريشة يُقَلِّبُهَا الهواء وليس لها اختيار.

ويقولون: إن العبد ليس له اختيار وإنما هو مفعول به في كل أحواله، سواء من ذلك الطاعات والمعاصي، فَصَلَّى مجبوراً، وصام مجبوراً، وسرق مجبوراً، وغشّ مجبوراً.

ويقولون: إنَّ أفعال الله عز وجل غير مُعَلَّلَة، فقد يُعَذّب المطيع الصالح، وقد يُعْطِي ويُنَعِّم الكافر الطاغوت.

٢-الفرقة الثانية: وهم الأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم ممن غَلَوا في إثبات مشيئة الله عز وجل وخلقه، وقالوا إنَّ الإنسان ليس مجبوراً على كل حال؛ ولكن هو مجبور باطناً لا ظاهراً؛ يعني في الباطن مجبور ما يتحرك بإرادته ولكن في الظاهر تصرفاته بإرادته، فَيُحَاسَبُ على تصرفاته الظاهرة، وأما الذي دَفَعَهُ في الحقيقة فهو أمر باطن مُجْبَر عليه من الله عز وجل.[١٩٧]

[١٩٧] باختصار وتصرف من شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، والمسمى بـ: (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، شرحها فضيلة الشيخ العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، بدأ فضيلته بشرحها في مدينة الرياض يوم السبت ١٣ ذي القعدة ١٤١٧هـ، نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة - الاصدار ٣,٤٨.

وقال الشيخ عبد الرحيم السلمي:
(يدخل في منكر القدر:
القدرية الذين أنكروا القدر بالجملة، والذين أنكروا القدر وقالوا: إن الله يعلم ما يفعل العبد، ولكنه لم يكتب شيئاً ولم يشأ من العباد شيئاً، ولم يخلق أفعالهم، بل العباد يخلقون أفعال أنفسهم، وهؤلاء يسمون القدرية، وهم المعتزلة.
والنوع الثاني: الجبرية، وهم الذين أثبتوا القدر، ولكن أنكروا معناه الحقيقي الشرعي.
فالقدرية والجبرية مع أن كل واحد منهما على النقيض من الآخر إلا أن كلاً منهما يعتبر منكراً للقدر؛ لأن معنى إنكار القدر هنا هو إنكار القدر المشروع الذي بيّنه الله عز وجل وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم، فالقدرية أنكروا، والجبرية أثبتوا، إلا أن الإثبات ليس إثباتاً شرعياً، فهو يتضمن إنكار القدر بالمعنى الشرعي.
والجبرية قالوا: إن الله عز وجل جبر العباد على المعاصي والذنوب، وإنهم معذورون لذلك.
وأما القدرية فقالوا: إن الله عز وجل لم يكتب مقادير العباد، ولم يخلق أفعالهم، بل العبد يخلق فعل نفسه، فنسبوا الخلق إلى العبد، ولهذا سماهم السلف مشبهة الأفعال مأوِّلة الصفات، فهم معطِّلة ومشبِّهة في ذات الوقت، معطِّلة بالنسبة لبقية الصفات، ومشبِّهة بالنسبة لأفعال الله سبحانه وتعالى، حيث شبّهوا العباد بالله في كونهم يخلقون ويقومون بهذه الأعمال بدون أن تكون هناك قدرة وإرادة من الله عز وجل عليهم).[١٩٨]

[١٩٨] شرح كتاب التوحيد / الشيخ عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية – الدرس الاول، http://www.islamweb.net
وانظر غير مأمور: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد / الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م، ص ٢٠٩ – ٣٠١، والدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية / الشيخ أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى ١٣٧٦هـ)، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ -١٩٩٨م، ص ٢٦ – ٢٧.

المبحث الثالث: مراتب القضاء والقدر التي من لم يؤمن بها لم يؤمن بالقضاء والقدر

مراتب القضاء والقدر: هي المراحل التي يمر بها المخلوق من كونه معلومة في علم التقدير إلى أن يكون مخلوقا واقعا بقدرة القدير ومشيئته. [١٩٩]

وجُمِعَت اختصارا في بيت واحد، وهو قوله:

علم كتابة مولانا مشيئته   وخلقه وهو إيجاد وتكوين

والإيمان بهذه المراتب داخـــــــــل في كيفية الإيمان بالقدر

اختلف المصنفون في مراتب القضاء والقدر، والحقيقة أن هذا الاختلاف اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، فهم يتفقون في المعنى لكنهم قد يختلفون في اللفظ. فشيخ الإسلام ابن تيمية جعلها على درجتين، وكل درجة تتضمن مرتبتين: [٢٠٠]

- الأولى: تتضمن مرتبة العلم، ومرتبة الكتابة.
- الثانية: تتضمن مرتبة الإرادة، ومرتبة الإيجاد (التكوين) والخلق.

أما العلامة ابن القيم الجوزية فقد جعلها أربع مراتب:

- المرتبة الأولى: علم الرب سبحانه بالأشياء قبل كونها.
- المرتبة الثانية: كتابته لها قبل كونها.
- المرتبة الثالثة: مشيئته لها.
- المرتبة الرابعة: خلقه لها. [٢٠١]

أو بمعنى آخر:

- المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء والسابق لكل شيء.
- المرتبة الثانية: الإيمان بكتابه الذي اشتمل على كل ما سيكون.
- المرتبة الثالثة: الإيمان بمشيئة الله وقدرته العامة على كل شيء فهو المتفرد بالخلق والإيجاد.
- المرتبة الرابعة: الإيمان بأن الله خالق كل شيء. [٢٠٢]

فنقول: عَلِم فكَتَب فأَرَاد فخَلَق. [٢٠٣]

---

[١٩٩] الدكتور محمود الرضواني / دورة منة القدير بميت الرخا غربية -المحاضرة الثامنة، عنوان المحاضرة: المرتبة الأولى من مراتب القدر العلم. موقع دار العقيدة المصرية. www.alridwany.com

[٢٠٠] مجموع الفتاوى / تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ١٤٨/٣.

[٢٠١] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / الشيخ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ) دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٢٩.

[٢٠٢] قلت: قال الشيخ محمد خليل هراس في شرحه للواسطية: هذا التقسيم بهذه الصورة وجَعْل القدر أربع مراتب لم يكن معروفًا من قبل، وقد يكون أول من فصّله هو شيخ الإسلام رحمه الله، فزعم بعض المغرضين أنها بدعة ابتدعها، لكن من قرأ كلام السلف علم أنهم يعنون بالإيمان بالقدر الإيمان بهذه المراتب، وعدم الإيمان بواحدة منها لا يحقِّق الإيمان بالقدر، والمراتب هي: علم الله بكل شيء، وكتابته، ومشيئته النافذة وأنه خالق كل شيء. فلا حرج من التقسيم والتبويب من أجل التوضيح.

[٢٠٣] ومن أهل العلم من يرى أن علم الله سبحانه وتعالى سابق لمرتبة الكتابة، فالله عالم بمقادير الخلق قبل أن تكتب، ومن ذلك فمرتبة المشيئة سابقة لمرتبة الكتابة، فالله لم يكتب شيئاً إلا وقد شاءه سبحانه وتعالى، ومرتبة الكتابة سابقة لمرتبة الخلق. فنقول: عَلِم فأَرَاد فكَتَب فخَلَق. انظر غير مأمور: مفتاح الوصول شرح ثلاثة الأصول/ صالح بن محمد الأسمري. المصدر: موقع مكتبة صيد الفوائد، http://www.saaid.net/book/index.php

التعريف بالمراتب الاربع

فأما المرتبة الأولى: وهي العلم السابق (علم التقدير)، (الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب كما قال تعالى: (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة) (الحشر ٢٢)، وقال تعالى: (لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما) (الطلاق ١٢)، وقال تعالى: (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) (الجن ٢٨)، وقال تعالى: (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) (سبأ ٣)).[٢٠٤]

المرتبة الثانية: وهي مرتبة الكتابة، قال تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ) (الانبياء ١٠٥و١٠٦)، فربنا تبارك وتعالى أخبر أن هذا مكتوب مسطور في كتبه، والزبور هنا جميع الكتب المنزلة من السماء لا تختص بزبور داود، والذكر أم الكتاب الذي عند الله والأرض الدنيا وعباده الصالحون أمة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هذا أصح الأقوال في هذه الآية وهي علم من أعلام نبوة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.[٢٠٥]

والكتابة خمس كتابات: الكتابة الاولى (الأزلية)، كتابة الميثاق، الكتابة العمرية، الكتابة السنوية (الحولية)، الكتابة اليومية.

المرتبة الثالثة: من مراتب القضاء والقدر؛ وهي مرتبة المشيئة،[٢٠٦] وهذه المرتبة قد دل عليها اجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: من مراتب القضاء والقدر؛ وهي خلق الله تعالى لأفعال المكلفين ودخولها تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه وكتابه، قال تعالى: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (الزمر ٦٢)، وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته وليس مخصوصا بذاته وصفاته فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له.)[٢٠٧]

و(الخلق خلقان:

خلق إيجاد من عدم، وخلق تحويل من صورة إلى صورة، وبهذا نزيل شبهة المتكلمة عندما يقولون: أنتم تقولون: الله خالق كل شيء، يعني: لا خالق مع الله؟ فنقول: نعم.

فيقولون: ماذا تقولون في قول الله تعالى: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون ١٤)، فظاهر الآية يدل على أن هناك مشاركة؟ فنقول جواباً عليهم: إننا عندما ننظر في الخلق، ونقسمه إلى قسمين:

---

[٢٠٤] معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول/ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى ١٣٧٧هـ)، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ٩٣٠/٣.

[٢٠٥] قلت: وهذه المرتبة الشاملة للكتابة الشرعية والقدرية.

[٢٠٦] قلت: الارادة والمشيئة أو الإرادة الكونية والمشيئة الكونية: أي أن كل ما يقع في هذا الكون فهو بمشيئته تبارك وتعالى فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يخرج شيء عن مشيئته مهما كان. فمشيئة الله شاملة نافذة عامة في كل ما يقع في هذا الكون.

[٢٠٧] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / الشيخ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ) دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. ص٢٩-٤٩ باختصار.

- خلق إيجاد من عدم

- وخلق تحويل من صورة إلى صورة

فإننا نخرج من هذه الشبهة، وذلك أن خلق الإيجاد من عدم هو مما ينفرد الله به.

فلا يمكن لأحد أن يخلق من العدم إلا الله تعالى، فقد كنا عدماً ثم خلقنا الله، قال تعالى: (هَلْ أَتَى عَلَى الإنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا) (الإنسان ١).

وأما الخلق المقيد: وهو تحويل الصورة إلى صورة أخرى، فهذا قد يشترك فيه البشر، كما في تحويل الحديد إلى سيارة، أو تحويل الخشب إلى باب أو نافذة، فإن هذا التحويل يسمى خلقاً، فيقال: إن هذا الرجل صنع باباً من الخشب أي: خلق باباً من الخشب؛ لأن الخلق قد يأتي بمعنى الصناعة، فيكون محل الآية: (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) (المؤمنون ١٤)، إنما هو في خلق التحويل من صورة إلى صورة).[٢٠٨]

ارتباط مراتب القضاء والقدر بتوحيد الربوبية

فالمرتبة الأولى: مرتبة العلم الأزلي المحيط بكل شيء. وأنَّ الله تعالى علم أحوالَ عباده، وأرزاقَهم، وآجالهم، وأعمالهم، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، لا يخفى عليه شيء: (إِنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (العنكبوت ٦٢)، (لِتَعْلَمُوا أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ الله قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) (الطلاق ١٢)

والمرتبة الثانية: مرتبة الكتابة لكل شيء في اللوح المحفوظ، قال تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (يس ١٢)، وقال سبحانه: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ) (الحج ٧٠)، وقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة).[٢٠٩]

والمرتبة الثالثة: مرتبة الارادة والمشيئة النافذة التي لا يخرج عنها أحد، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاّ أَن يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير ٢٩)، وقال سبحانه: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس ٨٢).

أي: أن كل ما يجري في هذا الكون فهو بإرادة الله ومشيئته الدائرة بين الرحمة والحكمة، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته وسلطانه، وهم يسألون، وما وقع من ذلك؛ فإنه مطابق لعلمه السابق المكتوب في اللوح المحفوظ، فمشيئة الله نافذة، وقدرته شاملة، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يخرج عن إرادته شيء.

والمرتبة الرابعة: مرتبة الخلق وأنه تعالى خالق كل شيء، وما سواه كله مخلوق، ويدخل في ذلك العباد وأفعالهم. قال تعالى: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (الأنعام ١٠٢)، وقال سبحانه: (الله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (الزمر ٦٢)، وقال سبحانه: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ) (غافر ٦٢)، وقال سبحانه: (قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۞ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات ٩٥و٩٦).

---

[٢٠٨] شرح كتاب لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد/ محمد حسن عبد الغفار، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية http://www.islamweb.net ، الدرس ١٢.

[٢٠٩] صحيح مسلم -كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى / ٢٦٥٣، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

المبحث الرابع: مراتب العلم الإلهي والأدلة عليه

قال تعالى: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) (الأنفال ٢٣)، وقال سبحانه: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ) (سبأ ١و٢)، وقال سبحانه وتعالى: (يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ) (لقمان ١٦).

قال ابن كثير في التفسير: (وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، وَهَذَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ عِنْدَ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ). [٢١٠]

وقال: (وَقَوْلُهُ: (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) أَيْ: أَنَّ عِلْمَهُ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا وَكِتَابَتَهُ لَهَا طِبْقَ مَا يُوجَدُ فِي حِينِهَا سَهْلٌ عَلَى اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كيف كان يكون.) [٢١١]

وقال ابن القيم الجوزية في نونيته:

وهو العليم أحاط علما بالذي	في الكون من سر ومن إعلان
وبكل شيء علمه سبحانه	فهو المحيط وليس ذا نسيان
وكذاك يعلم ما يكون غدا وما	قد كان والموجود في ذا الآن
وكذاك أمر لم يكن لو كان	كيف يكون ذا إمكان

أي: أنه سبحانه وتعالى يعلم الأمور الماضية التي وقعت، والأمور المستقبلية التي لم تقع بعد، ويعلم الأمور التي لن تقع لو فرض أنها تقع كيف تقع، وهذا من كمال علمه بالغيب وعواقب الأمور، فالله عز وجل يعلم ما كان - كآدم والأنبياء -، ويعلم ما يكون - كالقيامة والحساب -، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون - كما يعلم لو أن فرعون آمن؛ كيف كان حال إيمانه، وماذا سيكون مآله -، وهذه الجزئية يدخل فيها ملايين التفاصيل، وكل ما جاء في القرآن بلفظ لو أو لولا فهو من هذا الباب قال تعالى: (بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) (الانعام ٢٨)، وقال سبحانه: (وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ) (الزخرف ٣٣)، وقال سبحانه: (وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا) (الاسراء ٧٤)، وقال سبحانه: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) (الانبياء٢٢)، وقال سبحانه: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ) (الانفال ٢٣).[٢١٢]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سُئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أولاد المشركين، فقال: (الله أعلم بما كانوا عاملين)[٢١٣]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار).[٢١٤]

---

[٢١٠] تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م، ٦ / ٢٦٣.

[٢١١] نفس المصدر السابق ٨ / ٢٦.

[٢١٢] انظر غير مأمور: مجموعة الرسائل والمسائل / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، علق عليه السيد محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، ٤/٧.

[٢١٣] متفق عليه، رواه الامام البخاري في صحيحه/١٣٨٣ ورواه عن ابي هريرة/١٣٨٤، وهو عند الامام مسلم في الصحيح من رواية ابي هريرة / ١٠-باب أولاد المشركين / ٦٨٥٦-(٢٦-٢٦٥٩).

[٢١٤] قلت: روى الامام احمد في المسند / ٦٢١ -عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ، قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: " مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ " قَالَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَلِمَ نَعْمَلُ؟ قَالَ: " اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ": (أَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) (الليل ٥-١٠). وقال الشيخ الارناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله قال صلى الله عليه وآله وسلم:
(ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه، كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها)[٢١٥]، قال: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟
قال صلى الله عليه وآله وسلم: (الله أعلم بما كانوا عاملين)[٢١٦]. [٢١٧]
فإحاطة علمه سبحانه وتعالى بكل شيء، شامل للغيوب كلها، قال تعالى: (إِنَّ الله لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ) (آل عمران ٥)، فقد أحاط علمه سبحانه، بجميع الأزمان الحاضرة، والماضية، والمستقبلة، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد كتب ذلك كله وقدره، وهو عليم به سبحانه، وأن وقوع الشيء وفق ما قضاه وقدره لا يزيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علماً بالشيء، فإنه يعلمه عَلَى صفته التي سيكون عليها قبل أن يكون.
ولذلك قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى وهو يوصي من يخاصم القدرية بقوله: (حجوهم بالعلم؛ أي: اسألوهم: هل الله عز وجل علم بالأشياء قبل وقوعها؟ فإن أقروا خصموا، وإن نفوا العلم كفروا). [٢١٨]
قال ابن خزيمة: (بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ الْعِلْمِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا تَبَارَكَتْ أَسْمَاؤُهُ وَجَلَّ ثَنَاؤُهُ بِالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَّذِي يَقْرَأُ فِي الْمَحَارِيبِ وَالْكَتَاتِيبِ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ مِنْ عِلْمِ الْعَامِّ، لَا بِنَقْلِ الْأَخْبَارِ الَّتِي هِيَ مِنْ نَقْلِ عِلْمِ الْخَاصِّ، ضِدَّ قَوْلِ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَيُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، تَشَبُّهًا بِالْيَهُودِ، يُنْكِرُونَ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَالِمُ، وَيُنْكِرُونَ أَنَّ لِلَّهِ عِلْمًا مُضَافًا إِلَيْهِ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ: (لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ) (النساء ١٦٦)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: (فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ) (هود ١٤)، فَأَعْلَمَنَا اللَّهُ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِعِلْمِهِ، وَخَبَّرَنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَنَّ أُنْثَى لَا تَحْمِلُ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ، فَأَضَافَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا إِلَى نَفْسِهِ الْعِلْمَ الَّذِي خَبَّرَنَا أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ بِعِلْمِهِ، وَأَنَّ أُنْثَى لَا تَحْمِلُ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ فَكَفَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ وَأَنْكَرَتْ أَنْ يَكُونَ لِخَالِقِنَا عِلْمًا مُضَافًا إِلَيْهِ مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الطَّاعِنُونَ فِي عِلْمِ اللَّهِ عُلُوًّا كَبِيرًا، فَيُقَالُ لَهُمْ: خَبِّرُونَا عَمَّنْ هُوَ عَالِمٌ بِالْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، أَلَهُ عِلْمٌ أَمْ لَا؟ فَإِنْ قَالَ: اللَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى وَأَخْفَى، وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، قِيلَ لَهُ: فَمَنْ هُوَ عَالِمٌ بِالسِّرِّ وَالنَّجْوَى وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، أَلَهُ عِلْمٌ أَمْ لَا عِلْمَ لَهُ؟ فَلَا جَوَابَ لَهُمْ لِهَذَا السُّؤَالِ إِلَّا الْهَرَبَ: (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (البقرة ٢٥٨)). [٢١٩]

---

[٢١٥] قلت: قال الشيخ الالباني في صحيح الجامع/ ٥٧٨٤ -١٨٨٣ – (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء). (صحيح)، رواه الشيخان وابو داود عن أبي هريرة. وانظر للشيخ الالباني مختصر مسلم/ ١٨٠٣، وارواء الغليل/١٢٢٠.

[٢١٦] قلت ورواه ابن حبان في صحيحه: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تناتج الإبل من بهيمة جمعاء هل تحس من جدعاء؟) قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: (الله أعلم بما كانوا عاملين). وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان/١٣٣.

[٢١٧] انظر غير مأمور: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول / الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى ١٣٧٧هـ)، تحقيق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ -١٩٩٠ م، ٣/٩٢٠ – ٩٢٤.

[٢١٨] ولله الأسماء الحسنى/ فضيلة الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل، موقع فضيلة الشيخ / عبد العزيز بن ناصر الجليل http://islamlight.net/aljiliyl/، شبكة نور الإسلام www.islamlight.net
قلت: وروي عن الامام الشافعي: حاجوهم بالعلم. كما جاء في شرح كتاب التوحيد لابن خزيمة/ محمد حسن عبد الغفار، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الدرس ٦.

[٢١٩] كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل/ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى ٣١١هـ)، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد -السعودية – الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، ١/٢٢-٢٣.

بيان مراتب العلم

مراتب العلم[٢٢٠] هي:

(١ -علمه بالشيء قبل كونه؛ وهو علم التقدير، وما سيقع بقدرة القدير، وهو سر الله في خلقة، فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهو المراد بقولهم: (عالم بما سيكون) وهو المقصود بالمرتبة الأولى من مراتب القدر، وهو علم مفاتح الغيب وتقدير الأمور. كما قال تعالى: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (لقمان ٣٤).

٢ -علمه بالشيء وهو في اللوح بعد كتابته وقبل إنفاذ مشيئته، وهو قولهم (عالم بما لم يكن لو كان كيف يكون). فالله عز وجل كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقهم. قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلى اللهِ يَسِيرٌ، لكَيْلا تَأْسَوْا عَلى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُل مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (الحديد ٢).

٣ -علمه بالشيء حال كونه وتنفيذه، وخلقه وتصنيعه، وهو قولهم: (عالم بما هو كائن) كما قال تعالى: (اللهُ يَعْلمُ مَا تَحْمِلُ كُل أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُل شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَال) (الرعد ٨).

٤ -علمه بالشيء بعد كونه وتخليقه وإحاطته الشاملة والكاملة بعد تمامه وفنائه، وهو قولهم: (عالم بما كان) فالله عز وجل لما قال: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ) للدلالة على الإحاطة بكل شيء من بدايته إلى نهايته (إِلا يَعْلمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ، وَهُوَ الذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِالليْل وَيَعْلمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ ليُقْضَى أَجَلٌ مُسَمّىً ثُمَّ إِليْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (الأنعام ٦٠).

فالله عز وجل علم ما كان وما هو كائن وما سيكون، وما لا يكون لو كان كيف كان يكون، فهذه مراتب علم الله، والمرتبة الأولى من مراتب القدر هي العلم المرتبط بالتقدير والقدرة والخلق والصنعة، فعلى العبد أن يعلم أن الله قد سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك تقديرا محكما مبرما ليس فيه ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير).[٢٢١]

---

[٢٢٠] هذه المراتب يتعلق بها العلم الإلهي ويتضمنها اسمه العليم بخلاف مراتب العلم به سبحانه التي ذكرها ابن القيم وحصرها في خمس مراتب: الْعِلْمُ بِذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ.
انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي –بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م، ١٢٨/١.

[٢٢١] الدكتور محمود الرضواني/ دورة منة القدير بميت الرخا غربية - مصر -المحاضرة الثامنة، عنوان المحاضرة: المرتبة الأولى من مراتب القدر العلم، موقع الرضوانية – دار العقيدة المصرية.www.alridwany.com

المبحث الخامس الإيمان بكتابة المقادير (التقديرات الالهية)

مراتب التقدير (مراتب الكتابة) خمسة وهي:

١ -التقدير الشامل لجميع المخلوقات (التقدير الازلي أو التقدير العام أو الكتابة الاولى):

وهو تقدير الرب عز وجل لجميع الكائنات؛ أو هي الكتابة الأولى: وهي أَوَّلُهَا وأقدمها وأعظمها كِتَابَةُ الله عز وجل مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة في اللوح المحفوظ، وهذه هي الكتابة التي كانت قبل الخلق، وهذه الكتابة لا تتبدل ولا تتغير، رُفعت الأقلام وجفَّتْ الصحف. فيجد العبد ما هو مكتوب في اللوح المحفوظ من خير أو شر. قال تعالى: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (الحج ٧٠).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء). [٢٢٢]

وقال صلى الله عليه واله وسلم: (يا غلام! إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك بشيء إلا قد كتبه الله عليك جفت الأقلام ورفعت الصحف). [٢٢٣]

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي جِنَازَةٍ فَأَخَذَ عُودًا فَجَعَلَ ينكتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ فقَالَ:(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ) فقَال رَجُلٌ: أَلَا نَتَّكِلُ؟ فقَالَ: (اعْمَلُوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ) ثُمَّ قَرَأَ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ للعسرى) (الليل ٥ - ١٠). [٢٢٤]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَجُلٌ شَابٌّ وَأَنَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي الْعَنَتَ وَلَا أَجِدُ مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ النِّسَاءَ كأَنَّهُ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الِاخْتِصَاءِ قَالَ: فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَسَكَتَ عَنِّي ثُمَّ قُلْتُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ فَاخْتَصِ على ذَلِك أَو ذر). [٢٢٥]

وقَالَ سُرَاقَةُ بْنَ جُعْشُمٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا عَنْ أَمْرِنَا كَأَنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهِ أَبِمَا جَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَثَبَتَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَوْ بِمَا يُسْتَأْنَفُ؟ قَالَ: (لَا بَلْ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَثَبَتَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ) قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ إِذًا؟ قَالَ: (اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ)، قَالَ سُرَاقَةُ: فَلَا أَكُونُ أَبَدًا أَشَدَّ اجْتِهَادًا فِي الْعَمَلِ مِنِّي الْآنَ). [٢٢٦]

٢ -التقدير يوم أخذ الميثاق (التقدير العمري يوم الميثاق، أو التقدير الميثاقي، أو التقدير البشري،[٢٢٧] أو كتابة الميثاق):

وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (الأعراف ١٧٢).

---

[٢٢٢] رواه الامام مسلم في صحيحه: (٢٦٥٣).

[٢٢٣] رواه الامام احمد في المسند والترمذي والحاكم في المستدرك عن ابن عباس. وصححه الشيخ الالباني وانظر صحيح الجامع / ٧٩٥٧، والحديث مخرج في المشكاة، وتخريج السنة /٣١٦ – ٣١٨ والأحاديث المختارة (٥٩ / ١٩٩ - ٢٠٠).

[٢٢٤] رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان/٣٣٥.

[٢٢٥] رواه الامام البخاري في صحيحه -كتاب النكاح، باب ما يكره من التبتل والخصاء/٥٠٧٦.

[٢٢٦] رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان/٣٣٨.

[٢٢٧] قلت: قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله عن هذا التقدير: (التقدير البشري داخل في التقدير العام؛ ولهذا أعرض عنه أبو العباس ابن تيمية رحمه الله في العقيدة الواسطية، وأكثر أهل العلم فيما أعلم). نقلا من الايمان بالقضاء والقدر/ محمد بن ابراهيم الحمد، دار الوطن – الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ص ٦٩.

وهذه الكتابة الثانية لكِتَابَة مقادير الخلق من حيث الشّقاوة والسعادة، والخلق هم خاصةَ المكلفين.
وهذه التي تأتي فيها أحاديث الميثاق وأنَّ الله عز وجل استخرج ذرية آدم من صلبه فنثرهم أمامه كهيئة الذَّر وأخذ عليه أن لا يشركوا به شيئاً، وقَبَضَ قبضة إلى الجنة وقبضة إلى النار وكتب أهل الجنة وكتب أهل النار، ونحو ذلك مما جاء في السّنة من بيان ذلك. وهذا تقديرٌ بَعْدَ الأول، وهو قبل أن يُخْلَقَ جِنْسُ المكلفين أي من الإنسان، لمَّا خلق الله عز وجل آدم عليه السلام.
فعن هشام بن حكيم أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه واله وسلم فقال: أَتُبْدَأُ الأعمال أم قد قُضِيَ القضاء؟ فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار؛ فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار). [٢٢٨]
قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (إن الله عز وجل خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر). [٢٢٩]

٣ -التقدير العُمُري (التقدير العمري الذي عند أول تخليق النطفة أو الكتابة العمرية):

وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابةُ شقاوته، أو سعادته، في بطن أمه في أطوار الحمل الاولى، وقد دل على ذلك حديث الصادق المصدوق في الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل المَلَك، فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٌّ أو سعيدٌ). [٢٣٠]
وهذه الكتابة العُمرية هي تفصيلٌ لما في اللوح المحفوظ، لأنَّ الذي في اللوح المحفوظ شامل لكل المخلوقات، وهذا مُتعلِقٌ بهذا المخلوق المعين وحده.

٤ -التقدير السنوي (التقدير الحولي أو الكتابة السنوية أو الحولية):

قال تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (الدخان ٤)، فإنه يكتب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير، والشر، والأرزاق. وقوله تعالى: (تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ، سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ) (القدر ٤-٦).
قيل: يكتب فيها (أي هذه الليلة) ما يحدث في السنة من موت وحياة، وعز وذل، ورزق ومطر، حتى الحجاج يُقال: يحج فلان، ويحج فلان. رُوي هذا عن ابن عمر، وابن عباس، وكذا الحسن البصري، وسعيد ابن جبير. [٢٣١]
وهذه تُكْتَبْ فيها المقادير في تلك السَّنَةْ، من السَّنَةْ إلى السَّنَةْ، أي أنَّ الله تعالى يوحي إلى ملائكته بأن يكتبوا أشياء مما في اللوح المحفوظ فتكون بأيديهم مما سيحصل للناس.

٥ -التقدير اليومي (الكتابة اليومية):

وهو سوق المقادير إلى المواقيت التي قدرت لها، وهو التطبيق العملي والواقعي للكتابة السنوية. لقوله تعالى: (يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (الرحمن ٢٩).

---

[٢٢٨] أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بتحقيق الشيخ الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ، ٧٣/١، وقال الألباني: (إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات، والسيوطي في الدر المنثور ٦٠٤/٣ وقال: أخرجه ابن أبي جرير والبزار والطبراني والآجري في الشريعة، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات).
[٢٢٩] قال الشيخ الالباني في الصحيحة /٤٨: رواه أحمد (٤ / ١٨٦) وابن سعد في " الطبقات " (١ / ٣٠، ٧ / ٤١٧)، وابن حبان في " صحيحه " (١٨٠٦)، والحاكم (١ / ٣١) والحافظ عبد الغني المقدسي في (الثالث والتسعين من " تخريجه " ٤١ / ٢) من طريق أحمد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا. وقال الحاكم: " صحيح ". ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.
[٢٣٠] رواه البخاري (٣٢٠٨ و٣٣٣٢ و٦٥٩٤ و٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، وابن ماجه (٧٦).
[٢٣١] انظر زاد المسير لابن الجوزي ٣٣٨/٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٤٠/٤، وفتح القدير للشوكاني ٥٧٢/٤، وانظر أعلام السنة المنشورة ص١٢٩-١٣٣.

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (الرحمن ٢٩) قَالَ: (مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا وَيُفَرِّجَ كَرْبًا ويرفع قوماً ويضع آخرين). [٢٣٢]

وقيل في تفسيرها: شأنه أن يُعِزَّ ويُذِل، ويرفع ويخفض، ويُعطي ويمنع، ويُغني ويُفقر، ويُضحِكَ ويُبكي، ويُميت ويُحيي، إلى غير ذلك.[٢٣٣]

قال الشيخ السعدي: ((كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) يغني فقيرا، ويجبر كسيرا، ويعطي قوما، ويمنع آخرين، ويميت ويحيي، ويرفع ويخفض، لا يشغله شأن عن شأن، ولا تغلطه المسائل، ولا يبرمه إلحاح الملحين، ولا طول مسألة السائلين، فسبحان الكريم الوهاب، الذي عمت مواهبه أهل الأرض والسماوات، وعم لطفه جميع الخلق في كل الآنات واللحظات، وتعالى الذي لا يمنعه من الإعطاء معصية العاصين، ولا استغناء الفقراء الجاهلين به وبكرمه، وهذه الشؤون التي أخبر أنه تعالى كل يوم هو في شأن، هي تقاديره وتدابيره التي قدرها في الأزل وقضاها، لا يزال تعالى يمضيها وينفذها في أوقاتها التي اقتضته حكمته، وهي أحكامه الدينية التي هي الأمر والنهي، والقدرية التي يجريها على عباده مدة مقامهم في هذه الدار، حتى إذا تمت هذه الخليقة وأفناهم الله تعالى وأراد تعالى أن ينفذ فيهم أحكام الجزاء، ويريهم من عدله وفضله وكثرة إحسانه، ما به يعرفونه ويوحدونه، نقل المكلفين من دار الابتلاء والامتحان إلى دار الحيوان. وفرغ حينئذ لتنفيذ هذه الأحكام، التي جاء وقتها، وهو المراد بقوله: (سَنَفْرُغُ لكم أيها الثقلان ۞ فبأي آلاء ربكما تكذبان) (الرحمن ٣١و٣٢) أي: سنفرغ لحسابكم ومجازاتكم بأعمالكم التي عملتموها في دار الدنيا). إهـ [٢٣٤]

ثم هذا التقدير اليومي تفصيل من التقدير الحولي والحولي تفصيل من التقدير العمري عند تخليق النطفة، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين؛ والإمام المبين هو من علم الله عز وجل، وكذلك منتهى المقادير في آخريتها إلى علم الله عز وجل، فانتهت الأوائل إلى أوليته، وانتهت الأواخر إلى آخريته، قال تعالى: (وأن إلى ربك المنتهى) (النجم ٤٢). [٢٣٥]

وهذه الكتابات الخمسة كلها قبل وقوع العمل من الانسان، قال تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) (يس ١٢)، (وهو اللوح المحفوظ؛ وهو أم الكتاب؛ وهو الذكر الذي كتب فيه كل شيء؛ يتضمن كتابة أعمال العباد قبل أن يعملوها، والإحصاء في الكتاب يتضمن علمه بها وحفظها لها والإحاطة بعددها واثباتها فيه، وقال تعالى: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) (الأنعام ٣٨)، وقد اختلف في الكتاب ههنا: هل هو القرآن أو اللوح المحفوظ؟ على قولين فقالت طائفة المراد به: القرآن وهذا من العام المراد به الخاص أي ما فرطنا فيه من شيء يحتاجون إلى ذكره وبيانه كقوله: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ) (النحل ٨٩)، ويجوز أن يكون من العام المراد به عمومه والمراد

---

[٢٣٢] رواه ابن حبان في صحيحه – الحديث ٦٨٨، وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة -المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.

[٢٣٣] انظر زاد المسير ١١٤/٨، وتفسير القرآن العظيم ٢٧٥/٤، وفتح القدير ١٣٦/٥.

[٢٣٤] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م. ص٨٣٠.

[٢٣٥] انظر غير مأمور في هذه المسألة: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول/ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى:١٣٧٧هـ)، المحقق عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ -١٩٩٠ م، ٣/ ٩٢٨ - ٩٤٠. والقصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية / دراسة وتحقيق وشرح: الباحث محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد. نسخة الكترونية: www.toislam.net. وللدكتور الرضواني كتاب سهل في التوحيد والعقيدة، مكتبة سلسبيل. موقع العقيدة المصرية، www.alridwany.com. والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه / الدكتور عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م. وشرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي والمسمى بـ (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل) / شرحها فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة، الاصدار ٣,٤٨.

إن كل شيء ذكر فيه مجملا ومفصلا كما قال ابن مسعود وقد لعن الواصلة والمستوصلة: (ما لي لا ألعن من لعنه الله في كتابه)، فقالت امرأة: لقد قرأت القرآن فما وجدته، فقال: (إن كنت قرأتيه فقد وجدته)، قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)(الحشر ٧)، ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة، وقال الشافعي: (ما نزل بأحد من المسلمين نازلة إلا وفي كتاب الله سبيل الدلالة عليها).

وقالت طائفة: المراد بالكتاب في الآية اللوح المحفوظ الذي كتب الله فيه كل شيء وهذا إحدى الروايتين عن ابن عباس وكان هذا القول أظهر في الآية والسياق يدل عليه فإنه قال: (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)، وهذا يتضمن أنها أمم أمثالنا في الخلق والرزق والأكل والتقدير الأول وأنها لم تخلق سدى بل هي معبدة مذللة قد قدر خلقها وأجلها ورزقها وما تصير إليه ثم ذكر عاقبتها ومصيرها بعد فنائها ثم قال: (إلى ربهم يحشرون)، فذكر مبدأها ونهايتها وأدخل بين هاتين الحالتين قوله: (ما فرطنا في الكتاب من شيء)، أي كلها قد كتبت وقدرت وأحصيت قبل أن توجد فلا يناسب هذا ذكر كتاب الأمر والنهي وإنما يناسب ذكر الكتاب الأول.

ولمن نصر القول الأول أن يجيب عن هذا بأن في ذكر القرآن ههنا الأخبار عن تضمنه لذكر ذلك والأخبار به فلم نفرط فيه من شيء بل أخبرناكم بكل ما كان وما هو كائن إجمالا وتفصيلا، ويرجحه أمر آخر وهو أن هذا ذكر عقيب قوله: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) (الأنعام ٣٧)، فنبههم على أعظم الآيات وأدلها على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الكتاب الذي يتضمن بيان كل شيء ولم يفرط فيه من شيء ثم نبههم بأنهم أمة من جملة الأمم التي في السماوات والأرض وهذا يتضمن التعريف بوجود الخالق وكمال قدرته وعلمه وسعة ملكه وكثرة جنوده والأمم التي يحصيها غيره وهذا يتضمن أنه لا إله غيره ولا رب سواه وأنه رب العالمين فهذا دليل على وحدانيته وصفات كماله من جهة خلقه وقدره وإنزال الكتاب الذي لم يفرط فيه من شيء دليل من جهة أمره وكلامه فهذا استدلال بأمره وذاك بخلقه: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)(الأعراف ٥٤)). [٢٣٦]

أما الكتابة بعد العمل فهي التي تكتبها الملائكة بعد وقوع العمل من الانسان، قال الله عزّ وجل: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۞ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۞ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) (ق ١٦-١٨)، (قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) قال: يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليكتب قوله: (أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت)، حتى إذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله، فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقى سائره، وذلك قوله: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ)(الرعد ٣٩)، وذكر عن الإمام أحمد[٢٣٧] أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاوس أنه قال: (يكتب الملك كل شيء حتى الأنين)، فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله). [٢٣٨]

وقال تعالى (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۞ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۞ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) (الانفطار ١٠-١٢). فالملائكة الحفظة يكتبون ما يقوم به الإنسان من قول، وما يقوم به من فعل؛ سواء كان ظاهراً؛ كأقوال اللسان وأعمال الجوارح، أو باطناً حتى ما في القلب مما يعتقده الإنسان، فإنه يكتب عليه. [٢٣٩]

---

[٢٣٦] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص ٤٠-٤١.

[٢٣٧] رواه صالح بن الإمام أحمد في سيرة أبيه. نقلاً عن تفسير ابن كثير/ سورة ق الآية ١٧.

[٢٣٨] تفسير ابن كثير/ سورة ق الآية ١٧.

[٢٣٩] انظر غير مأمور في تفسير الآية (١٠-١٢) من سورة الانفطار، في: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص٩١٤.

والجامع لأحكام القرآن /أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى ٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية،١٣٨٤هـ -١٩٦٤م، ٢٤٨/١٩.

خلاصة مراتب التقدير

التقدير الشامل	التقدير الميثاقي	التقدير العمري	التقدير الحولي	التقدير اليومي
الكتابة الاولى	كتابة الميثاق	الكتابة العمرية	الكتابة الحولية	الكتابة اليومية
عام وشامل لكل المخلوقات	خاص بالمكلفين من البشر	خاص بكل انسان (معين)	يكتب ما سيحصل للناس في تلك السنة	يكتب ما يحصل للناس في ذلك اليوم
قبل الخلق بخمسين ألف سنة	قبل خلق جنس المكلفين من الانس لما خُلق آدم	في بطن امه في اطوار الحمل الاولى	في ليلة القدر من كل سنة	في كل يوم
لا يعلم به ملك مقرب أو نبي مرسل		يعلم به الملائكة		
عام شامل	تفصيل من التقدير الازلي	تفصيل للتقدير الميثاقي	تفصيل للتقدير العمري	تفصيل للتقدير الحولي
من القدر المثبت الذي لا محو فيه البته		من القدر المقيد الذي فيه المحو الاثبات والتغيير والأسباب مؤثرة فيه **		
مظهر لقدرة الله تعالى وحكمته		من التقدير الابتلائي المظهر لحكمة الله تعالى		
هو ما في ام الكتاب (اللوح المحفوظ)		هو ما في كتب الملائكة (تتولاها الملائكة المكرمون)		

**** توضيح هام:**

إن ما ينتهي اليه التقدير (العمري والحولي واليومي) بعد التغيير الذي عُلق بالأسباب (كالدعاء وصلة الرحم ......) هو المكتوب في اللوح المحفوظ من خمسين ألف سنة قبل أن يخلق الله تعالى الخليقة، لأنه لو قلنا أن ما كتب في اللوح المحفوظ هو نفسه ما كتب في الكتاب (العمري والحولي واليومي)، فهذا يعني أن هذه الكتابة لا تتغير لأن ما كتب في اللوح المحفوظ لا يتغير، في حين أن الكتب الاخرى (العمري والحولي واليومي) قابلة للمحو والاثبات.

كتابة الاعمال

مما تقدم فإن كتابة الأعمال (وهي المرتبة الثانية من مراتب القدر)؛ وهذه الكتابة تسمى الكتابة السابقة، أما الكتابة اللاحقة فهي الكتابة التي تكتبها الملائكة الكرام، والفرق بينهما هو:

الكتابة السابقة	الكتابة اللاحقة
قال تعالى: (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ) (يس ١٢)	قال تعالى: (وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ) (الانفطار ١٠-١٢)
مكتوبة في اللوح المحفوظ	تكتبها الملائكة الكرام بعد عمل الانسان
تكون قبل العمل	تكون بعد العمل
لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب	يترتب عليها ثواب وعقاب

الكتابة الكونية والكتابة الشرعية

الكتابة من أنواع تدبير الله تعالى في خلقه، فقد تكون كونية مظهرة لمعاني القدرة وتوحيد الربوبية، وقد تكون شرعية مظهرة لمعاني الحكمة وتوحيد العبودية.

فالكتابة نوعان: كتابه كونية، وكتابه شرعية.

١- كتابة شرعية، وهذا لا يلزم منها وقوع المكتوب، مثل قوله تعالى: (إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً) (النساء ١٠٣). وقوله: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) (البقرة ١٨٣). والكتابة الشرعية فللعبد فيها مشيئة وإرادة. لأنها من قبيل الشرع والتكليف والابتلاء، وهي الشريعة التي امتحن الله بها العباد ليتميز المؤمن من المنافق، والمسلم من الكافر، والخبيث من الطيب. قال تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصيام كَمَا كُتِبَ عَلَى الذين مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا معدودات) (البقرة ١٨٣)، وقال تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ القتال وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ) (البقرة ٢١٦)، وقال تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النفس بالنفس) (المائدة ٤٥).

٢- كتابة كونية، وهذه يلزم منها وقوع المكتوب كما في قوله تعالى: (قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ) (آل عمران ١٥٤)، ومثل قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء ١٠٥). وقوله: (كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) (المجادلة ٢١). وهي من القَدر الكوني، إذ أن ما كُتب في اللوح المحفوظ يدخل تحت الكتابة الكونية التي لا تتغير ولا تبدل، قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُه إذا أراد شيئاً أن يقول لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس ٨٢) فلا مشيئة للعبد في تغير هذه الكتابة، فهي واقعة لا محاله. وقال تعالى: (كَتَبَ الله لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي) (المجادلة ٢١)، وقال سبحانه: (قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا) (التوبة ٥١)، وقال سبحانه: (وَلَوْلاَ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ)، وقال في بني إسرائيل: (فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأرض فَلاَ تَأْسَ عَلَى القوم الفاسقين) (المائدة ٢٦). [٢٤٠]

---

[٢٤٠] انظر غير مأمور: القول المفيد على كتاب التوحيد / الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، محرم ١٤٢٤هـ، ٢ / ٣٨٤، وكتاب سهل في التوحيد والعقيدة، الدكتور محمود الرضواني، ص ٢٦٠ – ٢٦١، موقع الرضوانية – دار العقيدة المصرية.www.alridwany.com

المبحث السادس: الارادة الربانية

(المقصود في هذا الباب مشيئة الرب وأنها الموجبة لكل موجود، كما أن عدم مشيئته موجب لعدم وجود الشيء، فهما الموجبتان:

- ما شاء الله وجب وجوده
- وما لم يشأ وجب عدمه وامتناعه

وهذا أمر يعم كل مقدور من الأعيان والأفعال والحركات والسكنات، فسبحانه أن يكون في مملكته ما لا يشاء أو أن يشاء شيئا فلا يكون، وإن كان فيها ما لا يحبه ولا يرضاه وإن كان يحب الشيء فلا يكون لعدم مشيئته له ولو شاءه لوجد).[٢٤١]

ويثبت أهل السنة لله تعالى؛ (إرادة) كونية وهي التقدير الأزلي، و(إرادة) شرعية وهي المراد من العباد شرعاً، فالأولى تنفذ ولو كانت غير مرضية من الله والثانية مرضية من الله وإن كانت غير نافذة، والعباد مسؤولون عن مقتضى الإرادة الشرعية.

إن الإرادة المضافة لله عز وجل في نصوص الشرع (الكتاب والسنة) نوعان:

الأولى: قدرية كونية خلقية (أو كونية قدرية): أي شاملة لجميع المخلوقات، وهي تعني إرادة إيجاد الشيء وخلقه، وهذا النوع من الإرادة لابد من وقوعه فإنه لا يتخلف إلا أنه لا يتعلق بالمحبة والرضا فقد يكون مما يحب الله عز وجل مثل طاعة المؤمنين وعباداتهم التي أراد الله وقوعها منهم، وقد تكون الإرادة مما لا يحب الله عز وجل مثل كفر الكافرين ومعصية العصاة الواقعة منهم، فإنها لم تقع منهم إلا بعد إرادة الله وقوعها، لكن الله عز وجل لا يحبها بل يبغضها ويكرهها، وإن كانت واقعة بإرادته الكونية القدرية.

ومن الأدلة على الإرادة الكونية القدرية قول الله تعالى: (إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس ٨٢)، وقال سبحانه: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ ومَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّماءِ) (الأنعام ١٢٥).

وقال تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) (البقرة ٢٣٥)

وقال تعالى: (وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) (هود ٣٤)

فهذه الآيات وردت فيها الإرادة المضافة إلى الله عز وجل ومنها ما يحبه الله عز وجل مثل الهداية بشرح الصدور، ومنها ما لا يحبه مثل الضلال والقتل والغواية. ولكن الجميع واقع بإرادته جل وعلا التي هي بمعنى المشيئة قال تعالى: (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) (الزمر ٧).

والثانية: إرادة أمرية طلبية شرعية (أو دينية شرعية): وهي مستلزمة للمحبة والرضا (تتعلق بالطاعات المأمور بها)، سواء وجدت أو لم توجد، وذلك مثل محبة الله عز وجل طاعة العباد وإيمانهم وهدايتهم.

ومن الأدلة الدالة على ذلك قوله عز وجل: (يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة ١٨٥)، وقوله سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ويَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) (النساء ٢٦).

وقوله عز وجل: (وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) (المائدة ٦)

وقوله عز وجل: (وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) (النساء ٢٧)

فالإرادة في هذه الآيات تسمى الإرادة الدينية الشرعية المستلزمة للمحبة والرضا، ولكنها قد تقع إذا تعلق بها النوع الآخر من الإرادة وهي الإرادة الكونية القدرية، وقد لا تقع إذا لم يتعلق بإيجادها إرادته الكونية القدرية.

ويفيدنا ذلك معرفة أن جميع الطاعات يريدها الله ديناً وشرعاً ويحبها ويرضاها، أما المعاصي فإنه لا يريدها ديناً ولا شرعاً، وأنه جل وعلا يبغضها ويكرهها، وأنه قد يريد وجودها كوناً وقدراً فتوجد من عباده وهو في نفس الوقت يبغضها ويكرهها وقد توعدهم بالعقوبة عليها.

---

[٢٤١] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٤٩.

(فالأولى: بمعنى المشيئة، وهي عامة لكل ما وجد فيقال في الطاعات: إن الله أرادها وقدر وجودها، وأحبها فوجدت. وفي المعاصي: إن الله أرادها كونا وقدرا وخلقها فوجدت، مع أنه نهى عنها ولم يحبها.
وأما الثانية: فهي بمعنى محبة المراد، والرضا به، ولا يلزم منها وجود المراد، فإيمان المؤمنين، وأعمالهم التي قد عملوها، تعلقت بها الإرادتان، حيث إن الله شاءها وخلقها فوجدت، وأحبها ورضيها فمدح أهلها؛ وإيمان الكافر لم يوجد مع أن الله قد أحب منه الإيمان، وأمره به شرعا، ولكنه ما أراده قدرا، ولا خلقه فيه، ولا أعانه، فلم يتعلق به إلا الإرادة الدينية الشرعية).[٢٤٢]
قال الشيخ العثيمين:
١/ إرادة كونية: وهذه الإرادة مرادفة تماماً للمشيئة، فـ (أراد) فيها بمعنى (شاء)، وهذه الإرادة:
أولاً: تتعلق فيما يحبه الله وفيما لا يحبه. وعلى هذان فإذا قال قائل: هل أراد الله الكفر؟ فقل: بالإرادة الكونية نعم أراده، ولو لم يرده الله عز وجل، ما وقع.
ثانياً: يلزم فيها وقوع المراد، يعني: أن ما أراده الله فلا بد أن يقع، ولا يمكن أن يتخلف.
٢/ إرادة شرعية: وهي مرادفة للمحبة، فـ (أراد) فيها بمعنى (أحب)، فهي:
أولاً: تختص بما يحبه الله، فلا يريد الله الكفر بالإرادة الشرعية ولا الفسق.
ثانياً: أنه لا يلزم فيها وقوع المراد، بمعنى: أن الله يريد شيئاً ولا يقع، فهو سبحانه يريد من الخلق أن يعبدوه، ولا يلزم وقوع هذا المراد، قد يعبدونه وقد لا يعبدونه، بخلاف الإرادة الكونية.
فصار الفرق بين الإرادتين من وجهين:
١-الإرادة الكونية يلزم فيها وقوع المراد، والشرعية لا يلزم.
٢-الإرادة الشرعية تختص فيما يحبه الله، والكونية عامة فيما يحبه وما لا يحبه.
فإذا قال قائل: كيف يريد الله تعالى كوناً ما لا يحبه، بمعنى: كيف يريد الكفر أو الفسق أو العصيان وهو لا يحبه؟!
فالجواب: أن هذا محبوب إلى الله من وجه مكروه إليه من وجه آخر، فهو محبوب إليه لما يتضمنه من المصالح العظيمة، مكروه إليه لأنه معصية.
ولا مانع من أن يكون الشيء محبوباً مكروها باعتبارين، فها هو الرجل يقدم طفله الذي هو فلذة كبده وثمرة فؤاده، يقدمه إلى الطبيب ليشق جلده ويخرج المادة المؤذية فيه، ولو أتى أحد من الناس يريد أن يشقه بظفره وليس بالمشرط لقاتله، لكن هو يذهب إلى الطبيب ليشقه وهو ينظر إليه، وهو فرح مسرور، يذهب به إلى الطبيب ليحمي الحديد على النار حتى تلتهب حمراء، ثم يأخذها ويكوي بها ابنه، وهو راض بذلك، لماذا يرضى بذلك وهو ألم للابن؟ لأنه مراد لغيره للمصلحة العظيمة التي تترتب على ذلك.
ونستفيد بمعرفتنا للإرادة من الناحية المسلكية أمرين:
الأمر الأول: أن نعلق رجاءنا وخوفنا وجميع أحوالنا وأعمالنا بالله، لأن كل شيء بإرادته وهذا يحقق لنا التوكل.
الأمر الثاني: أن نفعل ما يريده الله شرعاً، فإذا علمت أنه مراد لله شرعاً ومحبوب إليه، فإن ذلك يقوي عزمنا على فعله.
هذا من فوائد معرفتنا بالإرادة من الناحية المسلكية، فالأول باعتبار الإرادة الكونية، والثاني: باعتبار الإرادة الشرعية.[٢٤٣]

---

[٢٤٢] التعليقات على متن لمعة الاعتقاد/ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين (المتوفى١٤٣٠هـ)، اعتنى به: أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، ص١١٨.
[٢٤٣] شرح العقيدة الواسطية/ الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، تحقيق سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ، ص٢٢٢-٢٢٤.

الفرق بين الارادة الكونية والارادة الشرعية

ويمكن حصر الفروق بين الإرادة الكونية وما يتعلق بها من الأمر والحكمة، وبين الإرادة الشرعية وما يتعلق بها من الأمر والحكمة فيما يلي:

١/ الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها.

أما الشرعية فيحبها الله ويرضاها؛ فالكونية مرادفة للمشيئة، والشرعية مرادفة للمحبة.

٢/ الإرادة الكونية قد تكون مقصودة لغيرها كخلق إبليس مثلاً، وسائر الشرور؛ لتحصل بسببها محابّ كثيرة، كالتوبة، والمجاهدة، والاستغفار.

أما الشرعية فمقصودة لذاتها؛ فالله أراد الطاعة وأحبها، وشرعها، ورضيها لذاتها.

٣/ الإرادة الكونية لابد من وقوعها؛ فالله إذا شاء شيئاً وقع ولابد، كإحياء أحد أو إماتته، أو غير ذلك.

أما الشرعية كالإسلام - مثلاً - فلا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا تقع، ولو كان لابد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين.

٤/ الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه، أما الشرعية فمتعلقة بألوهيته وشرعه. [٢٤٤]

٥/ الإرادتان تجتمعان في حق المطيع، فالذي أدى الصلاة - مثلاً - جمع بينهما؛ وذلك لأن الصلاة محبوبة لله، وقد أمر بها، ورضيها، وأحبها، فهي شرعية من هذا الوجه، وكونها وقعت دلَّ على أنَّ الله أرادها كوناً؛ فهي كونية من هذا الوجه؛ فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع.

وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر، ومعصية العاصي، فكونها وقعت فهذا يدلُّ على أن الله شاءها؛ لأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته، وكونها غير محبوبة ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية.

وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر، وطاعة العاصي، فكونها محبوبة لله فهي شرعية، وكونها لم تقع - مع أمر الله بها ومحبته لها - هذا دليل على أنها شرعية فحسب؛ إذ هي مرادة محبوبة لم تقع.

٦/ الإرادة الكونية أعمّ من جهة تعلّقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه، من الكفر والمعاصي، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر، وطاعة الفاسق.

والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به، واقعاً كان أو غير واقع، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به.

هذه فوارق بين الإرادتين،[٢٤٥] فمن عرف الفرق بينهما سلم من شُبهات كثيرة، زلَّت بها أقدام، وضلَّت بها أفهام، فمن نظر إلى الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيراً، ومن نظر إلى الشرع دون القدر أو العكس كان أعور. إهـ [٢٤٦]

نماذج لأمور شرعية وكونية

(كما أن الإرادة منها ما هو كوني قدري، ومنها ما هو شرعي ديني، فكذلك الكتابة، والأمر، والإذن، والجعل، والكلمات، والبعث، والإرسال، والتحريم، والإيتاء، والكره، ونحوها، كل هذه الأمور منها ما هو شرعي ومنه ما هو كوني.

فمن أمثلة الكتابة الكونية قوله تعالى: (كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) (المجادلة ٢١)، ومن أمثلة الكتابة الشرعية قوله: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ) (البقرة ١٨٣).

---

[٢٤٤] قلت: أو بمعنى آخر؛ الإرادة الكونية متعلقة بالخلق والإيجاد، والشرعية بالشرع والتكليف.
والإرادة الكونية مرتبطة بالقدرة، والإرادة الشرعية مرتبطة بالحكمة.

[٢٤٥] قلت: أضف لما تقدم، أن الارادة الكونية متوجهة إلى جميع المخلوقات، أما الارادة الشرعية فهي متوجهة إلى المكلفين.

[٢٤٦] القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية / دراسة وتحقيق وشرح الباحث محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد.
وانظر له -الايمان بالقضاء والقدر – ص٩٨ -٩٩.

والأمر الكوني قوله: (وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) (القمر ٥٠)، والشرعي قوله: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ) (النحل ٩٠).

والإذن الكوني قوله: (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ) (البقرة ١٠٢)، والشرعي قوله: (آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ) (يونس ٥٩)، وقوله: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنْ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ) (الشورى ٢١).

والجعل الكوني قوله: (كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ) (الأنعام ١٢٥)، والشرعي: (مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ) (المائدة ١٠٣)، أما قوله: (جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ) (المائدة ٩٧)، فهذا يتناول الأمرين، فإن الله جعلها كذلك بقدره وبشرعه.

وكذلك الكلمات منها ما هو كوني كقوله: (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) (يونس ٣٣)، ومنها الشرعي كقوله: (حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ) (التوبة ٦)، واجتمع النوعان في قوله تعالى: (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا) (التحريم ١٢).

وكذلك البعث منه الكوني كقوله: (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا) (الإسراء ٥)، والشرعي كقوله: (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ) (البقرة ٢١٣)، وقوله: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ) (الجمعة ٢).

وكذلك الإرسال منه الكوني كقوله: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) (الأعراف ٥٧)، ومنه الديني كقوله: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى) (الصف ٩).

والتحريم الكوني كقوله: (وحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ) (القصص ١٢)، والشرعي: (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً) (المائدة ٩٦).

والإيتاء الكوني كقوله: (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ) (البقرة ٢٤٧)، والديني كقوله: (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) (البقرة: ٩٣)، وقوله: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ) (البقرة ٢٦٩)، يشمل النوعين؛ فإنه يؤتيهما أمراً وديناً وتوفيقاً وإلهاماً.

والكره كذلك منه ما هو كوني كما في قوله تعالى: (وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ) (التوبة ٤٦)، ومنه ما هو شرعي كما في قوله تعالى: (كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً) (الإسراء ٣٨).

والفروق بين هذه الأمور من جهة أن منها ما هو شرعي ديني، ومنها ما هو كوني قدري، كالفروق بين الإرادتين الكونية القدرية، والشرعية الدينية[٢٤٧]). [٢٤٨]

في انقسام القضاء والحكم والإرادة والكتابة والأمر والإذن والجعل والكلمات والبعث والإرسال والتحريم والانشاء إلى كوني متعلق بخلقه وإلى ديني متعلق بأمره وما يحقق ذلك من إزالة اللبس والإشكال.

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله:

(عن تفصيل الإرادة والإذن والكتاب والحكم والقضاء والتحريم وغير ذلك؛ مما هو ديني موافق لمحبة الله ورضاه وأمره الشرعي؛ وما هو كوني موافق لمشيئته الكونية

فأجاب: الحمد لله، هذه الأمور المذكورة وهي الإرادة والإذن والكتاب والحكم والقضاء والتحريم وغيرها كالأمر والبعث والإرسال ينقسم في كتاب الله إلى نوعين:

أحدهما: ما يتعلق بالأمور الدينية التي يحبها الله تعالى ويرضاها ويثيب أصحابها ويدخلهم الجنة وينصرهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وينصر بها العباد من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين.

---

[٢٤٧] انظر غير مأمور، شفاء العليل لابن القيم الجوزية، ص ٥٥٨ -٥٦٧.

[٢٤٨] القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية / دراسة، وتحقيق، وشرح الباحث محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد. وانظر له -الايمان بالقضاء والقدر – ص١٠٠-١٠١.

والثاني: ما يتعلق بالحوادث الكونية التي قدرها الله وقضاها مما يشترك فيها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وأهل الجنة وأهل النار، وأولياء الله وأعداؤه، وأهل طاعته الذين يحبهم ويحبونه ويصلي عليهم هو وملائكته، وأهل معصيته الذين يبغضهم ويمقتهم ويلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون.
فمن نظر إليها من هذا الوجه شهد الحقيقة الكونية الوجودية فرأى الأشياء كلها مخلوقة لله مدبرة بمشيئته مقهورة بحكمته فما شاء الله كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاء الناس، لا معقب لحكمه ولا راد لأمره ورأى أنه سبحانه رب كل شيء ومليكه له الخلق والأمر: وكل ما سواه مربوب له مدبر مقهور لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بل هو عبد فقير إلى الله تعالى من جميع الجهات، والله غني عنه كما أنه الغني عن جميع المخلوقات).[٢٤٩]
وقال العلامة ابن القيم الجوزية: (فما كان من كوني فهو متعلق بربوبيته وخلقه وما كان من الديني فهو متعلق بإلهيته وشرعه وهو كما أخبر عن نفسه سبحانه له الخلق والأمر فالخلق قضاؤه وقدره وفعله والأمر شرعه ودينه فهو الذي خلق وشرع وأمر وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري وأما حكمه الديني الشرعي فيعصيه الفجار والفساق والأمران غير متلازمين فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عبادة وإيمانهم وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه ولم يفعله المأمور وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي.
إذا عرف ذلك:
فالقضاء في كتاب الله نوعان كوني قدري كقوله: (فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ) (سبأ ١٤)، وقوله: (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ) (الزمر ٦٩ و٧٥) وشرعي ديني كقوله: (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) (الإسراء ٢٣) أي أمر وشرع ولو كان قضاء كونيا لما عبد غير الله.
والحكم أيضا نوعان فالكوني كقوله: (قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ) (الأنبياء ١١٢) أي افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك والديني كقوله: (ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) (الممتحنة ١٠)، وقوله: (إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ) (المائدة ١) وقد يرد بالمعنيين معا كقوله: (وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) (الكهف ٢٦)، فهذا يتناول حكمه الكوني وحكمه الشرعي.
والإرادة أيضا نوعان فالكونية كقوله تعالى: (فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ) (البروج ١٦)، وقوله: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً) (الإسراء ١٦)، وقوله: (إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) (هود ٣٤)، وقوله: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ) (القصص ٥)، والدينية كقوله: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة ١٨٥)، وقوله: (وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ) (النساء ٢٧)، فلو كانت هذه الإرادة كونية لما حصل العسر لأحد منا ولو وقعت التوبة من جميع المكلفين وبهذا التفصيل يزول الاشتباه في مسألة الأمر والإرادة هل هما متلازمان أم لا؟)، (والصواب أن الأمر يستلزم الإرادة الدينية ولا يستلزم الإرادة الكونية فإنه لا يأمر إلا بما يريده شرعا ودينا وقد يأمر بما لا يريده كونا وقدرا كإيمان من أمره ولم يوفقه للإيمان مراد له دينا لا كونا وكذلك أمر خليله بذبح ابنه ولم يرده كونا وقدرا وأمر رسوله بخمسين صلاة ولم يرد ذلك كونا وقدرا وبين هذين الأمرين وأمر من لم يؤمن بالإيمان فرق فإنه سبحانه لم يحب من إبراهيم ذبح ولده وإنما أحب منه عزمه على الامتثال وأن يوطن نفسه عليه وكذلك أمره محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء بخمسين صلاة وأما أمر من علم أنه لا يؤمن بالإيمان فإنه سبحانه يحب من عباده أن يؤمنوا به وبرسله ولكن اقتضت حكمته أن أعان بعضهم على فعل ما أمره ووفقه له وخذل بعضهم فلم يعنه ولم يوفقه فلم تحصل مصلحة الأمر منهم وحصلت من الأمر بالذبح.

[٢٤٩] مجموع الفتاوى / تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية،١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٥٨/٨-٥٩.

وأما الكتابة فالكونية كقوله: (كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) (المجادلة ٢١)، وقوله: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) (الأنبياء ١٠٥)، وقوله: (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) (الحج ٤)، والشرعية الأمرية كقوله: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ) (البقرة ١٨٣)، وقوله: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) الى قوله تعالى: (كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ) (النساء ٢٣ - ٢٤)، وقوله: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) (المائدة ٤٥) فالأولى كتابة بمعنى القدر والثانية كتابة بمعنى الأمر.

والأمر الكوني كقوله: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس ٨٢)، وقوله: (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) (القمر ٥٠)، وقوله: (وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولًا) (النساء ٤٧)، وقوله: (وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا) (مريم ٢١)، وقوله: (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا) (الإسراء ١٦)، فهذا أمر تقدير كوني لا أمر ديني شرعي فإن الله لا يأمر بالفحشاء، والمعنى قضينا ذلك وقدرناه وقالت طائفة بل هو أمر ديني والمعنى أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا والقول الأول أرجح)، (ومن الديني قوله: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل ٩٠)، وقوله: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا) (النساء ٥٨)، وهو كثير.

وأما الإذن الكوني فكقوله تعالى: (وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) (البقرة ١٠٢) أي بمشيئته وقدره وأما الديني فكقوله: (مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ) (الحشر ٥) أي بأمره ورضاه وقوله: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ) (يونس ٥٩)، وقوله: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ) (الشورى ٢١).

وأما الجعل الكوني فكقوله: { إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ } (يس ٨) وقوله: (وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) (يونس ١٠٠)، وقوله: (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) (النحل ٧٢) وهو كثير. وأما الجعل الديني فكقوله: (مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ) (المائدة ١٠٣) أي ما شرع ذلك ولا أمر به وإلا فهو مخلوق له واقع بقدره ومشيئته وأما قوله: (جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ) (المائدة ٩٧) فهذا يتناول الجعلين فإنها جعلها كذلك بقدره وشرعه وليس هذا استعمالا للمشترك في معنييه بل إطلاق اللفظ وإرادة القدر المشترك بين معنييه فتأمله.

وأما الكلمات الكونية فكقوله: (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (يونس ٣٣)، وقوله: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود ١١٩)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق)،[٢٥٠] فهذه كلماته الكونية التي يخلق بها ويكون ولو كانت الكلمات الدينية هي التي يأمر بها وينهى لكانت مما يجاوزهن الفجار والكفار وأما الديني فكقوله: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ) (التوبة ٦)، والمراد به القرآن، وقوله صلى الله عليه وسلم في النساء: (واستحللتم فروجهن بكلمة الله)[٢٥١] أي بإباحته ودينه وقوله: (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ) (النساء ٣) وقد اجتمع النوعان في قوله: (وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ) (التحريم ١٢) فكتبه كلماته التي يأمر بها وينهى ويحل ويحرم وكلماته التي يخلق بها ويكون فأخبر أنها ليست جهمية تنكر كلمات دينه وكلمات تكوينه وتجعلها خلقا من جملة مخلوقاته.

وأما البعث الكوني فكقوله: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) (الإسراء ٥)، وقوله: (فَبَعَثَ اللهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ) (المائدة ٣١)، وأما البعث الديني فكقوله: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ) (الجمعة ٢)، وقوله: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) (البقرة ٢١٣).

وأما الإرسال الكوني فكقوله: (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) (مريم ٨٣)، وقوله: (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ) (الفرقان ٤٨)، وأما الديني فكقوله: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ) (التوبة ٣٣)، وقوله: (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا) (المزمل ١٥).

---

[٢٥٠] (صحيح) رواه الامام احمد في المسند والطبراني في الكبير عن عبد الرحمن بن خنبش، وانظر السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني ٨٤٠.

[٢٥١] (صحيح) رواه مسلم وأبو داود والنسائي عن جابر، وانظر الارواء للشيخ الالباني ١٠١٧.

وأما التحريم الكوني فكقوله: (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) (القصص ١٢)، وقوله: (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً) (المائدة ٢٦)، وقوله: (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) (الأنبياء ٩٥)، وأما التحريم الديني فكقوله: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ) (النساء ٢٣) و (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ) (المائدة ٣)، (وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا) (المائدة ٩٦)، (وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا) (البقرة ٢٧٥).

وأما الإيتاء الكوني فكقوله: (وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ) (البقرة ٢٤٧)، وقوله: (قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ) (آل عمران ٢٦)، وقوله: (وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (النساء ٥٤)، وأما الإيتاء الديني فكقوله: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) (الحشر ٧)، وقوله: (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ) (البقرة ٦٣و٩٣) وأما قوله: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) (البقرة ٢٦٩)، فهذا يتناول النوعين فإنه يؤتيها من يشاء أمرا ودينا وتوفيقا وإلهاما.

وأنبياؤه ورسله وأتباعهم حظهم من هذه الأمور الديني منها وأعداؤه واقفون مع القدر الكوني فحيث ما مال القدر مالوا معه فدينهم دين القدر ودين الرسل وأتباعهم دين الأمر فهم يدينون بأمره ويؤمنون بقدره وخصماء الله يعصون أمره ويحتجون بقدره لا يقولون نحن واقفون مع مراد الله نعم مع مراده الديني أو الكوني ولا ينفعكم وقوفكم مع المراد الكوني ولا يكون ذلكم عذرا لكم عنده إذ لو عذر بذلك لم يذم أحدا من خلقه ولم يعاقبه ولم يكن في خلقه عاص ولا كافر ومن زعم ذلك فقد كفر بالله وكتبه كلها وجميع رسله وبالله التوفيق).[٢٥٢]

قوله سبحانه وتعالى: (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۞ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ)

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: (الفعال لما يريد هذا من كمال قوته، ونفوذ مشيئته، وقدرته، أن كل أمر يريده يفعله بلا ممانع، ولا معارض. وليس له ظهير، ولا عوين على أي أمر يكون، بل إذا أراد شيئاً قال له: كن فيكون.

ومع أنه الفعال لما يريد فإرادته تابعة لحكمته، وحمده، فهو موصوف بكمال القدرة، ونفوذ المشيئة، وموصوف بشمول الحكمة لكل ما فعله ويفعله. وليس أحد فعال لما يريد إلا الله).[٢٥٣]

الإرادة الكونية (المشيئة) متعلقة بربوبية الله تعالى وخلقه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وما شاءهُ سبحانه فهو قادر عليه، فإذا شاء شيئاً حصل مراداً له - وهو مقدور عليه - فيلزم وجوده.

وما لم يشأ لم يكن، فإنه لم يرده - وإن كان قادراً عليه - لم يحصل المقتضى التام لوجوده فلا يجوز وجوده.

ويستدل أهل السنة على هذا بقوله سبحانه وتعالى: (ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ۞ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) (البروج ١٥و١٦)، وأن هذه الآية تدل على أمور:

١ -أنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته.

٢ -أنه لم يزل كذلك، فقد ساق الله ذلك في معرض الثناء، وعدم فعله لما يريد في وقت من الأوقات نقص من ذلك الكمال وقد قال عزّ وجل: (أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ) (النحل ١٧).

٣ -أنه إذا أراد أي شيء فإنه يفعله؛ لأن (ما) موصولة عامة أي: يفعل كل ما يريد أن يفعله.

٤ -أن فعله وإرادته متلازمان، فما أراد أن يفعله فعله، وما فعله فقد أراده، بخلاف المخلوق فإنه يريد ما لا يفعل، وقد يفعل ما لا يريد، فما ثم فعال لما يريد إلا الله وحده.

٥ -إثبات إرادات متعددة بحسب الأفعال، وأن كل فعل له إرادة تخصه، فشأنه سبحانه أنه يريد على الدوام، ويفعل ما يريد.

---

[٢٥٢] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٢٨٠-٢٨٣ باختصار.

[٢٥٣] تفسير أسماء الله الحسنى/ الشيخ أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى ١٣٧٦هـ)، تحقيق عبيد بن علي العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة العدد ١١٢ -السنة ٣٣ -١٤٢١هـ، ص٢٢٢.

٦ -أن كل ما صح أن تتعلق به إرادته، جاز أن يفعله، فإذا أراد أن ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، وأن يجيء يوم القيامة لفصل القضاء، وأن يري عباده المؤمنين نفسه لم يمتنع عليه فعله فهو الفعال لما يريد، وإنما تتوقف صحة ذلك على إخبار الصادق به. [٢٥٤]

إشكال، وتوضيح

هناك إشكالاً طرحه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله بطريقة سؤال وجواب، ولأهميته أسوقه كما أورده: قال رحمه الله عند تفسير قول الله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) (هود ١١٨): (وهنا يرد إشكال يسأل عنه طالب العلم؛ وهو: ما المانع من جعل الناس أمة واحدة؛ إما مهتدين على دين واحد، وإما كفارا كلهم؟ وما الحكمة في جعلهم مختلفين؟

والجواب: أنّ ربّ السماوات والأرض غنيّ غنى مطلقا بذاته، خلق الخلق لتظهر فيهم أسرار أسمائه وصفاته، وعلامات ملكه وسلطنته وقهره. ومن صفاته تعالى ما يدلّ على الرحمة والرأفة والشفقة، ومنها ما يدلّ على العزة والقهر والجبروت والغلبة؛ فلو جعل الناس كلهم مهتدين لما ظهر للخلق كمال الإنصاف والعدل، ولما ظهر للناس شدة قهره وجبروته.

ولو جعلهم كلهم كفارا لما ظهر للناس آثار رحمته ورأفته وعطفه وجوده وإحسانه.

ولهذا هدى الله تعالى قوما وطبعهم على الطيب من الأعمال، وصرف نياتهم إلى ما سبق به الأزل لهم من الخير؛ لتظهر فيهم آثار أسمائه الدالة على الرحمة وغيرها من صفات الإحسان والجود والكرم.

وخلق آخرين وطبعهم على الخبث، وصرف نياتهم إلى ما كتب لهم في الأزل وفي سابق علمه من الشقاء؛ لتظهر فيهم آثار قدرته، وشدة بطشه، وكمال عدله وإنصافه. [٢٥٥]

ولابن أبي العزّ الحنفي رحمه الله كلام قريب من هذا الكلام بين فيه الإمام ابن أبي العز رحمه الله بعض الحكم من خلق الخير والشرّ والمتضادات؛ فقال: ومنها ظهور آثار أسمائه القهرية؛ مثل القهار، والمنتقم، والعدل، والضارّ، والشديد العقاب، والسريع الحساب، وذي البطش الشديد، والخافض، والمذلّ.[٢٥٦]

فإنّ هذه الأسماء والأفعال كمال لابدّ من وجود متعلقها.

ولو كان الجنّ والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء. ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه ومغفرته وسترة وتجاوزه عن حقه، وعتقه لمن شاء من عبيده. فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية إلى ظهور آثار هذه الأسماء لتعطلت هذه الحكم والفوائد. وقد أشار النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى هذا بقوله: (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم)، [٢٥٧] ومنه ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة؛ فإنه الحكيم الخبير الذي يضع الأشياء مواضعها، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته، وأعلم بمن يصلح لقبولها ويشكره على انتهائها إليه، وأعلم بمن لا يصلح لذلك [٢٥٨]). [٢٥٩]

---

[٢٥٤] دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية - عرض ونقد / الدكتور عبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن - دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ. ص ٢٣٠ – ٢٣١.

[٢٥٥] معارج الصعود ص٢٩٤-٢٩٥. قلت: كذا في الاصل.

[٢٥٦] قلت: المنتقم، من الأسماء المقيدة ولا يصح اطلاقه والصواب (المنتقم من المجرمين). أما العدل، والضارّ، والخافض، والمذلّ: فلم يصح الخبر في ورودها، فهي ليست من الأسماء الحسنى المطلقة أو المقيدة والله اعلم.

[٢٥٧] أخرجه مسلم في صحيحه ٢١٠٦/٤. قت: كذا في الاصل، ولفظ مسلم في صحيحه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، ولجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ).

[٢٥٨] شرح العقيدة الطحاوية ص٢٨١-٢٨٢. وانظر: مدارج السالكين ٤٠٨/١-٤٠٩، وشفاء العليل ص٢٠٢-٢٠٣، ولوامع الأنوار البهية ٣٤٠/١.

قلت: كذا في الأصل.

[٢٥٩] جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف/ عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٣/ ٥٦٣-٥٦٤.

سؤال: هل مشيئة الله في الماضي والمستقبل، أم في المستقبل لا في الماضي. وما الصواب؟

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن أقوام يقولون: المشيئة مشيئة الله في الماضي والمستقبل، وأقوام يقولون: المشيئة في المستقبل لا في الماضي. ما الصواب؟

فأجاب:

الماضي مضى بمشيئة الله والمستقبل لا يكون إلا أن يشاء الله. فمن قال في الماضي: إن الله خلق السماوات إن شاء الله وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فقد أخطأ. ومن قال: خلق الله السماوات بمشيئة الله وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بمشيئته ونحو ذلك فقد أصاب. ومن قال: إنه يكون في الوجود شيء بدون مشيئة الله فقد أخطأ. ومن قال: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فقد أصاب وكلما تقدم فقد كان بمشيئة الله قطعا؛ فالله خلق السماوات بمشيئته قطعا وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بمشيئته قطعا والإنسان الموجود خلقه الله بمشيئته قطعا وإن شاء الله أن يغير المخلوق من حال إلى حال فهو قادر على ذلك فما خلقه فقد كان بمشيئته قطعا وإن شاء الله أن يغيره غيره بمشيئته قطعا. والله أعلم.[٢٦٠]

سؤال: هل أراد الله تعالى المعصية من خلقه أم لا؟

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: هل أراد الله تعالى المعصية من خلقه أم لا؟

فأجاب:

لفظ (الإرادة) مجمل له معنيان: فيقصد به المشيئة لما خلقه ويقصد به المحبة والرضا لما أمر به.

فإن كان مقصود السائل: أنه أحب المعاصي ورضيها وأمر بها فلم يردها بهذا المعنى فإن الله لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يأمر بالفحشاء بل قال لما نهى عنه: (كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) (الإسراء ٣٨).

وإن أراد أنها من جملة ما شاءه وخلقه فالله خالق كل شيء وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يكون في الوجود إلا ما شاء.

وقد ذكر الله في موضع أنه يريدها وفي موضع أنه لا يريدها والمراد:

- بالأول أنه شاءها خلقا.
- وبالثاني أنه لا يحبها ولا يرضاها أمرا.

كما قال تعالى: (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) (الأنعام ١٢٥)، وقال نوح: (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (هود ٣٤)، وقال في الثاني: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة ١٨٥)، وقال تعالى: (يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النساء ٢٦))، (وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا) (النساء ٢٧)، (يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) (النساء ٢٨)، وقال: (مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) (المائدة ٦)، وقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) (الأحزاب ٣٣).[٢٦١]

---

[٢٦٠] مجموع الفتاوى/ شيخ الاسلام ابن تيمية، ٦٢/٨.

[٢٦١] مجموع الفتاوى/ شيخ الاسلام ابن تيمية، ١٥٩/٨-١٦٠.

المبحث السابع: خلق الله سبحانه الأعمال وتكوينه وإيجاده لها

هذه المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر وهي خلق الله تعالى لأفعال المكلفين ودخولها تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه وكتابه قال تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله وحركاته وسكناته وليس مخصوصا بذاته وصفاته فإنه الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له واللفظ قد فرق بين الخالق والمخلوق وصفاته سبحانه داخله في مسمى اسمه فإن الله سبحانه اسم للإله الموصوف بكل صفة كمال المنزه عن كل صفة نقص ومثال والعالم قسمان أعيان وأفعال وهو الخالق لأعيانه وما يصدر عنها من الأفعال كما أنه العالم بتفاصيل ذلك فلا يخرج شيء منه عن علمه ولا عن قدرته ولا عن خلقه ومشيئته.[٢٦٢]

مسألة خلق أفعال العباد

أفعال العباد مخلوقة لله تبارك وتعالى

(ويقولون إنه لا خالق على الحقيقة إلا الله عز وجل، وأن أكساب العباد كلها مخلوقة لله، وأن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، لا حجة لمن أضله الله عز وجل، ولا عذر، كما قاله الله عز وجل: (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) (الأنعام ١٤٩) وقال: (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝ فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ) (الأعراف ٢٩ - ٣٠) وقال: (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ) (الأعراف ١٧٩) وقال: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا) (الحديد ٢٢) ومعنى "نبرأها" أي نخلقها وبلا خلاف في اللغة، وقال مخبرًا عن أهل الجنة: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) (الأعراف ٤٣) وقال: (أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا) (الرعد ٣١) وقال: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) (هود ١١٨ – ١١٩)).[٢٦٣]

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في الواسطية: (والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو: المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم. وللعباد قدرة على أعمالهم، وإرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم. كَمَا قَالَ تَعَالَى: (لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير ٢٨ – ٢٩).[٢٦٤]

(بيان هذا أن جمهور أهل السنة والجماعة على أن أفعال الإنسان الاختيارية مستندة إليه، وأنه فاعل لها، ومحدث لها، والعبد فاعل لفعله حقيقة لا مجازاً، هذا قول السلف والأئمة. وهو الحق الذي دل عليه المنقول والمعقول، فإن الله، ورسوله وصف العبد بأنه يعمل، ويفعل، وقد جاءت النصوص بإثبات فعله في عامة آيات القرآن: (يعملون)، (يفعلون)، (يؤمنون)، (يكفرون)، (يتفكرون)، (يحافظون)، (يتقون)، ولم يكن من السلف والأئمة من يقول: إن العبد ليس بفاعل، ولا مختار، ولا مريد، ولا قادر، ولا قال أحد منهم: إنه فاعل مجازاً، بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة، والمجاز متفقون على أن العبد فاعل حقيقة.

ومما اتفق عليه سلف الأمة، وأئمتها أن العباد لهم مشيئة، وقدرة يفعلون بمشيئتهم، وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، كما قال الله تعالى: (كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَن شَاء ذَكَرَهُ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ) (المدثر ٥٤ – ٥٦)،

---

[٢٦٢] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل/ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٥٣.

[٢٦٣] اعتقاد أئمة الحديث/ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس بن مرداس الإسماعيلي الجرجاني (المتوفى ٣٧١هـ)، تحقيق محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة – الرياض، ص ٦٠ – ٦١.

[٢٦٤] العقيدة الواسطية اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة / شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى ٧٢٨هـ) تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف – الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. ص ١٠٨

وقال تعالى: (إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً) (المزمل ١٩)، (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيماً) (الإنسان ٣٠).

ومما اتفق عليه سلف الأمة، وأئمتها أن الله خالق كل شيء من أفعال العباد، فالعبد مخلوق لله تعالى، والله تعالى خالق ذاته، وصفاته، وأفعاله. والقرآن مملوء بما يدل على أن أفعال العباد حادثة بمشيئته وقدرته، وخلقه، فإن في القرآن من ذكر تفصيل أفعال العباد التي بقلوبهم، وجوارحهم، وأنه هو تبارك وتعالى يحدث من ذلك ما يطول وصفه كقوله تعالى: (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ) (الأعراف ٣٠).

كما قال تعالى: (لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير ٢٨-٢٩).

وبيان ذلك أن الله تعالى قال: (لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ) (التكوير ٢٨) فأثبت للعبد مشيئة وفعلاً، ثم قال: (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير ٢٩) فبين أن مشيئة العبد متعلقة بمشيئة الله.

وهذا صريح قول أهل السنة في إثبات مشيئة العبد، وأنها لا تكون إلا بمشيئة الرب، وأن العبد له قدرة، وإرادة، وفعل، وهو فاعل حقيقة، والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء).[٢٦٥]

وخلاصة القول أن:

- أفعال العباد مخلوقة لله عز وجل على الحقيقة.
- وهي فعل للعباد على الحقيقة.
- (أن العبد له اختيار ومشيئة، يفعل باختياره، ولكنه لا يخرج عن قضاء الله وقدره، فأفعاله خلق الله، وهي فعله وكسبه، فهو الذي يفعل المعاصي ويفعل الطاعات، ولكن الله هو المقدر، فلذلك يعاقب على جرائمه، ويثاب على طاعته، ولو كان يفعل هذا بغير اختياره ما حصل على الثواب ولا العقاب، فالمجنون والصغير لا يؤاخذان، وكذلك المكره الذي ليس له اختيار لا يؤاخذ).[٢٦٦]
- وأن العباد قادرون على أفعالهم بقدرة حقيقة مؤثرة في وقع الفعل منهم، والله هو الذي أقدرهم على ذلك.

---

[٢٦٥] شرح العقيدة الواسطية من كلام شيخ الاسلام ابن تيمية / جمعه ورتبه الشيخ خالد بن عبد الله المصلح، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية – الرياض، جدة، الاحساء، الطبعة الاولى، رجب ١٤٢١هـ، ص١٦١ – ١٦٣.

[٢٦٦] العقيدة الواسطية اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة / شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى ٧٢٨هـ) تحقيق أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف – الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. ص ٢٦٠.

المبحث الثامن: الإيمان بالقدر ومشيئة العبد واختياره

الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وأن يكون له قدرة عليها، فقد دل على ذلك الشرع والواقع.

أما الشرع: فالأدلة على ذلك كثيرة جداً ومنها قوله تعالى: (فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا) (النبأ ٣٩)، وقوله: (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة ٢٢٣)، وقوله: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) (البقرة ٢٨٦)، وقوله: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) (آل عمران ١٣٣)، وقوله: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) (الكهف ٢٩).

أما الواقع: فكل إنسان يعلم أن له مشيئةً، وقدرةً يفعل بهما ويترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته، كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش.

لكنَّ مشيئته، وقدرته واقعتان بمشيئة الله وقدرته، لقوله تعالى: (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۞ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير ٢٨و٢٩).

وتوضيح ذلك كما قال العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى: (أن العبد إذا صلى، وصام، وعمل الخير، أو عمل شيئاً من المعاصي كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح، والعمل السيّئ، وفعله المذكور - بلا ريب - واقع باختياره، وهو يحس - ضرورة - أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وكما أن هذا هو الواقع، فهو الذي نص الله عليه في كتابه، ونص عليه رسوله صلى الله عليه وسلم حيث أضاف الأعمال صالحها، وسيِّئها إلى العباد، وأخبر أنهم هم الفاعلون لها، وأنهم محمودون عليها إذا كانت صالحة، ومثابون عليها، ومذمومون إذا كانت سيئة، ومعاقبون عليها.

فقد تبين بهذا واتضح أنها واقعة منهم وباختيارهم، وأنهم إن شاءوا فعلوا، وإن شاءوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلاً وحساً، وشرعاً، ومشاهدة.

ومع ذلك إذا أردت أن تعرف أنها - وإن كانت كذلك - واقعة منهم، كيف تكون داخلة في القدر؟ وكيف تشملها المشيئة؟ فيقال: بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرها وشرُها؟ فيقال: بقدرتهم، وإرادتهم.

والذي خلق ما تقوم به الأفعال هو الذي خلق الأفعال؛ فهذا الذي يحل الإشكال، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر، والقضاء، والاختيار.

ومع ذلك فهو تعالى أمد المؤمنين بأسباب، وألطاف، وإعانات متنوعة، وصرف عنهم الموانع، كما قال صلى الله عليه وسلم: (وأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة).[٢٦٧]

وكذلك خذل الفاسقين، ووكلهم إلى أنفسهم؛ لأنهم لم يؤمنوا به، ولم يتوكلوا عليه، فولأَّهم ما تولوه لأنفسهم).[٢٦٨]

وقال الشيخ الفوزان: (أفعال العباد هي فعلهم بإرادتهم ومشيئتهم، وهي خلق الله عز وجل (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات ٩٦)، (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) (الزمر ٦٢)، (هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (فاطر ٣) فالله منفرد بالخلق والتقدير، والعبد له مشيئته وإرادته، وله فعل، فهو باختياره يذهب إلى المسجد، وباختياره يذهب إلى المسارح؛ لأن عنده قدرة، والإنسان الذي لم يعطه الله قدرة ولا استطاعة فهذا قد عذره الله، مثل المجنون والمكره، فليس عنده إرادة، وليس عنده قصد، أما من عنده إرادة وقصد، فهذا الذي يختار الفعل لنفسه، والعقاب والثواب يقع على فعله، وليس على فعل الله عز وجل.

قال الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا) (البقرة ٦٢) (النساء ٥٩)، (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) (آل عمران ١١٦) أسند الإيمان إليهم، وكذلك أسند الكفر (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ) (النساء ٥٩) (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (النور ٥٢) أسند الأفعال إلى العباد.

---

[٢٦٧] رواه الامام مسلم في صحيحه – كتاب القدر /٢٦٤٧.

[٢٦٨] التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة / العلامة أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى ١٣٧٦هـ)، دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ. ص ١٠٠ – ١٠٢.

والدليل على أن العبد له إرادة وقصد قوله تعالى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا) (الإنسان ٣٠)، فأثبت الله سبحانه له مشيئة وللعبد مشيئة، وجعل مشيئة العبد تحت مشيئته سبحانه). [٢٦٩]
وقد أثبت أهل السنة والجماعة المشيئتين، وجعلوا مشيئة العبد مربوطة بمشيئة الله، أخذاً من الآيتين السابقتين فقوله: (وما تشاءون) فيه إثبات مشيئة العباد، وقوله: (إلا أن يشاء الله) فيه إثبات مشيئة الله عز وجل، وفي الآية أن مشيئة العبد ليست مستقلة، وإنما هي مربوطة بمشيئة الله؛ لأنه خلق من خلق الله، خلقه وخلق مشيئته وخلق إرادته، ولهذا لما قال بعض الناس للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، قال عليه الصلاة والسلام: (أجعلتني لله نداً؟) أي: شريكاً في المشيئة (قل: ما شاء الله وحده).[٢٧٠] ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن قوماً يقولون: ما شاء الله وشاء محمد، أنكر ذلك وقال: (قولوا؛ ما شاء الله ثم شاء محمد)،[٢٧١] فجعل مشيئته مرتبة على مشيئة الله بـ (ثم) التي تفيد الترتيب والتراخي، لا بالواو؛ لأنها تقتضي التشريك.[٢٧٢]

افتقار الخلق إلى الله عز وجل

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (فاطر ١٥).
يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، لا تستغنون عنه طرفة عين، وهو سبحانه الغنيُّ عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بالناس فمنه، فله الحمد والشكر على كلِّ حال.
هذا مما ينبغي تأديب المسلمين بفقهه، ولاسيما في التعبيرات والألفاظ، كتعليق المشيئة على مشيئة العبد ومشيئة الرب، فمن شرك الألفاظ قول: (ما شاء الله وشئت) والحلف بغير الله، فإن الإنسان عند حلفه إنما يريد التعظيم، أو العزم ونحو ذلك من المقاصد، فيشيع في كثير من المسلمين الحلف بالنبي أو بالأمانة، أو بغير ذلك، فهذا مما ينبغي تأديب المسلمين في فقهه، وهذا من فقه التوحيد.
وكان إبراهيم النخعي يكره أن يقول: (أعوذ بالله وبك): لأن (الواو) تقتضي التشريك في الاستعاذة، والاستعاذة كما ذكرنا لها جهتان: جهة ظاهرة، وجهة باطنة، أما الجهة الباطنة وهي: الالتجاء، والاعتصام، والرغب، والرهب، وإقبال القلب على المستعاذ به، فهذه لا تصلح إلا لله.

أثر علم العبد بأنه فاعل الطاعات والمعاصي على إيمانه وعبوديته

إذا علم العبد أنه هو الفاعل حقيقة للطاعات أو المعاصي كان لذلك العلم آثاراً في إيمانه وعبادته وهي كالتالي:
أولاً: إذا علم ذلك فإنه لا يمكن له أن يحتج بالقدر على المعائب، فإذا عصى الله لن يقول: قدر الله علي، أو كتبه عليّ قبل أن يخلقني بخمسين ألف عام، فالقدر لا يحتج به على المعائب ولا على المعاصي.
ثانياً: إذا علم أنه فاعل ومريد فلا بد أن يحترز من كل معصية وخطأ وزلل، وكلما نزلت عليه فتنة قال: هذه مهلكتي حتى ينقذه الله منها، ويسارع في الخيرات، ولسان حاله يقول: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) (طه ٨٤) فلعل الله يرضى عنه.[٢٧٣]

---

[٢٦٩] التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية / الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ص ٢١٠ – ٢١١.
[٢٧٠] روى البخاري في الادب المفرد/ ٧٨٣/٦٠٥-(صحيح) عن ابن عباس، قال رجلٌ للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت! قال: " جعلتَ لله ندّاً ؟! ما شاء الله وحده".
[٢٧١] صحيح الجامع الصغير للألباني/ ٤٣٧٨-"قد كنت أكره أن تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد". "صحيح" "الحكيم والنسائي والضياء" عن حذيفة. الصحيحة ١٣٧: احمد في المسند، ابن ماجه.
[٢٧٢] التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية / الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ص ٥١-٥٢.
[٢٧٣] أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/ محمد حسن عبد الغفار، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، الدرس/ ٣٢.

الجمع بين ثبوت مشيئة العبد واختياره وبين ما ورد في تقليب الرحمن قلوب عباده

السؤال

هل يتنافى ما ذكرت من أمر القدر وأن العبد له مشيئة واختيار مع حديث: (قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)[٢٧٤]؟

الجواب

ليس هناك تناف، فالله عز وجل يفعل في خلقه ما يشاء، وتقليب قلوب العباد قد يكون من باب الجزاء على عمل، فقد يجعل الله ذلك من باب الجزاء على العمل، ومع ذلك فالله يفعل في عباده ما يشاء، لكن هذا لا يتنافى مع أن الله جعل كل مكلف ميسراً لما خلق له، فمن عمل صالحاً فسيجرى به، ومن عمل غير صالح فسيجزى به، فكون القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء لا يتعارض مع كون العباد أمروا بأن يفعلوا الإسلام، فقد يكون تقليب قلوب العباد إلى الخير والشر مبنياً على ما قدره الله وما يسره للعبد من ذلك، فلا تنافي.

ولذلك ينبغي للعبد دائماً أن يدعو الله عز وجل بأن يهديه وأن يثبته على الحق والاستقامة ويميته على الإسلام، والنبي صلى الله عليه وسلم المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كان يقول: (يا مقلب القلوب! ثبت قلبي على دينك)[٢٧٥]، وهذا فيه أشار أن الأمور كلها راجعة إلى الله عز وجل، وأنه يفعل بعباده ما يشاء، وأنه لا أحد يتألى على الله عز وجل في ملكه.

المهم أنه لا تعارض بين هذا وذاك، إنما هذا فيه أمر للعباد بأن يلجئوا إلى الله عز وجل، ويدعوه، ويسألوه بالتثبيت والعصمة من الزلل.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.[٢٧٦]

---

[٢٧٤] كتاب السنة بتحقيق الالباني/ ٢٢٢: (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلب ويصرف كيف شاء). حديث صحيح، وإسناده حسن.

[٢٧٥] صحيح الترمذي للألباني/ ٢٧٩٢ - (صحيح)

حدثني شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان عندك، قالت: كان أكثر دعائه يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قالت: فقلت يا رسول الله ما أكثر دعاءك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك. قال يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ. فتلا معاذ (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا). (صحيح ظلال الجنة ٢٢٣).

[٢٧٦] شرح الطحاوية/ ناصر بن عبد الكريم العلي العقل، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، http://www.islamweb.net، الدرس/٥٢.

المبحث التاسع: الكسب والاستطاعة

الكسب

لفظ الكَسْبْ جاء في القرآن في ذِكْرِ ما للمكلف وما عليه، فقال سبحانه وتعالى: (ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ) (البقرة ٢٨١)، (آل عمران ١٦١)، وقال عز وجل: (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ) (البقرة ٢٢٥) ونحو ذلك من الآيات.

وفي السنة النبوية، قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور).[٢٧٧]

(خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح). [٢٧٨]

(شر الكسب مهر البغي وثمن الكلب وكسب الحجام). [٢٧٩]

(الْيَمِينُ الكاذبة مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ). [٢٨٠]

ومذهب أهل السنة والجماعة في الكسب: (إنَّ الكَسْبَ هو العمل وهو الفعل، والله سبحانه وتعالى قال: (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (البقرة ٢٨٦)، وفَرَّقَ ما بين الكَسْبْ والاكتساب مع أنَّ كثيراً من أهل العلم يجعلون الكَسْبَ والاكتساب بمعنى واحد؛ لكن في الآية قال: (لَهَا مَا كَسَبَتْ) يعني في الخير، (وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) فجعل الاكتساب فيه زيادة في المَبْنَى؛ لأنّ فيه نوع كُلْفَة، فالخير موافق للفطرة فَيَكْسَبُهُ الإنسان لموافقته لفطرته مع أنَّه تكليف، وأمّا الشر والرَّدَى والضلال فإنه مخالف لفطرته.

لذلك إتيان المحرمات وإتيان الموبقات ونحو ذلك على ما في الإنسان ربما من الشهوة لبعض ذلك لكن يحتاج معه إلى أن يُعْمِلَ نفسه، يعني أن يُتْعِبَ نفسه ويخالف فطرته في أن يأتي تلك الموبقات.

لذلك زاد المبنى ليدل على أنها فيها نوع كَلَفَة ومشقّة فيما يعمله المرء من الشر، قال (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) (البقرة ٢٨٦)، يعني من الشر.

فجعل أهل السنة الكسب بمعنى العمل.) [٢٨١]

الوسائل المشروعة للكسب

(والطريق الصحيح لمعرفة مشروعية الوسائل الكونية والشرعية هو الرجوع إلى الكتاب والسنة، والتثبت مما ورد فيهما عنها، والنظر في دلالات نصوصهما، وليس هناك طريق آخر لذلك البتة.

فهناك شرطان لجواز استعمال سبب كوني ما، الأول أن يكون مباحاً في الشرع، والثاني أن يكون قد ثبت تحقيقه للمطلوب، أو غلب ذلك على الظن.

وأما الوسيلة الشرعية فلا يشترط فيها إلا ثبوتها في الشرع ليس غير.)

(وكثيراً ما يخلط الناس في هذه الأمور، فيظنون أنه بمجرد ثبوت النفع بوسيلة ما تكون هذه الوسيلة جائزة ومشروعة)

---

[٢٧٧] رواه الامام احمد في المسند والطبراني في الكبير والحاكم في المستدرك عن رافع بن خديج، والطبراني في الكبير عن ابن عمر، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وانظر الحديث رقم/ ١٠٣٣ في صحيح الجامع.

[٢٧٨] رواه الامام احمد في المسند عن أبي هريرة، وقال الشيخ الألباني: حسن، وانظر الحديث رقم/ ٣٢٨٣ في صحيح الجامع.

[٢٧٩] رواه الامام احمد في المسند والامام مسلم في صحيحه والنسائي عن رافع بن خديج، وقال الشيخ الألباني: صحيح، وانظر الحديث رقم /٣٧٠٧ في صحيح الجامع.

[٢٨٠] رواه ابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة، وعلق الشيخ الألباني في التعليقات الحسان /٤٨٨٦: صحيح - وانظر السلسلة الصحيحة /٣٣٦٣.

[٢٨١] شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، والمسمى بـ (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، شرحها فضيلة الشيخ العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة، الاصدار ٣,٤٨.

(فمن الوسائل الكونية المشروعة للكسب والحصول على الرزق اتخاذ البيع والشراء والتجارة والزراعة والإجارة، ومن الوسائل الكونية المحرمة الإقراض بالربا وبيع العينة والاحتكار والغش والسرقة، والميسر وبيع الخمور والتماثيل، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: (وأحل الله البيع وحرم الربا) (البقرة ٢٧٥).
فكل من البيع والربا سبب كوني لكسب الرزق، ولكن الله تعالى أحل الأول، وحرم الثاني.) [٢٨٢]

الاستطاعة

(الاستطاعة هي القدرة من الإنسان، وهي على قسمين:
الأول: استطاعة يتعلق بها التكليف والأمر والنهي.
الثاني: استطاعة يستطيع بها الإنسان الفعل والتنفيذ.
القسم الأول: الاستطاعة التي يتعلق بها التكليف، معناها: الوسع، أن يكون عند الإنسان وسع، أن يفعل أو لا يفعل، عنده إمكانية وتمكن، فالتكليف يتعلق بهذه الاستطاعة، فالإنسان الذي ليس عنده تمكن واستطاعة لا يكلف، كالمجنون والصغير، فلا يكلف فلا يُؤمر ولا يُنهى، ولكن الصغير إن بلغ سبع سنوات فإن عنده استطاعة فيُؤمر بالصلاة من باب الاستحباب والتربية، والتدريب على فعل العبادة، فلا تجب عليه إلا إذا بلغ فيكلف، وهذا النوع يكون قبل الفعل.
القسم الثاني: الاستطاعة التي يكون فيها التنفيذ، وإيجاد الشيء، فهذه تكون مع الفعل فالحج مثلاً فيه الاستطاعتان، قال تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا....) (آل عمران ٩٧) فهذه استطاعة تمكن، فيجب الحج على من يستطيع، والسبيل هو الزاد والراحلة، فيجب عليه الحج إذا وجدهما؛ لأن عنده تمكناً، هذه استطاعة قبل الفعل، أما الاستطاعة مع الفعل - وهو مباشرة الحج - فقد لا يكون عنده قدرة مثل المريض المزمن أو الكبير الهرم، فهذا لا يستطيع استطاعة تنفيذ وفعل، ويستطيع استطاعة تكليف، فهذا يجب عليه الحج في ذمته). إهـ [٢٨٣]

[٢٨٢] موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني / صَنَعَهُ شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م. ٥٨٩/٣.
[٢٨٣] التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية / الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ص ٢٠٧ – ٢٠٩. وانظر غير مأمور مجموع الفتاوى / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ٨/ ٣٧١ – ٣٧٦.

المبحث العاشر: الهداية

(اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم، وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه). [٢٨٤]

الهدى في القرآن الكريم [٢٨٥]

(الله سبحانه وتعالى يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فيهدي من يشاء هداية شرعية دينية، ويضل من يشاء ضلالاً قدرياً كونياً، كما جاء في القرآن الكريم: {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} (النحل ٩٣)، أي: أراد الهداية والضلال إرادة عامة كونية قدرية، وهو لا يريد الضلال ديناً وشرعاً، وإنما يريد الهداية ديناً وشرعاً؛ لأن الهدى متعلق بالإرادة الشرعية، والضلال متعلق بالإرادة الكونية القدرية). [٢٨٦]

أنواع الهداية

(أَنْوَاعُ الهِدَايَةِ فِي الشَّرِيْعَةِ أَرْبَعَةٌ:

١ -هِدَايَةُ الفِطْرَةِ (الغَرِيْزَةِ): وَهِيَ هِدَايَةُ المَخْلُوْقِ إِلَى مَا فِيْهِ بَقَاءُ حَيَاتِهِ وَحُسْنُ مَعَاشِهِ، كَمَا فِي قَوْلِ مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ {قَالَ رَبُّنَا الَّذِيْ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (طَه ٥٠)، يَعْنِي هَدَاهُ إِلَى مَا فِيْهِ مَصْلَحَتُهُ فِي دُنْيَاهُ، كَهِدَايَةِ الطَّيْرِ إِلَى صُنْعِ العُشِّ، وَهِدَايَةِ الرَّضِيْعِ إِلَى الثَّدْيِ وَ ....

٢ -هِدَايَةُ الدِّلَالَةِ وَالإِرْشَادِ: وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِكُلِّ مَنْ دَلَّ إِلَى الخَيْرِ، وَهِيَ الأَكْثَرُ فِي القُرْآنِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (الرَّعْد ٧).

٣ -هِدَايَةُ التَّوْفِيْقِ لِلإِيْمَانِ: وَهِيَ خَاصَّةٌ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ الَّذِيْ يُوَفِّقْ وَيُلْهِم، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا تَوْفِيْقِي إِلَّا بِاللَّهِ} (هُوْد ٨٨)،

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى أَيْضًا: {إِنَّكَ لَا تَهْدِيْ مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ} (القَصَص ٥٦).

٤ -هِدَايَةُ دُخُوْلِ الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ: وَهِيَ مُرَتَّبَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ مِنَ الإِيْمَانِ وَالكُفْرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيْهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيْمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيْمِ} (يُوْنُس ٩)،

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُوْرِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِيْ هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ} (الأَعْرَاف ٤٣).

وهِدَايَةُ أَهْلِ النَّارِ إِلَى دُخُوْلِ النَّارِ هِيَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى {فَاهْدُوْهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجَحِيْمِ، وَقِفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُوْلُوْنَ} (الصَّافَّات ٢٤)) [٢٨٧].

(إذاً تَبَيَّنَ من هذا أنَّ التوفيق مرتبة من مراتب الهداية، والذّي يتصل بالإيمان بالقضاء والقدر وفعل العبد من هذه المراتب المرتبتان الثانية والثالثة هداية الدلالة والإرشاد وهداية التوفيق والإلهام، ولذلك شاع عند العلماء أن الهداية قسمان:

---

[٢٨٤] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت -لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. ص ٦٥.

[٢٨٥] انظر غير مأمور: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت -لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. ص ٦٥.

وإتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل / الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ / الشريط – ٢٢، دروس صوتية من المكتبة الشاملة الاصدار ٣,٤٨.

[٢٨٦] شرح صحيح مسلم / الشيخ أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري / مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية -الدرس ٧٦. http://www.islamweb.net

[٢٨٧] التَّوْضِيْحُ الرَّشِيْدُ فِي شَرْحِ التَّوْحِيْدِ المُذَيَّلُ بِالتَّفْنِيْدِ لِشُبُهَاتِ العَنِيْدِ/ أبو عبد الله خلدون بن محمود بن نغوي الحقوي، ص ١٣٦.

- هداية دلالة وإرشاد.
- وهداية توفيق وإلهام.

لأنَّ هذين النوعين هما اللذان نحتاج إليها في أعظم المسائل المتعلقة بالهداية وهي مسألة القضاء والقدر والهداية والضلال، أما الهداية العامة، وهداية أهل الجنة للجنة وهداية أهل النار للنار هذه مُتَفَقْ عليها معلومة عند الجميع.). [٢٨٨]

الهداية الشرعية والهداية الكونية

الهداية الشرعية: هي هداية البيان والارشاد والدلالة، وهي الأكثر في القرآن الكريم، والله سبحانه وتعالى هدى كل النّاس المسلم والكافر الهداية الشرعية، قال تعالى: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد ١٠)، وهذه الهداية تكون كذلك للأنبياء والصالحين والعلماء، ومن ذلك قوله تعالى في حق رسوله صلى الله عليه وسلم: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الشورى ٥٢)، وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) (السجدة ٢٤)، والرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين الصراط المستقيم، ورغب فيه، وبذل جهده في سلوك الخلق له، وهو لا يقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليه، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق.

أما الهداية الكونية: فهي هداية التوفيق والالهام، وهي خاصة بالله جل جلاله، قال تعالى: (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ) (هود ٨٨). وليست لأحد غير الله تعالى، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستهدي ربه فيقول في دعائه: (اللهم إني أسألك الهدى والسداد) [٢٨٩]

فالذي يشرح الصدر ويوفق ويهدي هو الله سبحانه وتعالى، ولذلك قال سبحانه مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (القصص ٥٦)، فالهداية الكونية خاصة بالمؤمنين، الذين صدَّقوا بالله تعالى اعتقادًا وقولا وعملا واستمسكوا بالنور الذي أُنزل إليهم، فسيدخلهم الجنة رحمة منه وفضلا ويوفقهم إلى سلوك الطريق المستقيم المفضي إلى روضات الجنات، قال تعالى: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) (النساء ١٧٥)، وقال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) (الفرقان ٣١)، وقوله تعالى: (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) (الكهف ١٧)، وقوله تعالى: (قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى) (البقرة ١٢٠).

أما الكافرون إذا أصرُّوا على كفرهم وأصروا على طغيانهم بعد البيان وبعد الإرشاد، فإن الله يحرمهم هداية القلوب، عقوبة من الله سبحانه وتعالى، فقد قال الله تعالى فيهم: (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (آل عمران ٨٦)، وقال سبحانه: (مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) (الأعراف ١٨٦)، وقال تعالى: (والله لا يهدي القوم الظالمين) (البقرة ٢٥٨)؛ فلظلمهم لم يهدهم الله، وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (المائدة ٦٧)، (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (القصص ٥٠)، (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) (المنافقون ٦)، (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) (الزمر ٣)، (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) (غافر ٢٨)، فالهداية المنفية هنا هي هداية التوفيق، والإلهام الخاص، والإعانة الخاصة، وهي التي يسميها العلماء: هداية التوفيق.

أما قوله تعالى: (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم): فالهداية هنا بمعنى الدلالة والتوفيق؛ فهي شاملة للنوعين؛ وقوله: (يهدي من يشاء)، أي يهدي هداية التوفيق من يشاء، واعلم أن كل فعل يضاف إلى مشيئة الله تعالى؛ فهو مقرون بالحكمة؛ أي: من اقتضت حكمته أن يهديه فإنه يهتدي، ومن اقتضت حكمته أن يضله أضله، وقوله: (من يشاء) يعني ممن يستحق الهداية؛ لأن كل شيء علق بمشيئة الله فإنه تابع لحكمته؛ فهو سبحانه

---

[٢٨٨] إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل / الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ / الشريط – ٢٢، دروس صوتية من المكتبة الشاملة الاصدار ٣,٤٨.

[٢٨٩] رواه الامام مسلم في صحيحه / ٢٧٢٥، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وتعالى يهدي من يشاء إذا كان أهلاً للهداية؛ وهو أعلم حيث يجعل هدايته. والله لا يمنع فضله عن أحد إلا إذا كان هذا الممنوع هو السبب.[٢٩٠]

قال تعالى: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ إِنَّ الله كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۞ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) (الإنسان ٣٠ ـ ٣١)

مَا جَاءَ فِي أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُوَفِّق مَنْ شَاءَ بِعَمَلٍ صَالِحٍ يَخْتِمُ بِهِ حَيَاتَهُ

أحاديث نبوية في هداية التوفيق (الهداية الكونية)

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا يَسْتَعْمِلُهُ) قِيلَ: كَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (يُوَفِّقُهُ لعملٍ صالحٍ قَبْلَ الْمَوْتِ).[٢٩١]

- عَنْ عَمْرِو بَنِ الْحَمِقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ) قِيلَ: وَمَا عَسَلُهُ قَبْلَ مَوْتِهِ؟ قَالَ: (يُفْتَحُ لَهُ عملٌ صالحٌ بَيْنَ يَدَيْ مَوْتِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُ)[٢٩٢]

- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: (إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْراً طَهَّرَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَا طَهُورُ الْعَبْدِ؟ قَالَ: (عَمَلٌ صَالِحٌ يُلْهِمُهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ عَلَيهِ).[٢٩٣]

قال المناوي في الفيض: ((إذا أراد الله بعبد خيرا استعمله، قيل كيف يستعمله؟ قال يوفقه لعمل صالح) يعمله (قبل الموت ثم يقبضه عليه) أي يلهمه التوبة وملازمة العمل الصالح كما يحب وينبغي حتى يمل الخلق ويستقذر الدنيا ويحن إلى الموت ويشتاق إلى الملأ الأعلى فإذا هو يرسل الله تعالى يردون عليه بالروح والريحان والبشرى والرضوان من رب راض غير غضبان فينقلونه من هذه الدار الفانية إلى الحضرة العالية الباقية فيرى لنفسه الضعيفة الفقيرة نعيما مقيما وملكا عظيما.

تخريج السيوطي: (احمد في المسند، الترمذي في السنن، ابن حبان في الصحيح، الحاكم في المستدرك، عن أنس بن مالك).[٢٩٤]

وقال: (فمن أراد الله به خيرا طهره من المادة الخبيثة قبل الوفاة حتى لا يحتاج لدخول النار ليطهره فيلهمه الله تعالى التوبة ولزوم الطاعات وتجنب المخالفات أو يصاب بالمصائب وأنواع البلاء المكفرات ليطهر من خبائثه مع كراهته لما أصابه (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢١٦)).[٢٩٥]

---

[٢٩٠] قلت: ومما تقدم تبين أنه لا يصح تسمية الله تعالى بـ (الهادي) على سبيل الاطلاق، فلم يرد دليل في الكتاب والسنة يدل على أن اسم (الهادي) من الأسماء المطلقة، وإنما ورد مقيدا، في قوله تعالى: (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الحج / ٥٤) وقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) (الفرقان /٣١)، لان هدايته تعالى خاصة بالمؤمنين، وهو سبحانه وتعالى لا يهدي القوم الظالمين، الفاسقين، الكافرين.

[٢٩١] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الالباني في التعليقات الحسان، ٣٤٢: صحيح.

[٢٩٢] المصدر السابق، ٣٤٣: صحيح.

[٢٩٣] رواه الطبراني في المعجم الكبير (٧٩٠٠)، تعليق الألباني "صحيح"، صحيح الجامع (٣٠٦).

[٢٩٤] فيض القدير شرح الجامع الصغير/ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى ١٠٣١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ ـ١٩٩٤ م، ٣٣١/١.

[٢٩٥] المصدر السابق.

سؤال: هل الله تعالى يضل ويهدي؟

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية: عن الباري سبحانه هل يضل ويهدي؟

فأجاب:

إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته وقدرته، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ويعز ويذل ويغني ويفقر ويضل ويهدي ويسعد ويشقي ويولي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ويشرح صدر من يشاء للإسلام ويجعل صدر من يشاء ضيقا كأنما يصعد في السماء وهو يقلب القلوب؛ ما من قلب من قلوب العباد إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه، وهو الذي حبب إلى المؤمنين الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون، وهو الذي جعل المسلم مسلما والمصلي مصليا.

قال الخليل: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ) (البقرة ١٢٨)، وقال: (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي) (إبراهيم ٤٠)، وقال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا) (السجدة ٢٤)، وقال عن آل فرعون: (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) (القصص ٤١)، وقال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا) (المعارج ١٩ - ٢١)، وقال: (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا) (هود ٣٧)، وقال: (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ) (هود ٣٨)، والفلك مصنوعة لبني آدم وقد أخبر الله تبارك وتعالى أنه خلقها بقوله: (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ) (يس ٤٢)، وقال: (وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) (النحل ٨٠) الآيات، وهذه كلها مصنوعة لبني آدم، وقال تعالى: (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ۝ وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) (الصافات ٩٥ - ٩٦). فما بمعنى: (الذي)، ومن جعلها مصدرية فقد غلط، لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع والملبوس والمبني دل على أنه خالق كل صانع وصنعته، وقال تعالى: (مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا) (الكهف ١٧)، وقال: (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا) (الأنعام ١٢٥)، وهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه وله فيما خلقه حكمة بالغة ونعمة سابغة ورحمة عامة وخاصة، وهو لا يسأل عما يفعل وهم يسألون لا لمجرد قدرته وقهره بل لكمال علمه وقدرته ورحمته وحكمته، فإنه سبحانه وتعالى أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وقد أحسن كل شيء خلقه، وقال تعالى: (وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) (النمل ٨٨)، وقد خلق الأشياء بأسباب، كما قال تعالى: (وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)البقرة ١٦٤)، وقال: (فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) (الأعراف ٥٧)، وقال تعالى: (يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ) (المائدة ١٦).[٢٩٦]

---

[٢٩٦] مجموع الفتاوي/ شيخ الاسلام ابن تيمية، ٨/ ٧٨ -٨٠.

المبحث الحادي عشر: الواجب على العبد في باب القدر

(الواجب على العبد في هذا الباب أن يُؤمن بقضاء الله، وقدره، وأن يُؤمن بشرع الله، وأمره، ونهيه، فعليه تصديق الخبر، وطاعة الأمر (تنفيذ الامر).

فإذا أحسن حَمِدَ الله، وإذا أساء استغفر الله، وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره؛ فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب، فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصرَّ واحتج فلعنه الله وأقصاه، فمن تاب كان آدمياً، ومن أصرَّ واحتج بالقدر صار إبليسياً، فالسعداء يتبعون أباهم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس.

وبالمراعاة الصحيحة لقدر الله، وشرعه، يصير الإنسان عابداً حقيقة فيكون مع الذين أنعم الله عليهم من أنبياء، وصديقين، وشهداء، وصالحين، وكفى بهذه الصحبة غبطة وسعادة.

وبالجملة فعليه أن يؤمن بمراتب القدر الأربع السابقة، وأنه لا يقع شيء إلا وقد علمه الله، وكتبه، وشاءه، وخلقه، ويؤمن أيضاً بأن الله أمر بطاعته، ونهى عن معصيته، فيفعل الطاعة، ويترك المعصية، فإذا وفقه الله لفعل الطاعة وترك المعصية فليحمد الله، وليستمر على ذلك، وإن خُذِل ووُكل إلى نفسه فَفَعَل المعصية، وترك الطاعة فعليه أن يستغفر ويتوب.

ثم إن على العبد أيضاً أن يسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها، فيضرب في الأرض، ويمشي في مناكبها، فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله، وعلم أن ذلك كله واقع بقدر الله عز وجل وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

وإذا علم العبد من حيث الجملة أن لله فيما خلق وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا، ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه.

ولا يلزم كل أحد أن يعلم تفاصيل الحديث عن الإيمان بالقدر، بل يكفي هذا الإيمان المجمل، فأهل السنة والجماعة كما هو مقرر عندهم لا يوجبون على العاجز ما يجب على القادر). [٢٩٧]

---

[٢٩٧] الايمان بالقضاء والقدر/ محمد بن ابراهيم الحمد، دار الوطن، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ص٧٣ – ٧٤.

المبحث الثاني عشر: مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب القدر

قال شيخ الاسلام ابن تيمية:

(مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو أن الله خالق كل شيء، وربه، ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد، وغير أفعال العباد.

وأنه سبحانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته، وقدرته، لا يمتنع عليه شيء شاءه، بل هو قادر على كل شيء، ولا يشاء شيئاً إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقد دخل في ذلك أفعال العباد، وغيرها، وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم؛ قدر آجالهم، وأرزاقهم، وأعمالهم، وكتب ذلك، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة، وشقاوة، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء، وقدرته على كل شيء، ومشيئته لكل ما كان، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون، وتقديره لها، وكتابته إياها قبل أن تكون). [٢٩٨]

(وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده، ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة، ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه، ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده). [٢٩٩]

(ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء، ويهدي من يشاء أن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم، وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم: إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله، كما قال الله تعالى: (كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ۝ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ۝ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ) (المدثر ٥٤ و٥٦). [٣٠٠]

(وبالجملة فالذي عليه سلف الأمة وأئمتها ما بعث الله به رسله وأنزل كتبه فيؤمنون بخلق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكوني وحكمه الديني وإرادته الكونية والدينية كما قال في الآية الأولى: (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ) (الأنعام ١٢٥)، وقال نوح عليه السلام: (وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ) (هود ٣٤)، وقال تعالى في الإرادة الدينية: (يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة ١٨٥) ، وقال: (يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النساء ٢٦)، وقال: (مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ) (المائدة ٦).

وهم مع إقرارهم بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه خلق الأشياء بقدرته ومشيئته يقرون بأنه لا إله إلا هو لا يستحق العبادة غيره ويطيعونه ويطيعون رسله ويحبونه ويرجونه ويخشونه ويتكلون عليه وينيبون إليه ويوالون أولياءه ويعادون أعداءه ويقرون بمحبته لما أمر به ولعباده المؤمنين ورضاه بذلك وبغضه لما نهى عنه وللكافرين وسخطه لذلك ومقته له ويقرون بما استفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم من: (أن الله أشد فرحا بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما استيقظ إذا بدابته عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته). [٣٠١]

---

[٢٩٨] مجموع الفتاوى/ شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ٨/٤٤٩ - ٤٥٠.

[٢٩٩] نفس المصدر السابق ٨/٤٥٢.

[٣٠٠] نفس المصدر السابق ٨/٤٥٩.

[٣٠١] (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه و عليها طعامه و شرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي و أنا ربك! أخطأ من شدة الفرح)، رواه مسلم في صحيحه عن أنس.

فهو إلـهُم الذي يعبدونه وربهم الذي يسألونه كما قال تعالى: (الحمد لله رب العالمين) إلى قوله (إياك نعبد وإياك نستعين) فهو المعبود المستعان.
والعبادة تجمع كمال الحب مع كمال الذل. فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب محبوبه كما قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) (البقرة ١٦٥)، وكل ما يحبونه سواه فإنما يحبونه لأجله كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار)، وفي الترمذي وغيره: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان)،[٣٠٢] وهو سبحانه يحب عباده المؤمنين وكمال الحب هو الخلة التي جعلها الله لإبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم. فإن الله اتخذ إبراهيم خليلا، واستفاض عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح من غير وجه أنه قال: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا)،[٣٠٣] وقال: (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله)،[٣٠٤] يعني نفسه ولهذا اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة وأهل المعرفة أن الله نفسه يحب ويحب).[٣٠٥]

---

[٣٠٢] صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الالباني:
٣٠٢٨ -(١٩) (حسن) وعن معاذ بْنِ أَنَسٍ رضي الله عنه؛ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:
"مَنْ أَعْطَى لله، ومَنَع لله، وأَحَبَّ لله، وأَبْغَضَ لله، وأَنْكَحَ لله؛ فقَدِ اسْتَكْمَلَ إيْمانَهُ".
رواه أحمد والترمذي وقال: حديث "منكر"، والحاكم، وقال: "صحيح الإسناد"، والبيهقي وغيرهم.
٣٠٢٩ -(٢٠) (حسن صحيح) وعن أبي أُمامَة رضيَ الله عنه؛ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:
"مَنْ أَحبَّ لله، وأَبْغَضَ لله، وأَعْطَى لله، ومَنَع لله؛ فقدِ اسْتَكْمَل الإِيْمانَ".
رواه أبو داود.
[٣٠٣] قال الشيخ الالباني في الارواء/٣٨٦: هو من حديث جندب بن عبد الله البجلي قال، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يموت بخمس وهو يقول: " إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك ".
أخرجه مسلم (٦٧/٢ ـ ٦٨) وأبو عوانة (٤٠١/١) والطبراني في " المعجم الكبير " (٢/٨٤/١)، ورواه ابن سعد في " الطبقات " (٢٤٠/٢) مختصرا دون ذكر الأخوة واتخاذ الخليل
[٣٠٤] (ألا إني أبرأ إلى كل خل من خلته ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا وإن صاحبكم خليل الله).
رواه مسلم في صحيحه والنسائي وابن ماجة عن ابن مسعود.
قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٦٣٥ في صحيح الجامع.
[٣٠٥] مجموع الفتاوى/ شيخ الاسلام ابن تيمية، ٨/ ١٤٠-١٤٢.

المبحث الثالث عشر: الخوض في القضاء والقدر

إن البحث في مسائل القضاء والقدر من أجلِ تعلم ما يجب على المسلم اعتقاده ويصحح به إيمانه واجب، قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم:

(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره حلوه ومره). [٣٠٦]

(أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره).[٣٠٧]

(لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه).[٣٠٨]

(لا يؤمن العبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر).[٣٠٩]

ولا يتحقق هذا الإيمان الواجب إلا بعد العلم به، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقال صلى الله عليه واله وسلم:

(لا يزال أمر هذه الأمة موائما - أو مقاربا - ما لم يتكلموا في الولدان والقدر). [٣١٠]

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: (ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم).[٣١١]

(ونهيه صلى الله عليه وسلم ليس عن الكلام في القدر كعلم، وكباب من أبواب الدين لا ينبغي الحديث عنه، وإنما نهاهم عن الطريقة التي اتبعوها في ذلك، وهي أن يضربوا كلام الله عز وجل بعضه ببعض، ويتصوروا أن بعضه مخالف لبعض، وهو ليس كذلك.) [٣١٢]

ويدخل في النهي الامور التالية:

(١ -الخوض بالقدر بالباطل وبلا علم وبلا دليل.

٢ -الاعتماد في معرفة القدر على العقل البشري القاصر بعيداً عن هدي الكتاب والسنة، وذلك أن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك على وجه التفصيل.

٣ -عدم التسليم والإذعان لله تعالى في قدره، وذلك لأن القدر غيب، والغيب مبناه التسليم.

٤ -البحث عن الجانب الخفي في القدر، الذي هو سر الله في خلقه والذي لم يطَّلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وذلك مما تتقاصر العقول عن فهمه ومعرفته.

٥ -الأسئلة الإعتراضية التي لا ينبغي أن يُسأل عنها، كمن يقول متعنتاً: لماذا هدى الله فلاناً وأضل فلاناً؟ ولماذا كلَّف الله الإنسان من بين المخلوقات؟ ولماذا أغنى الله فلاناً؟ وأفقر فلاناً؟ وهكذا....

---

[٣٠٦] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان /١٦٨ – صحيح.

[٣٠٧] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان /١٧٣ – صحيح.

[٣٠٨] قال الشيخ الالباني في الصحيحة / ٢٤٣٩: أخرجه الترمذي (٢ / ٢١) وابن عدي في " الكامل " (٢١٧ / ١) عن جابر، حديث صحيح.

[٣٠٩] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ١٧٨ – صحيح.

[٣١٠] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٦٦٨٩ – صحيح.

[٣١١] رواه الامام احمد في المسند / ٦٦٦٨، قال محققه: صحيح، وهذا إسناد حسن. وانظر طرق الحديث في ٢٥٠/١١ من مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط -عادل مرشد، وآخرون، إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م.

[٣١٢] دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية / الشيخ عبد الرحيم بن صمايل العلياني السلمي -دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الدرس التاسع، المصدر: http://www.islamweb.net.

أما من يسأل مستفهماً فلا بأس به، فشفاء العي السؤال، أما من سأل متعنتاً غير متفقه ولا متعلم فهو الذي لا يحل قليل سؤاله ولا كثيره....

٦ -التنازع في القدر الذي يؤدي إلى اختلاف الناس فيه وافتراقهم في شأنه فهذا مما نهينا عنه). [٣١٣]

[٣١٣] انظر غير مأمور: الايمان بالقضاء والقدر/ محمد بن ابراهيم الحمد، دار الوطن، المملكة العربية السعودية / الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ص٢٠ -٢٢.

الفصل الثاني
مسائل في القضاء والقدر

١/ انواع القدر
القدر المُثبت والمعلق

القدر قدران:

الاول: المُثبت أو المطلق أو المُبرم أو القدر الازلي:

أي القدر المطابق للعلم الالهي، وهو ما في أم الكتاب فهذا لا يتغير ولا يتبدَل (لا محو فيه البته)، والتقدير الازلي والميثاقي منه، فكلاهما لا يقبلان تغييرا ولا تبديلا. [٣١٤]

والثاني: القدر الْمُعَلَّقُ أو المقيَد: [٣١٥]

وهو ما في كتب الملائكة فهذا الذي يقع فيه المحو والإثبات، والتقديرات العمرية والسنوية واليومية منه، وهي تقبل المحو والإثبات والتغيير.[٣١٦]

وهو معنى الحديث: (لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر). [٣١٧]

والحديث: (الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل). [٣١٨]

(والأظهر أن جميع أنواع القدر كلها موجودة في أم الكتاب، فما كان منها معلقاً على أسبابه وجد عند وجود السبب، وما كان غير معلق وقع في وقته لا يتقدم ولا يتأخر، والعبد مأمور بفعل الأسباب، وأداء الأوامر،

---

[٣١٤] قلت: (أكثر من الدعاء فإن الدعاء يرد القضاء المبرم) رواه أبو الشيخ عن أنس. وقال الشيخ الألباني: (ضعيف جدا)، وانظر الحديث رقم/ ١١٠٢ في ضعيف الجامع. فاقتضى التنبيه.

[٣١٥] قلت: أي المقيد بسبب؛ بمعنى: أن الله عز وجل جعل تقديره السابق على ما سيفعله الإنسان، لكن التعليق لا يعني أن الله عز وجل بدا له شيء، أو أنه لا يعلم ما سيفعل العباد، فالتعليق هنا لا يعني إلا فيما يظهر للعباد، أما فيما كتبه الله عز وجل فليس هناك أمور تعلق، بمعنى: أن الله عز وجل جعل التخيير فيما يبدو للعباد، كحديث زيادة العمر لمن يصل رحمه.

[٣١٦] قلت: انظر غير مأمور كلام الشيخ الالباني / سلسلة الأحاديث الضعيفة /الشيخ محمد ناصر الدين الالباني، دار النشر دار المعارف، الرياض -المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، م ١١/ ق ٢/ ص٧٦٤ – ٧٦٨، في تأويل قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وبيان علاقة ذلك بالقضاء والقدر، فانه مهم.

[٣١٧] قلت: رواه الترمذي والحاكم في المستدرك عن سلمان الفارسي، وقال الشيخ الألباني: (حسن) وانظر الحديث رقم /٧٦٨٧ في صحيح الجامع. وانظر السلسلة الصحيحة /١٥٤.

أما الحديث: (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر). رواه الامام احمد في المسند والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم في المستدرك عن ثوبان. فقد ضعفه الشيخ الالباني، وانظر الحديث /١٤٥٢ في ضعيف الجامع. وقال في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: حسن لغيره دون أوله: (إن الرجل... يصيبه).

وقال في صحيح الترغيب والترهيب/١٦٣٨: (الزيادة المحذوفة لا تصح) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد.

[٣١٨] قلت: قال الشيخ الالباني في صحيح الترغيب والترهيب / ١٦٣٤ -(حسن لغيره): عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء) رواه الترمذي والحاكم كلاهما من رواية عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي وهو ذاهب الحديث عن موسى بن عقبة عن نافع عنه وقال الترمذي حديث غريب وقال الحاكم صحيح الإسناد. إه وجاء في ضعيف الجامع / ٥٧٢٠: (من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء) رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر، وحكم الشيخ بضعفه، فاقتضى التنبيه.

وفي صحيح الجامع/٣٤٠٩– (الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء) رواه الحاكم، وحسنه الشيخ الالباني وانظر المشكاة/٢٢٣٤.

وترك النواهي، وكل ميسر لما خلق له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر القدر وسأله الصحابة رضي الله عنهم بقولهم: ففيم العمل؟ قال صلى الله عليه وسلم: (اعملوا فكلٌّ ميسر لما خُلق له) [٣١٩] الحديث). [٣٢٠]

وقد بوب الامام ابن حبان في صحيحه أحاديث في الحث على العمل:

- ذِكْرُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنَ التَّشْمِيرِ فِي الطَّاعَاتِ وَإِنْ جَرَى قَبْلَهَا مِنْهُ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ مِنَ الْمَحْظُورَاتِ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعُلِمَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: (نَعَمْ) قِيلَ: فَمَا يَعْمَلُ الْعَامِلُونَ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم: (كل ميسر لما خُلِق). [٣٢١]

- ذِكْرُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ تَرْكِ الِاتِّكَالِ عَلَى قَضَاءِ اللَّهِ دُونَ التَّشْمِيرِ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إليه، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ فِي جِنَازَةٍ فَأَخَذَ عُودًا فَجَعَلَ ينكتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ فقَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ) فقال رَجُلٌ: أَلَا نَتَّكِلُ؟ فقَالَ: (اعْمَلُوا فكلٌّ مُيَسَّرٌ) ثُمَّ قَرَأَ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فسنُيسره لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فسنُيسره للعسرى) (الليل ٥ - ١٠). [٣٢٢]

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ فِي جِنَازَةٍ فَأَخَذَ عُودًا يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ فقَالَ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا كُتب مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ مِنَ النَّارِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: (اعْمَلُوا كلٌّ مُيَسَّرٌ) (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۞ فسنُيسره لِلْيُسْرَى ۞ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فسنُيسره للعسرى) (الليل ٥ - ١٠). [٣٢٣]

- ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنَ تَرْكِ الِاتِّكَالِ عَلَى الْقَضَاءِ النَّافِذِ دُونَ إِتْيَانِ الْمَأْمُورَاتِ وَالِانْزِجَارِ عَنِ الْمَحْظُورات، عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَعْمَلُ لِأَمْرٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ أَمْ لِأَمْرٍ نَأْتَنِفُهُ؟ قَالَ: (لأمرٍ قَدْ فُرغ مِنْهُ) قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ إِذًا؟ فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (كلُّ عامل مُيَسَّرٌ لعمله). [٣٢٤]

- ذِكْرُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ قِلَّةِ الِاغْتِرَارِ بِكَثْرَةِ إِتْيَانِهِ الْمَأْمُورَاتِ وَسَعْيِهِ فِي أَنْوَاعِ الطاعات، عَنْ جَابِرٍ أَنَّ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا عَنْ أَمْرِنَا كَأَنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهِ أَبِمَا جَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَثَبَتَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ أَوْ بِمَا يُسْتَأْنَفُ؟ قَالَ: (لَا بَلْ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَثَبَتَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ) قَالَ: فَفِيمَ الْعَمَلُ إِذًا؟ قَالَ: (اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ)، قَالَ سُرَاقَةُ: فَلَا أَكُونُ أَبَدًا أَشَدَّ اجْتِهَادًا فِي الْعَمَلِ مِنِّي الْآنَ. [٣٢٥]

- ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ قَوْلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فكلٌّ مُيَسَّرٌ) أَرَادَ بِهِ مُيَسَّرٌ لِمَا قَدَّرَ لَهُ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ مِنْ خَيْرٍ أو شر، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَتَادَةَ السُّلَمِيُّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ فقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي) قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: (عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ). [٣٢٦]

- ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَمَّا يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ مِنَ تَرْكِ الِاتِّكَالِ عَلَى مَا يَأْتِي مِنَ الطَّاعَاتِ دُونَ الِابْتِهَالِ إِلَى الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا فِي إِصْلَاحِ أَوَاخِرِ أَعْمَالِه، حَدَّثَنَا ابْنُ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ رَبٍّ يَقُولُ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا كَالْوِعَاءِ إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ وَإِذَا خَبُثَ أعلاه خَبُثَ أسفله). [٣٢٧]

---

[٣١٩] تخريج السيوطي: الطبراني في المعجم الكبير عن ابن عباس وعمران بن حصين.
تحقيق الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ١٠٧٤ في صحيح الجامع.

[٣٢٠] الايمان بالقضاء والقدر/ محمد بن ابراهيم الحمد، دار الوطن، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ ص١٢١.

[٣٢١] التعليقات الحسان للشيخ الالباني الحديث/ ٣٣٤، صحيح.

[٣٢٢] التعليقات الحسان للشيخ الالباني الحديث/ ٣٣٥، صحيح.

[٣٢٣] التعليقات الحسان للشيخ الالباني الحديث/ ٣٣٦، صحيح.

[٣٢٤] التعليقات الحسان للشيخ الالباني الحديث/ ٣٣٧، صحيح.

[٣٢٥] التعليقات الحسان للشيخ الالباني الحديث/ ٣٣٨، صحيح.

[٣٢٦] التعليقات الحسان للشيخ الالباني الحديث/ ٣٣٩، صحيح.

[٣٢٧] التعليقات الحسان للشيخ الالباني الحديث/ ٣٤٠، صحيح دون قوله: (بخواتيمها) - السلسلة الصحيحة للألباني (١٧٣٤).

٢/ تأويل قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت) وبيان علاقة ذلك بالقضاء والقدر

قال الشيخ الالباني: (اعلم أن المفسرين اختلفوا اختلافاً كثيراً في تفسير آيتي (الرعد): (لكل أجل كتاب ۞ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) على أقوال كثيرة، استوعبها الشوكاني في الفتح، وذكر بعضها ابن جرير، ثم ابن كثير، واختار هذا ما هو أقرب للسياق؛ فقال: (أي: لكل كتاب أجل، يعني: لكل كتاب أنزله الله من السماء مدة مضروبة عند الله، ومقدار معين، فلهذا: (يمحو الله ما يشاء): منها: (ويثبت)؛ يعني: حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه).

فالمحو والإثبات فيهما خاص بالأحكام في الكتب المتقدمة أو في الشريعة المحمدية، ينسخ منها ما يشاء، ويثبت ما يشاء.

وهو يلتقي مع ما رواه ابن جرير (١٦/ ٤٨٥) وغيره بسند فيه ضعف عن ابن عباس: (يمحو الله ما يشاء)، قال: من القرآن؛ يقول: يبدل الله ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله. (وعنده أم الكتاب)، يقول: وجملة ذلك عنده في أم الكتاب، الناسخ والمنسوخ، وما يبدل، كل ذلك في كتاب.

وقد وجدت ما يقويه من رواية عكرمة عن ابن عباس، من وجهين عن عكرمة:

الأول: رواه يزيد النحوي عنه ابن عباس؛ في قوله: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)، وقال: (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل...) الآية، وقال: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)؛ فأول ما نسخ من القرآن القِبلة... الحديث.

رواه النسائي أواخر الطلاق، وأبو داود مختصراً.

وإسناده حسن؛ كما هو مبين في الإرواء (٧/ ١٦١/ ٢٠٨٠).

والآخر: رواه سليمان التيمي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ في قول الله عز وجل: (يمحو الله ما يشاء)، قال: من أحد الكتابين؛ هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما ويثبت، (وعنده أم الكتاب)؛ أي: جملة الكتاب.

رواه ابن جرير (١٦/ ٤٨١،٤٨٠)، والحاكم (٢/ ٣٤٩). وقال: صحيح غريب. ووافقه الذهبي.

قلت: وفي رواية لابن جرير (١٦/ ٤٩١) من طريق علي عن ابن عباس: (وعنده أم الكتاب)، يقول: وجملة ذلك عنده في أم الكتاب؛ الناسخ والمنسوخ، وما يبدل وما يثبت، كل ذلك في كتاب.

وفي سنده انقطاع وضعف.

ثم اعلم أنه - وإن كان المحو والإثبات في الآية خاصاً بالأحكام الشرعية؛ كما تقدم -؛ فليس في الشرع ما ينفيهما في غيرها، بل إن ظواهر بعض النصوص تدل على خلاف ذلك؛ كمثل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر)؛ وهو حديث حسن مخرج في الصحيحة (١٥٤). وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره (وفي بعض الطرق: في آجله)؛ فليصل رحمه) متفق عليه، وهو مخرج في المصدر السابق برقم (٢٧٦).

وقد صح عن ابن عباس أنه قال: لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر.

أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٠). وقال: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

إذا عرفت ما تقدم؛ فاعلم أن المحو المذكور والزيادة في الرزق والعمر؛ إنما هو بالنسبة للقضاء أو القدر المعلق، وأما القضاء المبرم المطابق للعلم الإلهي؛ فلا محو ولا تغيير، كما كنت شرحت ذلك في تعليقي على مختصر مسلم للمنذري (ص ٤٧٠)؛ فراجعه فإنه هام!

ثم رأيت القرطبي قد أشار إلى ذلك في تفسيره الجامع، فقال (٥/ ٣٣٢): والعقيدة أنه لا تبديل لقضاء الله، وهذا المحو والإثبات مما سبق به القضاء، وقد تقدم أن من القضاء ما يكون واقعاً محتوماً - وهو الثابت -، ومنه ما يكون مصروفاً بأسباب - وهو الممحو - والله أعلم.

قال الغزنوي: وعندي أن ما في اللوح خرج عن الغيب؛ لإحاطة بعض الملائكة، فيحتمل التبديل؛ لأن إحاطة الخلق بجميع علم الله محال، وما في علمه من تقدير الأشياء لا يبدل.

وإذا عرفت هذا؛ سهل عليك فهم كثير من النصوص المرفوعة والآثار الموقوفة، وقد تقدم بعضها، وتخلصت من الوقوع في تأويلها. والله الهادي.
ثم وقفت على كلام جيد لشيخ الإسلام ابن تيمية، يؤيد ما ذهبت إليه في مجموع الفتاوى (٥١٦/٨ - ٥١٨،٥٤٠،٥٤١) و (١٤/ ٤٨٨ -٤٩٢)، فراجعه؛ فإنه مهم.) إه [٣٢٨]

قلت: قال ابن كثير في تفسيره بعد أن ذكر اختلاف المفسرين في تفسير قوله تعالى: (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) (الرعد ٣٩): (ومعنى هذه الأقوال: أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء) ...... (وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (يمحوا الله ما يشاء ويثبت) يقول: يبدل ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله، (وعنده أم الكتاب) يقول: وجملة ذلك عنده في أم الكتاب، الناسخ والمنسوخ، وما يبدل وما يثبت، كل ذلك في كتاب.
وقال قتادة في قوله: (يمحوا الله ما يشاء ويثبت) كقوله: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها (البقرة ١٠٦)).[٣٢٩]

٣/ صلة الرحم سبب في زيادة الرزق والعمر، وبيان أن ذلك لا ينافي قضاء الله وقدره

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ). رواه الامام مسلم في صحيحه.
قال الشيخ الالباني:
(هذا الحديث نص في أن صلة الرحم سبب للزيادة في الرزق وطول العمر، ولا ينافيه أن الرزق والعمر مقدران، فإنهما مقدران بأسبابهما. ألا ترى أن دخول الجنة أو النار مقدر أيضاً، ومع ذلك فدخولهما مربوط بالسبب من الإيمان أو الكفر.
فكما أن قوله تعالى: (فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ) (الشورى ٧)، وقوله تعالى في الحديث القدسي: (هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي)[٣٣٠] لا ينافي الأخذ بأسباب النجاة ودخول الجنة، بل ذلك أمر لا بد منه كما قال تعالى: (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (النحل ٣٢)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المعروف: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة)

[٣٢٨] سلسلة الأحاديث الضعيفة / الشيخ محمد ناصر الدين الالباني، دار النشر دار المعارف، الرياض -المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م. م ١١/ ق ٢/ ص٧٦٤ -٧٦٨.
[٣٢٩] تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م، ٤٦٨/٤ -٤٧١. وانظر غير مأمور فتح القدير / محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، الطبعة الأولى -١٤١٤ هـ، ١٠٤/٣ – ١٠٧.
[٣٣٠] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ ضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمُ الدُّرُّ، ثُمَّ ضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحِمَمُ، فَقَالَ: «هَؤُلَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي»، رواه الطبراني في مسند الشاميين/ ٢٢١٣. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ ١١٧٧٧ -عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى، فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحُمَمُ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى: إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَالْبَزَّارُ، وَالطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.
وفي السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني، ١ / ٧٧-الحديث ٤٨ -"إن الله عز وجل خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر".
رواه أحمد (٤ / ١٨٦) وابن سعد في " الطبقات " (١ / ٣٠ ، ٧ / ٤١٧)، وابن حبان في " صحيحه " (١٨٠٦)، والحاكم (١ / ٣١) والحافظ عبد الغني المقدسي في (الثالث والتسعين من " تخريجه " ٤١ / ٢) من طريق أحمد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمي، وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا. وقال الحاكم: " صحيح ". ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.
قلت: وانظر الحديث: ٤٩ و٥٠ من السلسلة الصحيحة.

[٣٣١]الحديث... فكذلك أقول: من كان طويل العمر عند الله، فسييسر للأخذ بأسباب طول العمر، والعكس بالعكس، فإذاً ليس معنى كون صلة الرحم سبباً لطول العمر أن ذلك يغير ما سبق في علم الله من العمر المحدود، كما أن كون الإيمان سبباً لدخول الجنة ليس معناه أنه يغير مما سبق في علم الله من السعادة أو الشقاوة، بل الحقيقة أن الكل سبق في علم الله، من السبب والمسبب، فمن سبق في علمه تعالى أنه من أهل الجنة فقد سبق في علمه أنه يأخذ بسببه وهو الإيمان، ومن سبق في علمه تعالى أنه من أهل النار فقد سبق في علمه أيضاً أنه يأخذ بسببه وهو الكفر.

فكذلك نقول: من سبق في علمه تعالى أنه طويل العمر فقد سبق في علمه أنه يأخذ بالسبب وهو هنا صلة الرحم والعكس بالعكس. فإذا قلنا طال عمره حقيقة بصلته للرحم كما لو قلنا: دخل الجنة بإيمانه ولا فرق.

فتأمل هذا فإنه يريحك عن تكلف تأويل الحديث بما لا طائل تحته ولا مبرر له سوى البعد عن الفهم السليم لبحث القضاء والقدر، والتوفيق من الله عز وجل). إهـ [٣٣٢]

وقال: (هناك أسباباً شرعية لإطالة العمر؛ كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره (وفي رواية: أجله)؛ فليصل رحمه)؛ أخرجه الشيخان من حديث أنس، وله شواهد خرجت بعضها في صحيح أبي داود (١٤٨٦). وكقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (حسن الخلق وحسن الجوار؛ يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار). أخرجه أحمد بسند صحيح؛ كما تراه مبيناً في (الصحيحة ٥١٩).[٣٣٣]

وقد يظن بعض الناس أن هذه الأحاديث تخالف الآية السابقة: (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها...)، وغيرها من الآيات والأحاديث التي في معناها! والحقيقة؛ أنه لا مخالفة؛ لأن الأحاديث المذكورة آنفاً إنما تتحدث عن مبدأ الأخذ بالأسباب، ولا تتحدث عما سبق في علم الله الأزلي من الآجال المحددة؛ فإن علم الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل؛ تماماً كما هو الشأن في الأعمال الصالحة والطالحة، والسعادة والشقاوة، فالآيات والأحاديث التي تأمر بالإيمان والعمل الصالح، وتنهى عن نقيضهما لا تكاد تحصى، وفي بعضها يقول الله تعالى: (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)، وقد ذكر العلماء المحققون أن الباء في هذه الآية؛ إنما هي باء السببية، فذلك كله لا ينافي ما سبق في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة، بل إنما هما أمران متلازمان: السعادة مع العمل الصالح، والشقاوة مع العمل الطالح. وهذا صريح في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها). أخرجه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج في (تخريج السنة) (١٧٥ -١٧٦).

فانظر كيف أن نهاية الأمر كان مقروناً بالعمل دخول الجنة والنار. فكما أنه لا يقال: إن العمل ليس سبباً للدخول؛ فكذلك لا يقال: إن صلة الرحم وغيرها ليست سبباً لطول العمر بحجة أن العمر محدود؛ فإن الدخول أيضاً محدود: (فريق في الجنة وفريق في السعير).

وما أحسن وأجمل جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما حدث أصحابه بقوله: (ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة). فقالوا: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟! فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له: أما من كان من أهل السعادة؛ فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان

---

[٣٣١] روى الامام البخاري في صحيحه/٤٩٤٩: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الأَرْضَ، فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قَالَ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ قَرَأَ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى) (الليل ٦) الآيَةَ.

[٣٣٢] مختصر صحيح مسلم للإمام المنذري / تحقيق الشيخ الالباني، المكتب الاسلامي – الشيخ زهير الشاويش، الطبعة السادسة، بيروت ودمشق ١٤٠٧ هـ -١٩٨٧ م، ص٤٧٠ – ٤٧١.

[٣٣٣] قلت في السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني / ٥١٩: (إنه من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار). أخرجه أحمد (٦ / ١٥٩).

من أهل الشقاوة؛ فييسر لعمل أهل الشقاوة). ثم قرأ: (فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى...) إلى قوله: (فسنيسره للعسرى)، أخرجه الشيخان.
وجملة القول: أن الله تبارك وتعالى جعل لكل شيء سبباً، فالعمل الصالح سبب لدخول الجنة، والعمل السيئ لدخول النار، فكذلك جعل بعض الأخلاق الصالحة سبباً لطول العمر. فكما أنه لا منافاة بين العمل وما كتب لصاحبه عند ربه؛ فكذلك لا منافاة بين الأخلاق الصالحة وما كتب لصاحبها عند ربه، بل كل ميسر لما خلق له.
وأنت إذا تأملت هذا؛ نجوت من الاضطراب الذي خاض فيه كثير من العلماء؛ مما لا يكاد الباحث يخلص منه بنتيجة ظاهرة سوى قيل وقال، والأمر واضح على ما شرحنا والحمد لله، وإن شئت أن تقف على كلماتهم في ذلك؛ فراجع (روح المعاني) للعلامة الآلوسي (٧/ ١٦٩ -١٧٠)). إهـ [٣٣٤]

٤/ تأثير الدعاء في تغيير ما كتب للإنسان قبل خلقه

(لا شك أن للدعاء تأثيرا في تغيير ما كتب، لكن هذا التغيير قد كتب أيضا بسبب الدعاء، فلا تظن أنك إذا دعوت الله فإنك تدعو بشيء غير مكتوب، بل الدعاء مكتوب، وما يحصل به مكتوب، ولهذا نجد القارئ يقرأ على المريض فيشفى، وقصة السرية [٣٣٥] التي بعثها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنزلوا ضيوفا على قوم، ولكنهم لم يضيفوهم، وقدر أن لدغت حية سيدهم، فطلبوا من يقرأ عليه، فاشترط الصحابة أجرة على ذلك، فأعطوهم قطيعا من الغنم، فذهب أحدهم فقرأ عليه الفاتحة، فقام اللديغ، كأنما نشط من عقال، أي كأنه بعير فك عقاله، فقد أثرت القراءة في شفاء المريض.
فللدعاء تأثير، لكنه ليس تغييرا للقدر، بل هو مكتوب بسببه المكتوب، وكل شيء عند الله بقدر، وكذلك جميع الأسباب لها تأثير في مسبباتها بإذن الله، فالأسباب مكتوبة، والمسببات مكتوبة.) إهـ [٣٣٦]
وقد صح عن ابن عباس أنه قال: (لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر).[٣٣٧]

٥/ الرزق والزواج مكتوب في اللوح المحفوظ

(أن الأرزاق والأعمال نوعان:
١-نوع جرى به القلم وكتب في أم الكتاب فهذا لا يتغير ولا يتبدل.
٢-نوع يزيد وينقص وهو ما في كتب الملائكة.
والآجل أجلان أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد فإن الله يأمر الملك أن يكتب لعبده أجلا، فإن وصل رحمه فيأمره بأن يزيد في أجله ورزقه، والملك لا يعلم أيزاد في ذلك أم ينقص، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لم يتقدم ولم يتأخر) و(على سبيل المثال: أن عمر فلان مائة عام والكتاب الذي بيد الملك مكتوب فيه أن عمره ستين سنه، فإن وصل رحمه فهي مائة وإلا فلا فالنتيجة النهائية مسطورة في اللوح المحفوظ، والزيادة

[٣٣٤] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الشيخ محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، دار النشر دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، م١١/ق١/ص٥١٤-٥١٦.
[٣٣٥] قلت: الحديث (عن أبي سعيد الخدري قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فمررنا على أهل أبيات فاستضفناهم فأبوا أن يضيفونا فنزلوا بالعراء فلدغ سيدهم فأتونا فقالوا: هل فيكم أحد يرقي؟ قال: قلت: نعم أنا أرقي قالوا: ارق صاحبنا قلت: لا ، قد استضفناكم فأبيتم أن تضيفونا قالوا: فإنا نجعل لكم جعلا قال: فجعلوا لي ثلاثين شاة قال: فأتيته فجعلت أمسحه وأقرأ بفاتحة الكتاب حتى برأ فأخذ الشاء فقلنا: نأخذها ونحن لا نحسن نرقي فما نحن بالذي نأكلها حتى نسأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيناه فذكرنا ذلك له قال: فجعل يقول: (وما يدريك أنها رقية)؟ قال: قلت: يا رسول الله ما دريت أنها رقية شيء ألقاه الله في نفسي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلوا واضربوا لي معكم بسهم). رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٦٠٧٩. وانظر طرق الحديث رقم /٧١٢٥ في صحيح الجامع.
[٣٣٦] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن -دار الثريا، الطبعة الأخيرة -١٤١٣ هـ. ٢ / ٩٣ – ٩٤.
[٣٣٧] قال الشيخ الالباني في السلسلة الضعيفة ١١/ ٧٦٧: أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٠). وقال: صحيح الإسناد. ووفاقه الذهبي.

والنقصان أمر يحدث في الكتاب الذي بيد الملك، كذلك الأمر في مسألة القدر والدعاء عندما يعتلجان [٣٣٨] فيرد الدعاء القدر في هذه الحالة يكون مكتوبا في اللوح المحفوظ أن القدر سينزل ويرفعه الدعاء وكان ذلك في الكتاب مسطورا.) إه [٣٣٩]

و(كل شيء منذ خلق الله القلم إلى يوم القيامة فإنه مكتوب في اللوح المحفوظ لأن الله سبحانه وتعالى أول ما خلق القلم قال له: (اكتب قال: ربي وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة). [٣٤٠]

وثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الجنين في بطن أمه إذا مضى عليه أربعة أشهر، بعث الله إليه ملكًا ينفخ فيه الروح ويكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد. [٣٤١]

والرزق أيضًا مكتوب مقدر بأسبابه لا يزيد ولا ينقص، فمن الأسباب أن يعمل الإنسان لطلب الرزق كما قال الله تعالى: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك ١٥) ومن الأسباب أيضًا صلة الرحم من بر الوالدين، وصلة القرابات، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) [٣٤٢] ومن الأسباب تقوى الله عز وجل كما قال تعالى: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (الطلاق ٢-٣)، ولا تقل: إن الرزق مكتوب ومحدد ولن أفعل الأسباب التي توصل إليه فإن هذا من العجز: والكياسة والحزم أن تسعى لرزقك، ولما ينفعك في دينك ودنياك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) [٣٤٣].

وكما أن الرزق مكتوب مقدر بأسبابه فكذلك الزواج مكتوب مقدر، وقد كتب لكل من الزوجين أن يكون زوج الآخر بعينه، والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء). إه [٣٤٤]

و(سئل شيخ الإسلام عن الرزق: هل يزيد أو ينقص؟ وهل هو ما أكل أو ما ملكه العبد؟

---

[٣٣٨] قلت: جاء في الجامع الصغير وزيادته للشيخ الالباني / ٧٧٣٩ – (لا يغني حذر من قدر (والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)) حديث حسن، رواه الحاكم في المستدرك عن عائشة. وهو مخرج في المشكاة / ٢٢٣٤.

[٣٣٩] المختصر في مسائل القضاء والقدر / جمع وترتيب وليد كمال شكر، نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة، الاصدار ٣,٤٨.

[٣٤٠] قلت: جاء في صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الالباني:

٢٠١٦ -٨٨٨ -(إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شيء يكون).

(صحيح)... الحلية لابي نعيم والبيهقي في السنن عن ابن عباس. الصحيحة ١٣٣: مسند ابي يعلى.

٢٠١٧ -٨٨٩ -(إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد).

(صحيح)... الترمذي عن عبادة بن الصامت. الصحيحة ١٣٣، شرح الطحاوية ٢٧١.

٢٠١٨ -٨٩٠ -(إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب قال: يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة من مات على غير هذا فليس مني).

(صحيح)... ابو داود عن عبادة بن الصامت. شرح الطحاوية ٢٧١.

[٣٤١] قلت: الحديث (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا و يؤمر بأربع كلمات و يقال له: اكتب عمله و رزقه و أجله و شقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار و إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة) رواه الشيخان واصحاب السنن عن ابن مسعود، وقال الشيخ الألباني: (صحيح)، وانظر الحديث رقم /١٥٤٣ في صحيح الجامع.

[٣٤٢] رواه الشيخان وابو داود والنسائي عن أنس، والامام احمد في المسند والامام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة. وقال الشيخ الألباني: (صحيح)، وانظر الحديث رقم /٥٩٥٦ في صحيح الجامع.

[٣٤٣] رواه الامام احمد في المسند والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن شداد بن أوس. وقال الشيخ الألباني:(ضعيف)، وانظر الحديث رقم /٤٣٠٥ في ضعيف الجامع.

[٣٤٤] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن -دار الثريا، الطبعة الأخيرة -١٤١٣ هـ. ٢ / ٩٦ – ٩٧.

فأجاب: الرزق نوعان:
أحدهما: ما علمه الله أنه يرزقه فهذا لا يتغير.
والثاني: ما كتبه وأعلم به الملائكة فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب فإن العبد يأمر الله الملائكة أن تكتب له رزقا وإن وصل رحمه زاده الله على ذلك كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من سره أن يبسط له في رزقه. وينسأ له في أثره فليصل رحمه). [٣٤٥]
وكذلك عمر داود زاد ستين سنة فجعله الله مائة بعد أن كان أربعين. [٣٤٦] ومن هذا الباب قول عمر: اللهم إن كنت كتبتني شقيا فامحني واكتبني سعيدا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت. [٣٤٧] ومن هذا الباب قوله تعالى عن نوح: (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ) (يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى) وشواهده كثيرة. والأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه فإن كان قد تقدم بأنه يرزق العبد بسعيه واكتسابه ألهمه السعي والاكتساب وذلك الذي قدره له بالاكتساب لا يحصل بدون الاكتساب، وما قدره له بغير اكتساب كموت موروثه يأتيه به بغير اكتساب، والسعي سعيان: سعي فيما نصب للرزق؛ كالصناعة والزراعة والتجارة، وسعي بالدعاء والتوكل والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك؛ فإن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. [٣٤٨]
والرزق يراد به شيئان:
أحدهما ما ينتفع به العبد.
والثاني: ما يملكه العبد فهذا الثاني هو المذكور في قوله: (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (البقرة ٣) وقوله: (وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ) (المنافقون ١٠) وهذا هو الحلال الذي ملكه الله إياه.
وأما الأول: فهو المذكور في قوله: (وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا) (هود ٦) وقوله صلى الله عليه وسلم (إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها)[٣٤٩] ونحو ذلك. والعبد قد يأكل الحلال والحرام فهو رزق

---

[٣٤٥] قلت: تقدم تخريجه.

[٣٤٦] قلت: تقدم تخريجه.

[٣٤٧] قلت: قال الشيخ الالباني في السلسلة الضعيفة ٧٦٣/١١: (أن عمر بن الخطاب قال وهو يطوف بالبيت ويبكي: اللهم! إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنباً؛ فامحه؛ فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادة ومغفرة). ورواه البخاري في "التاريخ الكبير" (٤/ ٦٣).

[٣٤٨] قلت: الحديث (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه). رواه الامام احمد في المسند والامام مسلم في صحيحه وابو داود والترمذي وابن ماجة
عن أبي هريرة. تحقيق الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر الحديث رقم/ ٦٥٧٧ في صحيح الجامع.

[٣٤٩] قلت: انظر غير مأمور، السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني ٨٦٥/٦/ الحديث ٢٨٦٦ – (إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به وليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه، إن روح القدس نفث في روعي: إن نفسا لا تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته)
رواه أبو بكر الحداد في " المنتخب من فوائد ابن علويه القطان " (١٦٨ / ١) وابن مردويه في " ثلاثة مجالس " (١٨٨ / ١ -٢) من طرق عن يعلى بن عبيد. ورواه الحاكم (٢ / ٤) من طريق سعيد بن أبي هلال وللحديث شاهد، فقال الشافعي (١ / ١٣ -" ترتيب المسند والسنن ")، أخرجه ابن حبان وغيره، وهو مخرج في " الظلال " (٤٢٠) و" التعليق الرغيب " (٣ / ٧). وبالجملة فالحديث حسن على أقل الأحوال. إهـ باختصار.
قلت: وعند ابن ماجة عن جابر الحديث: (أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم).
قال الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر الحديث / ٢٧٤٢ في صحيح الجامع.
قلت: وعند الحاكم والبيهقي عن جابر الحديث: لا تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغه آخر رزق هو له فاتقوا الله وأجملوا في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام).
قال الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر الحديث رقم /٧٣٢٣ في صحيح الجامع.

بهذا الاعتبار؛ لا بالاعتبار الثاني وما اكتسبه ولم ينتفع به هو رزق بالاعتبار الثاني دون الأول. فإن هذا في الحقيقة مال وارثه لا ماله والله أعلم).[350]

إذا كان الله قد كتب الرزق لكل إنسان فلماذا يموت الناس من الجوع؟

(إن الله هو الرزاق وهو خير الرازقين وما من دابة إلا على الله رزقها، وإنّ رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، ومن حكمة الله تعالى أن فارق بين العباد في أرزاقهم كما فارق بينهم في خلقهم وأخلاقهم فهو تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أن يوسع الرزق على قوم ويضيقه على آخرين فهو تعالى متكفل بأرزاق العباد على ما سبق به علم الله وكتابه وقد علم سبحانه وتعالى وكتب أن من العباد من يبسط له في رزقه ومنهم من يضيق عليه ولله في ذلك حكم بالغة لا تحيط به العقول، ومن حكمته تعالى في البسط والتضييق ابتلاء العباد بالنعم والمصائب كما قال تعالى: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً) (الانبياء ٣٥)، وقال تعالى: (فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۞ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) (الانفطار ١٥و١٦))، ثم قال تعالى: (كلا.....) (الانفطار ١٧) أي ليس الأمر كما يظن هذا الإنسان بل تنعيمه تعالى وتضييقه على من شاء ليس إلاّ ابتلاء لا إكراماً ولا إهانة، وبهذا الابتلاء يتبين الشاكر والصابر من ضدهما والله بكل شيء عليم).[351]

علاقة القدر بالأسباب في قضية الرزق

وكقضية تطبيقية على علاقة القدر بالأسباب إليك تطبيقاً عقدياً على قضية الرزق، وذلك لأهمية هذه القضية، وحاجة المسلمين إلى تجليتها، وبيان ذلك من خلال الحقائق الأربع التالية وهي:

الحقيقة الأولى: الرزق قدر من أقدار الله تعالى، ضمنه لمخلوقاته، فلا بد أن يتحقق كما ضمنه الله تعالى وعلمه في الأزل، وكتبه في اللوح المحفوظ، وهو وعد محقق، ولا يجوز للمؤمن أن يشك فيه أو يقلق عليه، قال تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (هود ٦)، وثبت عنه عليه الصلاة والسلام قوله: (إن أحدكم يجمع خَلْقُه في بطن أمه أربعين يوماً نُطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون نُطفة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بِكَتْب رزقه وأجله وعمله، وشقي أم سعيد).[352]

=

قلت: وعند ابي نعيم في الحلية عن أبي أمامة: (إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته).

قال الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر حديث رقم/ ٢٠٨٥ في صحيح الجامع.

[350] مجموع الفتاوى/ شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية، عام النشر ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٨/٥٤٠ ـ٥٤١.

[351] المصدر http://ar.islamway.net/fatwa/7042?ref=g-rel

إذا كان الله قد كتب الرزق لكل إنسان فلماذا يموت الناس من الجوع؟/ فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، التصنيف: العقيدة الإسلامية، تاريخ النشر ١٠ ذو القعدة ١٤٢٧ الموافق ٢٠٠٦/١٢/١.

[352] صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الالباني -الحديث ١٥٤٣: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه ملكا ويؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة).

قال الشيخ: صحيح، رواه الشيخان واصحاب السنن عن ابن مسعود.

وحقيقة الأمر أن النصوص الشرعية في بيان الرزق من حيث كونه قدراً من أقدار الله، وأن له موانع وأسباباً، وأنه مضمون ومحدود، وأنه يزيد وينقص، ما جاءت لتكون متعارضة، وإنما لتفهم المسلم أنه لا بد أن يفهم كل نص في السياق الذي جاء فيه، كي تصنع هذه النصوص نظاماً لإيمان العبد بالقدر فيوقن أن الرزق من الله فلا يردّه إلى غيره، ولا يطلبه ممن سواه، وليوقن أن هذا الرزق الذي قدر من هذه الأقدار محدود فلا يخاف عليه، ولا يقلق على تأخره فيطلبه بمعصية الله، وليعرف أن لهذا الرزق أسباباً مشروعة وموصِّلة إليه فيجدّ ويجتهد، ولا يتواكل ولا يتكاسل. فالأسباب قدرٌ مخلوق لله، كما نتائجها مقدورة لله سبحانه، إذ أن خالق الأسباب والمسببات واحد سبحانه، فلا بدّ للعبد من الإيمان به، وعبادته، والتوكل عليه.

الحقيقة الثانية: الأسباب الجالبة للرزق (أسباب الرزق)

ويمكن تصنيفها باختصار على النحو التالي:

أولاً: الأسباب الشرعية وهي الأعمال التي كلف الله بها الإنسان على وجه الإيمان والطاعة:

١-الإيمان بالله تعالى سبب من أسباب الرزق لقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (الأعراف ٩٦).

٢و٣-تقوى الله تعالى والتوكل عليه سبحانه سبب من أسباب الرزق لقوله تعالى: (... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق ٢-٣).

٤-والعبادة من أسباب الرزق التي جاء ذكرها في القرآن والسنة النبوية. والعبادة هي فعل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۞ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ) (قريش ٣).

وقال صلى الله عليه واله وسلم: (إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك).[٣٥٣]

٥-الطاعة عموماً سبب في الرزق، ومن وجوه الطاعة المحددة في الرزق وزيادته إقامة شرع الله، والحكم بما أنزل، وتطبيق الحدود في الأرض قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (المائدة ٦٦)، (في هذا السياق فهي تتضمن وعداً إلهياً آخر وهو أن اليهود والنصارى لو أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم ومن ذلك القرآن الكريم، ومعنى أقاموا ذلك آمنوا بالعقائد الصحيحة الواردة في تلك الكتب وعملوا بالشرائع السليمة والآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة التي تضمنتها تلك الكتب لو فعلوا ذلك لبسط الله تعالى عليهم الرزق وأسبغ عليهم النعم ولأصبحوا في خيرات وبركات تحوطهم من كل جانب هذا ما وعدهم الله به).[٣٥٤]

ومن وجوه الطاعة التي تجلب الرزق وتزيده الإنفاق في سبيل الله في وجوه الخير الكثيرة المختلفة، وما أكثرها. فقد ورد في الصحيح من حديث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم أنه قال: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلَفاً).[٣٥٥]

٦-وقد جعل الله التوبة والاستغفار من أسباب زيادة الرزق. يقول الله تعالى: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ) (هود ٥٢)، ويقول سبحانه: (فَقُلْتُ

---

[٣٥٣] صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الالباني /١٩١٤، حديث صحيح رواه الامام احمد في المسند والترمذي وابن ماجة والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة. وانظر السلسلة الصحيحة/ الحديث ١٣٥٩.

[٣٥٤] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير/ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٦٥٢/١.

[٣٥٥] صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الالباني / ٥٧٩٧ -١٨٩٤، حديث صحيح رواه الشيخان عن أبي هريرة. وانظر السلسلة الصحيحة / الحديث ٩٣٠، والحديث رواه الامام احمد في المسند وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء.

اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۞ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) (نوح ١٠-١٢).
٧-ومن أسباب زيادة الرزق صلة الرحم: فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) [٣٥٦]
٨-ومن أسباب الرزق الهجرة في سبيل الله، قال تعالى: (وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) (النساء ١٠٠).
٩-كما جعل الله تعالى الدعاء سبباً للرزق، فكما يؤمن العباد أن الله تعالى هو خالقهم فهو رازقهم؛ ويلزم من هذا الاعتقاد أنهم إذا أرادوا الرزق ألاّ يطلبوه إلا منه وحده سبحانه، وهذا من مقتضيات عبوديتهم له سبحانه، فقد كان من دعائه عليه الصلاة والسلام: (لا يقولن أحدكم: اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت اللهم ارزقني إن شئت وليعزم المسألة فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له). [٣٥٧]
ثانياً: الأسباب الدنيوية في جلب الرزق وهي تلك الأمور والأعمال التي يقوم بها الناس بصفة عامة، كأمور الكسب والمعاش مما فيها تسيير أمور حياتهم وتسهيلها، بِغَض النظر عن كونهم مؤمنين أو غير مؤمنين، إذ يشترك فيها المؤمن والكافر، بينما الأسباب الشرعية لا تكون إلا من المؤمن، وهي ليست مصنفة من أمور الإيمانيات، أو العبادات بالمفهوم الاصطلاحي للشعائر. وليس المقصود بها أنها لا علاقة لها بالشرع وبإرادة الله؛ لأن مفهوم العبادة العام يشمل كل أفعال المؤمن شرعية ودنيوية، فالحكم الشرعي يتناول كل أفعال العباد ذلك أن الحكم الشرعي عند الأصوليين هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً أو تخييراً أو وضعاً، ولذا فإن حكم كل فعل من هذه التي سميناها أسباباً دنيوية إما فرض أو مندوب أو حرام أو مكروه أو مباح.
وقد أشارت الآيات والأحاديث النبوية إلى الأخذ بالأسباب المادية في الأمور كلها، ومن ذلك قضية الرزق؛ فإنها تنال بالأخذ بالأسباب، من ذلك: قوله تعالى:(هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (الملك ١٥)، وقوله تعالى: (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۞ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ) (الواقعة ٦٣-٦٤)، وقوله تعالى: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ) (المزمل ٢٠).
ومن السعي في الرزق إنشاء الاسواق التجارية وفتح الطرق وإستصلاح الاراضي للزراعة وغير ذلك من اعمال التجارة والصناعة والزراعة.
الحقيقة الثالثة: الأسباب المانعة للرزق
إذا كان للرزق أسباب جالبة فإن له أسباباً مانعة كذلك، وكل ذلك بقدر الله عز وجل. وهناك أسباب جعلها الله هي بذاتها مانعة من الرزق أو منقصة له، ويمكن تصنيفها على النحو التالي:
أولا: الموانع الشرعية (الكفر والمعاصي)
١-الكفر وجحد النعمة:
وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى: (لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) (إبراهيم ٧)، وقوله تعالى: (وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) (النحل ١١٢).
٢-الذنوب والمعاصي أسباب في منع الرزق:

---

[٣٥٦] رواه الشيخان وابو داود والنسائي عن أنس، والامام احمد في المسند والامام البخاري في صحيحه عن أبي هريرة. وقال الشيخ الألباني: (صحيح)، وانظر الحديث رقم /٥٩٥٦ في صحيح الجامع.
[٣٥٧] رواه الامام احمد في المسند والشيخان وابو داود والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة، قال الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر الحديث رقم/ ٧٧٦٣ في صحيح الجامع وزيادته.

قال تعالى: (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۞ يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ) (البقرة ٢٧٥و٢٧٦)، فمن عاد إلى الربا ففعله بعد بلوغه نهي الله عنه، فقد استوجب العقوبة، وقامت عليه الحجة، ولهذا قال سبحانه: (فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة ٨١ و ٢٧٥).

ثانيا: الموانع الدنيوية

إن كل تعطيل للأسباب المادية الدنيوية التي ذكرناها في الأسباب الجالبة للرزق يعدّ موانع دنيوية للرزق. وقد أشار الشرع إلى موانع دنيوية أخرى للرزق منها:

١ -الصَّبحة تمنع الرزق وهي نوم أول النهار أي ما بين الفجر وشروق الشمس، وذلك لأنها تعوّد الشخص على الكسل عن العمل بعدم السعي لكسب الرزق، فعن صخر بن وداعة الغامدي الصحابي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم بارك لأمتي في بكورها) وكان إذا بعث سرية أو جيشا بعثهم من أول النهار وكان صخر تاجرا فكان يبعث تجارته من أول النهار فأثرى وكثر ماله. [٣٥٨]

٢ -العجز والكسل وهو من موانع الرزق فقد استعاذ النبي صلى الله عليه واله وسلم من العجز والكسل إشارة واضحة إلى الموانع التي تمنع من الوصول إلى ما يريده الإنسان من الخير ومنه الرزق، قال صلى الله عليه واله وسلم: (اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم والقسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام). [٣٥٩]

٣ -التبطُّل والقعود عن العمل مانع من موانع الرزق.

٤ -مخالفة السنن المادية للأشياء من موانع الرزق: ومما يدل على ذلك أن النبي صلى الله عليه واله وسلم عندما استشاره الصحابة بتأبير النخل وأشار عليهم بعدم التأبير، خلافاً لما يجب من الناحية المادية الزراعية كان ذلك سبباً لعدم حصول الثمر وامتناع الرزق في تلك السنة. فلما قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يؤبرون النخل - يقول يلقحون - قال: (ما تصنعون؟) فقالوا: شيئا كانوا يصنعونه فقال: (لو لم تفعلوا كان خيرا) فتركوها فنفضت أو نقصت فذكروا ذلك له فقال صلى الله عليه وسلم: (إنما أنا بشر إذا حدثتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به وإذا حدثتكم بشيء من دنياكم فإنما أنا بشر). [٣٦٠]

الحقيقة الرابعة: حقيقة رزق الكفار وأهل المعاصي

لا بد أن نعتقد أن الله سبحانه قد ضمن الرزق لكل مخلوقاته مؤمنهم وكافرهم؛ فعموم الأدلة الشرعية تدل على شمول رزق الله لكل مخلوقاته، من ذلك قوله تعالى: (وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (الذاريات ٢٢)، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (الذاريات ٥٨)، وقوله تعالى: (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا) (هود ٦). [٣٦١]

---

[٣٥٨] صحيح الترغيب والترهيب / الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، الحديث ١٦٩٣ – وقال الشيخ الالباني: (صحيح لغيره)، رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن ولا يعرف لصخر الغامدي عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث.

[٣٥٩] رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في الدعاء عن أنس. وقال الألباني: (صحيح). وانظر الحديث رقم/١٢٨٥ في صحيح الجامع الصغير وزيادته.

[٣٦٠] رواه ابن حبان في صحيحه، وعلق الشيخ الالباني في التعليقات الحسان/٢٣: حسن صحيح.

[٣٦١] بين الإيمـان بالقَـدر والأخـذ بالأسبـاب، دراسة عقدية تطبيقية / شريف الشيخ صالح الخطيب وراجع عبد الحميد الكردي، جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٣© جامعة أم القرى، رابط البحث: http://uqu.edu.sa/page/ar/147037 باختصار وتصرف وحذف للأحاديث الضعيفة الواردة في البحث، والاستدلال بما صح من الأحاديث.

علاقة القدر بالأسباب في قضية الزواج

علمت مما تقدم إن الواجب على العبد الإيمان بقضاء الله وقدره، وأنه لا يقع في ملك الله تعالى إلا ما أراد الله سبحانه وتعالى، وهذا ركنٌ من أركان الإيمان لا يتم إيمان المسلم إلا به، حيث إن الله تعالى علم كل شيء قبل خلق السماوات والأرض، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وهو قادرٌ على تنفيذ ذلك بإرادته ومشيئته سبحانه، وهو خالق كل شيء.

فلا يمكن أن يحدث أي أمر حتى هبوب الريح وتساقط أوراق الشجر، والصحة والمرض، والغنى والفقر، والحر والبرد، كل ذلك لا يحدث إلا بعلم الله تعالى وإرادته، قال الله تعالى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (القمر ٤٩)، فلا يخرج شيء عن قدر الله تعالى، ومن جملة ذلك، أمر الزواج والإنجاب والسعادة والشقاء والسعي في تحصيل الزوج الصالح، وتوضيح ذلك، أن الله تعالى يقدر الأشياء على أسباب يقدرها أيضا، فقَدَّر الحصول على الزوج، وقَدَّر سببه وهو السعي في الطلب، فالحصول على الزوج، والسعي له من قَدَر الله تعالى.

فالزواج رزقٌ من الأرزاق التي قدَّرها الله سبحانه لا يتغير ولا يتبدل، وأن الله كتب على كل امرأة حظها من الرجال، وكذلك الرجال، قبل أن يخلقهم، ولكن هذا لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب المباحة، فإن الأخذ بالأسباب مأمور به شرعا، فما علينا إلا أن نأخذ بالأسباب الظاهرة، وندع النتائج بعد ذلك إلى الله جل جلاله. وعليه، فالزواج إما قدراً مبرماً أو قدراً معلقاً، فإذا كان في الصحف التي في أيدي الملائكة أن فلانا سيتزوج من فلانة فإن ذلك قد يكون:

- موافقا لما قدره الله في أزله، وبالتالي فلن يتغير أبدا، وسيتم الزواج.
- وقد لا يكون موافقا لما قدره الله في أزله، وفي تلك الحالة فإنه سيتغير لا محالة حتى يوافق ما هو مقدر في الأزل، فلا يتم الزواج.

وقد تقدم أن القدر المعلق يكون مقيدا بسبب (أي: مكتوب مقدر بأسبابه)، والاخذ بالأسباب المشروعة - كما تقدم - مأمور به شرعا، فالأسباب قدر مخلوق لله تعالى، كذلك نتائجها مقدورة لله سبحانه وتعالى، إذ أن خالق الأسباب والمسببات واحد سبحانه وتعالى.

ومن الأسباب المشروعة:

١/ الإيمان بالله تعالى لقوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) (الأعراف ٩٦).

٢/ حسن الظن بالله جل جلاله: أن يحسن العبد الظن بالله جل جلاله ويتفاءل؛ لأن الله يحب الفأل، وأن يعلم العبد أن الله هو الرازق وحده سبحانه. فلا ييأس من رحمة الله، فالله تعالى يقول: (إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) (يوسف ٨٧).

٣/ التقوى: قال تعالى: (... وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق ٢و٣)، وعن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل فقال: إنه طلَّق امرأته ثلاثاً؟ قال: فسكت حتى ظننت أنه رادُّها إليه، ثم قال: ينطلق أحدكم فيركب الأُحْمُوقَةَ، ثم يقول: يا ابن عباس! يا ابن عباس! وإن الله قال: (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ له مَخْرَجاً)، وإنَّك لم تَتقِ اللهَ، فلم أجِدْ لك مخرجاً، عصيت ربك، وبانت منك امرأتك، وإن الله قال: (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن) في قُبُلِ عِدَّتهن.[٣٦٢]

٤/ الدعاء: التوجه الى الله تعالى بدعائه واللجوء إليه بأن ييسر هذا الأمر وأن يرزقه زوجاً صالحاً ليكون عوناً له على أمر دينه ودنياه. قال الله سبحانه وتعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر ٦٠).

---

[٣٦٢] رواه ابو داود، وقال الشيخ الالباني في صحيح أبي داود / ١٩٠٧: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الحافظ ابن حجر.

وقال سبحانه: (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (البقرة ٢٠١)، وعن ثابت أنهم قالوا لأنس بن مالك: ادع الله لنا فقال: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار قالوا: زدنا فأعادها قالوا: زدنا فأعادها فقالوا: زدنا فقال: ما تريدون؟ سألت لكم خير الدنيا والآخرة.
قال أنس: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يدعو بها:
(اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار). [٣٦٣]
قال ابن كثير: فَجَمَعَتْ هَذِهِ الدعوةُ كلَّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا، وصرَفت كُلَّ شَرٍّ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ فِي الدُّنْيَا تشملُ كُلَّ مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيٍّ، مِنْ عَافِيَةٍ، وَدَارٍ رَحْبَةٍ، وَزَوْجَةٍ حَسَنَةٍ، وَرِزْقٍ وَاسِعٍ، وَعِلْمٍ نَافِعٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ، وَمَرْكَبٍ هَنِيءٍ، وَثَنَاءٍ جَمِيلٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ عبارات الْمُفَسِّرِينَ، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَهَا، فَإِنَّهَا كُلَّهَا مُنْدَرِجَةٌ فِي الْحَسَنَةِ فِي الدُّنْيَا. [٣٦٤]
وقد امتدح الله عباد الرحمن بقوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً) (الفرقان ٧٤).
٥/ التوبة والاستغفار، فالاستغفار يكون سببا في إنعام الله عزّ وجلّ على المستغفرين بالرّزق من الأموال والبنين. يقول الله تعالى: (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا) (نوح ١٠-١٢).
٦/ صلاة الاستخارة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها، ولذلك كانوا أعظم الناس توفيقاً وسعادة في حياتهم.
عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: " إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ " . [٣٦٥]
وقال تعالى: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (البقرة ٢١٦).
قال الشيخ السعدي: (وهذه الآيات عامة مطردة، في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك.
وأما أحوال الدنيا، فليس الأمر مطردا، ولكن الغالب على العبد المؤمن، أنه إذا أحب أمرا من الأمور، فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك، أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع، لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبد من نفسه، وأقدر على مصلحة عبده منه، وأعلم بمصلحته منه كما قال تعالى: (وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢٣٢) فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره، سواء سرتكم أو ساءتكم). [٣٦٦]

---

[٣٦٣] رواه ابن حبان في صحيحه وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٩٣٤: صحيح.
[٣٦٤] تفسير القرآن العظيم /أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م، ٥٥٨/١.
[٣٦٥] رواه الامام البخاري في صحيحه/٦٣٨٢.
[٣٦٦] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان / الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى ١٣٧٦هـ) / تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م، ص٩٦.

قال ابن القيم: (والعبد لجهله بمصالح نفسه وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه لا يعرف التفاوت بين ما منع منه وبين ما ذخر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيئا، وبقلة الرغبة في الآجل وإن كان عليّا).[٣٦٧]
٧/ الاستشارة: قال ابن عمر رضي الله عنهما: (واستشر في أمرك الذين يخشون الله عز وجل)، وقال الحسن: (والله، ما استشار قوم قطّ إلّا هدوا لأفضل ما بحضرتهم، ثمّ تلا: (وَأَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ) (الشورى ٣٨))، فالاستشارة مهمة جداً لأن رأي أهل العقول أقوى من رأي الشخص نفسه الذي قد يميل إلى كفّةٍ دون أُخرى استجابة لحظوظ هواه، ويُستحَبّ أن يستشير مَن يعلم مِن حاله النصيحة والشفقة والخبرة ويثق بدينه ومعرفته. وتُبَاحُ الغيبة فِي جَوَاب الِاسْتِشَارَةِ فِي نِكَاحٍ أَوْ عَقْدٍ مِنَ الْعُقُودِ.
٨/ الابتعاد عن المحرمات والمعاصي: أن يبتعد العبد عن الأمور المحرمة أو المشتبهة. فلا يلجأ إلى وسيلة قد تجر عليه شرًّا من حيث لا يحتسب؛ بسبب قلة صبره وطول انتظاره، فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار. والإنسان إذا أخذ بالأسباب المشروعة التي في وسعه، فعليه أن يتوكل على الله ويحسن الظن به، ولا يلتفت لوساوس الشيطان، قال تعالى: (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق ٣).
٩/ الاقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه واله وسلم:

- عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن عندنا يتيمة وقد خطبها رجل معدم ورجل موسر وهي تهوى المعدم ونحن نهوى الموسر، فقال صلى الله عليه وسلم: (لم ير للمتحابين مثل النكاح).[٣٦٨]
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تنكح المرأة على مالها وتنكح المرأة على جمالها وتنكح المرأة على دينها خذ ذات الدين والخلق تربت يمينك).[٣٦٩]
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ النبي في الجنة، والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والمولود في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله عز وجل، ونساؤكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها التي إذا غضب جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها، وتقول: لا أذوق غمضا حتى ترضى).[٣٧٠]
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير نسائكم الودود الولود المواتية [٣٧١] المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم.[٣٧٢]
- وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه ثم أتاه الثانية فقال له مثل ذلك ثم أتاه الثالثة فقال له: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم).[٣٧٣]

---

[٣٦٧] الفوائد / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ -١٩٧٣ م، ص ٥٧. وانظر غير مأمور: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان / ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ – ١٩٧٥، ١٧٤/٢.

[٣٦٨] قال الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة/ ٦٢٤: أخرجه ابن ماجه (١٨٤٧) والحاكم (٢ / ١٦٠) والبيهقي (٧ / ٧٨) والطبراني (٣ / ١٠٦ / ١) وتمام في الفوائد (١٣٠ / ١) والعقيلي في الضعفاء (٣٩٨) والمقدسي في المختارة (٦٢ / ٢٨١ / ٢). حديث صحيح.

[٣٦٩] رواه ابن حبان في صحيحه وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان / ٤٠٢٦: صحيح. وانظر السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني /٣٠٧.

[٣٧٠] قال الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة/ ٢٨٧: أخرجه تمام الرازي في الفوائد (ق ٢٠٢ / ١) وعنه ابن عساكر (٢ / ٨٧/ ٢) بتمامه، وأبو بكر الشافعي في الفوائد (ق ١١٥ -١١٦) وأبو نعيم في الحلية (٤ / ٣٠٣) نصفه الأول، والنسائي في عشرة النساء (١ / ٨٥ /١) النصف الآخر.

[٣٧١] قلت: المواتاة: حسن المطاوعة والموافقة.

[٣٧٢] قال الألباني في السلسلة الصحيحة / ١٨٤٩: أخرجه البيهقي في السنن (٧ / ٨٢).

[٣٧٣] قال الشيخ الالباني في صحيح الترغيب والترهيب / ١٩٢١: حسن صحيح، رواه أبو داود والنسائي والحاكم واللفظ له وقال صحيح الإسناد.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض).[٣٧٤]
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم).[٣٧٥]
تخيروا لنطفكم: أي من النساء ذوات الدين والصلاح وذوات النسب الشريف.
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر الأنبياء يوم القيامة). [٣٧٦]
- قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها، ورجل استعمل رجلا فذهب بأجرته، وآخر يقتل دابة عبثا).[٣٧٧]
- قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها).[٣٧٨]
- قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء).[٣٧٩]
- عن جابر بن عبد الله قال: (هلك أبي، وترك سبع بنات، أو تسع بنات، فتزوجت امرأة ثيبا، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: تزوجت يا جابر؟ فقلت: نعم، فقال: بكرا أم ثيبا، قلت: بل ثيبا، قال: فهلا جارية (وفى لفظ: بكرا) تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك، قال: فقلت له: إن عبد الله هلك وترك بنات، وإني كرهت أن أجيئهن بمثلهن، فتزوجت امرأة تقوم عليهن وتصلحهن، فقال: بارك الله لك، أو قال: خيرا).[٣٨٠]
- قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (إن الدنيا كلها متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة).[٣٨١]

٦/ التوكل والاخذ بالأسباب

(التوكل يجمع شيئين:
أحدهما: الاعتماد على الله والإيمان بأنه مسبب الأسباب، وأن قدره نافذ وأنه قدر الأمور وأحصاها وكتبها سبحانه وتعالى.
الشيء الثاني: تعاطي الأسباب فليس من التوكل تعطيل الأسباب بل من التوكل الأخذ بالأسباب والعمل بالأسباب، ومن عطلها فقد خالف شرع الله وقدره، فالله أمر بالأسباب وحث عليها سبحانه وتعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك.

---

[٣٧٤] قال الألباني في السلسلة الصحيحة /١٠٢٢: أخرجه الترمذي (ا / ٢٠١) وابن ماجة (١ / ٦٠٦ -٦٠٧) والحاكم (٢ / ١٦٤ - ١٦٥) والخطيب في التاريخ (١١ / ٦١).

[٣٧٥] صححه الشيخ الالباني في صحيح الجامع/٢٩٢٨ وقال: رواه ابن ماجة والحاكم في المستدرك والبيهقي عن عائشة. وانظر السلسلة الصحيحة/١٠٦٧، والسلسلة الضعيفة /٧٣٠ للشيخ الالباني.

[٣٧٦] رواه ابن حبان في صحيحه عن انس بن مالك، وعلق عليه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان /٤٠١٧: صحيح لغيره - (آداب الزفاف/٨٩)، (المشكاة/٣٠٩١)، (الإرواء/١٧٨٤).

[٣٧٧] حسنه الشيخ الالباني، انظر حديث رقم/ ١٥٦٧ في صحيح الجامع، والحديث رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[٣٧٨] رواه ابن ماجة وصححه الشيخ الالباني في صحيح الجامع/ ٧٢٩٨.

[٣٧٩] رواه الامام احمد في المسند والشيخان في صحيحهما واصحاب السنن (الاربعة) عن ابن مسعود. وقال الشيخ الألباني: (صحيح). وانظر الحديث رقم/٧٩٧٥ في صحيح الجامع.

[٣٨٠] قال الشيخ الالباني في الارواء / ١٧٨٥: صحيح. أخرجه البخاري (٣/٨١، ٤٨٩) ومسلم (٤/١٧٦) والترمذي (١/٢٠٣) والبيهقي (٧/٨٠) وأحمد (٣/٣٠٨).

[٣٨١] صححه الشيخ الالباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته/ ٣٤١٣: رواه الامام احمد في المسند والامام مسلم في صحيحه عن ابن عمرو. والامام مسلم في صحيحه عن ابن عمر، وانظر مختصر مسلم الالباني / ٧٩٧.

فلا يجوز للمؤمن أن يعطل الأسباب، بل لا يكون متوكلاً على الحقيقة إلا بتعاطي الأسباب، ولهذا شرع النكاح لحصول الولد، وأمر بالجماع، فلو قال أحد من الناس: أنا لا أتزوج وأنتظر ولداً من دون زواج، لعُدَّ من المجانين، فليس هذا من أمر العقلاء، وكذلك لا يجلس في البيت أو في المسجد يتحرى الصدقات ويتحرَّى الأرزاق تأتيه، بل يجب عليه أن يسعى ويعمل ويجتهد في طلب الرزق الحلال.

ومريم رحمة الله عليها لم تدع الأسباب؛ فقد قال الله لها: (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا) (مريم/٢٥)، هزت النخلة وتعاطت الأسباب حتى وقع الرطب، فليس من عملها ترك الأسباب، ووجود الرزق عندها وكون الله أكرمها وأتاح لها بعض الأرزاق وأكرمها ببعض الأرزاق لا يدل على أنها معطلة الأسباب، بل هي تتعبد وتأخذ بالأسباب وتعمل بالأسباب.

وإذا ساق الله لبعض أوليائه من أهل الإيمان شيئاً من الكرامات فهذا من فضله سبحانه وتعالى، لكن لا يدل على تعطيل الأسباب، وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (احرص على ما ينفعك واستعن ولا تعجز)[٣٨٢]، وقال الله سبحانه وتعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة ٥)). [٣٨٣]

الاخذ بالأسباب

(اعلم رحمك الله تعالى أن الناس في الأسباب انقسموا إلى فرق، ففرقة قالت: ليس لها تأثير البتة، وهذا القول فيه مكابرة للمعقولات، وفرقة قالت: أنها هي الفاعلة بذاتها، وهؤلاء هم المشركون، فهذا القول كفر وشرك – والعياذ بالله تعالى -، وفرقة قالت: إنها مؤثرة لكن لا بذاتها وإنما يجعل الله لها مؤثرة، وهذا هو الصواب وهو قول أهل السنة والجماعة، فإنكار الأسباب بالكلية قدح في الشرع والاعتماد عليها بالكلية شرك أكبر والأخذ بها مع التوكل على الله هو دين الإسلام، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اعقلها وتوكل). [٣٨٤]

فقوله: (اعقلها) أخذ بأسباب حفظ الدابة، وقوله: (وتوكل) اعتراف بأن السبب وحده ليس هو الكفيل بالحفظ إلا إذا شاء الله تعالى.

واعلم أن الأخذ بالأسباب بمسبباتها، فربط المطر بوجود السحاب، وربط إنجاب الولد بالزواج، وربط دخول الجنة بالعمل الصالح، فالمسبب في شريعتنا لا يقع إلا إذا وقع سببه لكن قد يقع السبب ويختلف عنه سببه لحكمة يعلمها الله تعالى فقد يوجد السحاب ولا يوجد المطر لكن لا يوجد مطر إلا بسحاب، وقد يوجد الزواج ولا يوجد الولد لكن لا يوجد ولد إلا بجماع، وقد يتحقق العمل الصالح لكن يتخلف عنه دخول الجنة لكن لا يدخل الجنة إلا من عمل صالحًا. ولذلك قال الله تعالى بعد ما ذكر ما في الجنة وأنه أعدها لعباده المؤمنين قال: (جزاءً بما كانوا يعملون) والباء هنا باء السبب أي بسبب أعمالهم، لكن ليست باء العوض، أي لأنهم عملوا صالحًا دخلوا الجنة، كقولك: اشتريت كذا بكذا، فإن أحدًا لن يدخل الجنة بعمله حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (لن يدخل أحدٌ منكم الجنة بعمله). قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته).[٣٨٥] فالباء في قوله: (بعمله) هي باء العوض والمقابلة. والباء في قوله تعالى: (بما كانوا

---

[٣٨٢] رواه مسلم -كتاب/القدر، باب/في الأمر بالقوة وترك العجز، رقم (٢٦٦٤).

[٣٨٣] فتاوى الشيخ ابن باز / فتاوى نور على الدرب – المجلد الاول، الموقع الرسمي للشيخ، ورابط الفتوى: http://www.binbaz.org.sa/mat/21568

[٣٨٤] قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: (اعقلها وتوكل)،
رواه ابن حبان في صحيحه وعلق عليه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان ٧٢٩: حسن لغيره.
وعلق عليه الشيخ شعيب الأرنؤوط في الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٧٣١: حديث حسن، وأخرجه الحاكم في "المستدرك" ٦٢٣/٣، والقضاعي في "مسند الشهاب" "٦٣٣" من طريقين عن حاتم بن إسماعيل، بهذا الإسناد، بلفظ، "قيدها وتوكل"، قال الذهبي: سنده جيد.

[٣٨٥] عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سددوا وقاربوا وأبشروا فإنه لن يدخل أحدا الجنة عمله)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته).
رواه البخاري ومسلم وغيرهما

يعملون) هي باء السبب، فالأعمال سبب من أسباب دخول الجنة، لكن ليست الجنة عوضًا لازمًا للأعمال، قال ذلك أبو العباس بن تيميه.[٣٨٦]
إذا علمت هذا فاعلم أن الأسباب نوعان باعتبار معرفتنا بمسبباته، أي عرفنا أن هذا سبب لهذا عن طريقين عن طريق الشرع وعن طريق القدر، فالشرع يخبرنا أن هذا الشيء سبب لهذا الشيء، ومترتب عليه، كقوله تعالى: (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (السجدة ١٧)، فأخبرنا أن الأعمال الصالحة سبب من أسباب دخول الجنة والآيات كثيرة، وكذلك القدر أي: عرفنا قدرًا أن هذا الشيء سبب لهذا الشيء، كعلاج الحرارة دلت التجربة على أنه سبب لانخفاضها، وعلاج الإسهال دل على أنه سبب لإمساك البطن والبروز للحرارة دل على أنه سبب للإصابة بالحمى وهكذا، فمن ادعى أن هذا الشيء سبب لهذا الشيء فنحن نطالبه بالدليل الذي دله على هذه السببية، إذا علم هذا فليعلم أن كل من تعلق سببًا لم يدل عليه دليل شرعي أي لم يدل على سببيته شرع من كتاب وسنة، ولم يدل عليه قدر كالتجربة مثلاً فلا يخلو من حالتين: إما أن يعتقد أن هذا السبب هو الفاعل للمسبب بذاته، فإذا اعتقد ذلك فهذا هو الشرك الأكبر، إما أن يعتقد أن الفاعل هو الله تعالى لا السبب وهذا سبب فقط فهذا شرك أصغر لأن الأصل أن الله هو الذي يربط الأسباب بالمسببات، فالأسباب الشرعية خاصة توقيفية على الدليل فإذا اعتقد الإنسان أن هذا الشيء سبب ولا دليل عليه فيكون قد نصب نفسه مشرعًا وتكلم فيما لا يعنيه وهو حرام لا يجوز، ولأن الأسباب قد يكون ارتباطها بمسبباتها ارتباطًا غيبيًا لا يدرك فكيف يقال إن هذا الشيء سبب لهذا الشيء وهو غير محسوس ففيه نوع من ادعاء علم الغيب ولأن هذا أي اتخاذ الأسباب بلا دليل وسيلة للشرك الأكبر والقاعدة تقول: أن كل ما كان وسيلة للشرك الأكبر فهو شرك أصغر والوسائل لها أحكام المقاصد). [٣٨٧]

الدعاء والتوكل

(الدعاء والتوكل من أعظم الأسباب لما جعله الله سببا له فمن قال: ما قدر لي فهو يحصل لي دعوت أو لم أدع وتوكلت أو لم أتوكل فهو بمنزلة من يقول: ما قسم لي من السعادة والشقاوة فهو يحصل لي آمنت أو لم أؤمن وأطعت أم عصيت ومعلوم أن هذا ضلال وكفر؛ وإن كان الأول ليس مثل هذا في الضلال إذ ليس تعليق المقاصد بالدعاء والتوكل كتعليق سعادة الآخرة بالإيمان لكن لا ريب أن ما جعل الله الدعاء سببا له فهو بمنزلة ما جعل العمل الصالح سببا له وهو قادر على أن يفعله سبحانه بدون هذا السبب وقد يفعله بسبب آخر.
وكذلك من ترك الأسباب المشروعة المأمور بها أمر إيجاب أو أمر استحباب من جلب المنافع أو دفع المضار قادح في الشرع خارج عن العقل ومن هنا غلطوا في ترك الأسباب المأمور بها وظنوا أن هذا من تمام التوكل والتوكل مقرون بالعبادة في قوله: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) (هود ١٢٣)، والعبادة فعل المأمور فمن ترك العبادة المأمور بها وتوكل لم يكن أحسن حالا ممن عبده ولم يتوكل عليه بل كلاهما عاص لله تارك لبعض ما أمر به. والتوكل يتناول التوكل عليه ليعينه على فعل ما أمر والتوكل عليه ليعطيه ما لا يقدر العبد عليه فالاستعانة تكون على الأعمال، وأما التوكل فأعم من ذلك ويكون التوكل عليه لجلب المنفعة ودفع المضرة قال تعالى: (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ) (التوبة ٥٩)، وقال تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (آل عمران ١٧٣). فمن لم يفعل ما أمر به لم يكن مستعينا بالله على ذلك فيكون قد ترك العبادة والاستعانة عليها بترك التوكل في هذا الموضع أيضا وآخر يتوكل بلا فعل مأمور وهذا هو العجز المذموم. كما في سنن

---

[٣٨٦] قلت: انظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، ٢١٧/١.
[٣٨٧] الموقع الرسمي للشيخ وليد بن راشد السعيدان، رابط الموضوع:
http://www.alsaeedan.net/pageother.php?catsmktba=125

أبي داود[388] (أن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحكم على أحدهما فقال المقضي عليه: حسبي الله ونعم الوكيل - فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإن غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل)، وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان).
فإن الإنسان ليس مأمورا أن ينظر إلى القدر عندما يؤمر به من الأفعال ولكن عند ما يجري عليه من المصائب التي لا حيلة له في دفعها فما أصابك بفعل الآدميين أو بغير فعلهم اصبر عليه وارض وسلم قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) (التغابن ١١)، قال بعض السلف - إما ابن مسعود وإما علقمة -[389]: (هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم)).[390]

بيان الادعية المطالب أن يدعوا بها العبد

وكما أن الإنسان مأمور بشهود القدر وتوحيد الربوبية عند المصائب فهو مأمور بذلك عندما ينعم الله عليه من فعل الطاعات فيشهد قبل فعلها حاجته وفقره إلى إعانة الله له وتحقق قوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة ٥)، ويدعو بالأدعية التي فيها طلب إعانة الله له على فعل الطاعات كقوله: (أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)[391] وقوله: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)، [392] و(يا مصرف القلوب اصرف قلبي إلى طاعتك وطاعة رسولك)،[393] وقوله: (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)، وقوله: (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا)، ومثل قوله: (اللهم ألهمني رشدي واكفني شر نفسي)[394]، ورأس هذه الأدعية وأفضلها قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ).

---

[388] سنن أبي داود/ ٣٦٢٧ عن سيف عن عوف بن مالك أنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قضى بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل.
تحقيق الشيخ الألباني: ضعيف الكلم الطيب ١٣٧، ضعيف الجامع الصغير ١٧٥٩.

[389] روى البيهقي في شعب الايمان ٩٩٧٦ -عن أبي ظبيان قال: كنا نعرض المصاحف عند علقمة بن قيس فمرت بهذه الآية: (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه) قال: فسألناه عنها: فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.
وروي هذا عن ابن مسعود.

[390] مجموع الفتاوي/ شيخ الاسلام ابن تيمية، ٨/١٧٦-١٧٩.

[391] صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الالباني/١٥٩٦ -(٥) [صحيح] وعن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذ بيده يوماً ثم قال: "يا معاذ! والله إنّي لأحبك". فقال له معاذٌ: بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله! وأنا والله أُحِبُّك. قال: "أوصيك يا معاذُ ألا تَدَعنّ دُبُر كلِّ صلاةٍ أن تقول: اللهم أعنّي على ذكرك وشكرك، وحسن عبادتك". وأوصى بذلك معاذٌ الصنابحيَّ، وأوصى به الصنابحيُّ أبا عبدِ الرحمنِ، وأوصى به أبوعبدُ الرحمنِ عُقْبَةَ بن مُسْلِم.
رواه أبو داود والنسائي -واللفظ له-، وابن خزيمة وابن حبان في "صحيحيهما"، والحاكم وقال: "صحيح على شرط الشيخين".
=

[392] صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ الالباني/٧٩٨٧ -٣٠٨١ – (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك).
(صحيح) الترمذي والحاكم في المستدرك عن أنس، والترمذي عن شهاب الجرمي، والحاكم في المستدرك عن جابر. المشكاة ١٠٢، السنة ٢٢٥.

[393] قال الشيخ الالباني في تحقيق الاحتجاج بالقدر لابن تيمية ص٤٦: (صحيح دون قوله: وطاعة رسولك).
(يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ). حديث صحيح، انظر ظلال الجنة للشيخ الالباني ٢٢٢و٢٣٢.

[394] ضعفه الشيخ الالباني في تحقيقه لرياض الصالحين للإمام النووي ١٤٩٥: عن عمران بن الحصين رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم علم أباه حصينا كلمتين يدعو بهما: " اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي " رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

فهذا الدعاء أفضل الأدعية وأوجبها على الخلق فإنه يجمع صلاح العبد في الدين والدنيا والآخرة وكذلك الدعاء (بالتوبة) فإنه يتضمن الدعاء بأن يلهم العبد التوبة وكذلك دعاء (الاستخارة) فإنه طلب تعليم العبد ما لم يعلمه وتيسيره له وكذلك الدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو به إذا قام من الليل. وهو في الصحيح: {اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم). وكذلك الدعاء الذي فيه: (اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا) وكذلك الدعاء باليقين والعافية كما في حديث أبي بكر وكذلك قوله: اللهم أصلح لي قلبي ونيتي ومثل قول الخليل وإسماعيل: (واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك).

وهذه أدعية كثيرة تتضمن افتقار العبد إلى الله في أن يعطيه الإيمان والعمل الصالح فهذا افتقار واستعانة بالله قبل حصول المطلوب فإذا حصل بدعاء أو بغير دعاء شهد إنعام الله فيه وكان في مقام الشكر والعبودية لله وأن هذا حصل بفضله وإحسانه لا بحول العبد وقوته.

فشهود القدر في الطاعات من أنفع الأمور للعبد وغيبته عن ذلك من أضر الأمور به فإنه يكون قدريا منكرا لنعمة الله عليه بالإيمان والعمل الصالح وإن لم يكن قدري الاعتقاد كان قدري الحال وذلك يورث العجب والكبر ودعوى القوة والمنة بعمله واعتقاد استحقاق الجزاء على الله به فيكون من يشهد العبودية مع الذنوب والاعتراف بها - لا مع الاحتجاج بالقدر - عليها خيرا من هذا الذي يشهد الطاعة منه لا من إحسان الله إليه ويكون أولئك المذنبون بما معهم من الإيمان أفضل من طاعة بدون هذا الإيمان).[٣٩٥]

التعلق بالأسباب من دون الله تبارك وتعالى

(كثير من الناس تعلق بالأسباب في حمايته أو في رزقه ونحو ذلك وغفل عن ربه تعالى وهذا له أمثلة:

١-التعلق بالأسباب في وقت الخوف الشديد، والظن بأن هذه الأسباب تحميه، ومعلوم أن الأخذ بالأسباب أمر جائز، ولكن التعلق بها من دون الله تبارك وتعالى هو المنهي عنه.

٢-تعلق الموظف بالوظيفة وظنه أنها هي وسيلة الرزق الوحيدة، وهذا أيضاً تعلق غير صحيح، بل الوظيفة ما هي إلا وسيلة من الوسائل فقط، أما طرائق الرزق فكثيرة ومتنوعة.

٣-ظنّ بعض الناس أن تحصينه لبيته أو نحو ذلك يحميه من العدو، ونقول: إن هذا أيضاً من الأسباب فقط، فينبغي تعلق القلب - مع فعلها - بالله تعالى مسبب الأسباب الذي بيده ملكوت كل شيء.

أما التعلق بالأسباب وحدها دون الله فهذا من الأمور التي لا تجوز، وعلى هذا فالتعلق بالأسباب له حالات:

الحالة الأولى: أن ينظر إلى الأسباب الصحيحة التي أوجدها الله تبارك وتعالى في هذه الحياة، فإذا نظر إليها مع اعتماده في الأصل على الله تبارك وتعالى واعتقاده أن فاعل الأسباب والمسببات هو الله، وأن مشيئة الله تبارك وتعالى نافذة، فهذا لا شيء فيه، فإن الإنسان يفعل ما في وسعه من الأسباب، فيغلق الباب، ويحصن البيت، لكن مع اعتماده وتوكله على الله تبارك وتعالى.

الحالة الثانية: أن يتعلق قلبه بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى، مثل ظن البعض أن أصحاب القبور قد يشفون المريض أو يقضون الحاجات أو نحو ذلك، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

قال الشيخ الالباني: كذا قال: ولعله في بعض نسخ الترمذي وإلا ففي نسخ بولاق (٢ / ٢٦١): (حديث غريب) يعني: ضعيف وهو اللائق بحال إسناده فإن فيه انقطاعا وضعفا لا سيما وقد رواه ابن حبان (٢٤٣١ - موارد) وأحمد (٤ / ٤٤٤) من طريق أخرى: " اللهم قني شر نفسي واعزم على رشدي أمري ". وسنده صحيح على شرط الشيخين، وروى أحمد (٤ / ٢١٧) عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال: " اللهم اغفر لي ذنبي خطئي وعمدي اللهم إني أستهديك لأرشد أمري وأعوذ بك من شر نفسي ". وسنده جيد. اهـ

[٣٩٥] مجموع الفتاوى/ شيخ الاسلام ابن تيمية، ٣٣٠/٨-٣٣١.

الحالة الثالثة: أن يعتمد على سبب شرعي صحيح، لكنه يغفل عن مسبب ذلك، وهو الله سبحانه وتعالى، فهذا فيه نوع شرك لكنه لا يخرج من الملة. والواجب الحذر منه.) [٣٩٦]

الوسائل الكونية والشرعية

(إذا عرفنا أن الوسيلة هي السبب الموصل إلى المطلوب برغبة فاعلم أنها تنقسم إلى قسمين: وسيلة كونية، ووسيلة شرعية.

فأما الوسيلة الكونية: فهي كل سبب طبيعي يوصل إلى المقصود بخلقته التي خلقها الله بها، ويؤدي إلى المطلوب بفطرته التي فطره الله عليها، وهي مشتركة بين المؤمن والكافر من غير تفريق، ومن أمثلتها الماء فهو وسيلة إلى ريّ الإنسان، والطعام وسيلة إلى شبعه، واللباس وسيلة إلى حمايته من الحر والقر، والسيارة وسيلة إلى انتقاله من مكان إلى مكان، وهكذا.

وأما الوسيلة الشرعية: فهي كل سبب يوصل إلى المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالى، وبينه في كتابه وسنة نبيه، وهي خاصة بالمؤمن المتبع أمر الله ورسوله.

ومن أمثلتها: النطق بالشهادتين - بإخلاص وفهم - وسيلة إلى دخول الجنة والنجاة من الخلود في النار، وإتباع السيئة الحسنة وسيلة إلى محو السيئة، وقول الدعاء المأثور بعد الأذان وسيلة إلى نيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، وصلة الأرحام وسيلة لطول العمر وسعة الرزق، وهكذا.

فهذه الأمور وأمثالها إنما عرفنا أنها وسائل تحقق تلك الغايات والمقاصد عن طريق الشرع وحده، لا عن طريق العلم أو التجربة أو الحواس، فنحن لم نعلم أن صلة الرحم تطيل العمر وتوسع الرزق إلا من قوله صلوات الله وسلامه عليه: (من أحب أن يُبْسَط له في رزقه، وأن يُنْسَأ له في أثره فَلْيَصِلْ رحمه)، (رواه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج في كتاب صحيح أبي داود/١٤٨٦) -وهكذا الأمثلة الأخرى.

ويخطئ الكثيرون في فهم هذه الوسائل بنوعيها خطأ كبيراً، ويهمون وهماً شنيعاً، فقد يظنون سبباً كونياً ما يوصل إلى غاية معينة، ويكون الأمر بخلاف ما يظنون، وقد يعتقدون سبباً شرعياً ما يؤدي إلى مقصد شرعي معين، ويكون الحق بخلاف ما يعتقدون). [٣٩٧]

٧/ القدر والشرع (ألا له الخلق والأمر)

أن الشرع مرتبط بالقدر، وكل من اختل فهمه في عقيدة القضاء والقدر سيختل توازنه في تطبيقه لقضية الأمر والنهي والشرع الذي شرعه الله تبارك وتعالى، وهذا نحسه ونلمسه دائماً من أولئك الذين يحتجون بالقدر أحياناً. فقضية القضاء والقدر من القضايا المرتبطة ارتباطاً متيناً بقضية ما سيفعله الإنسان، أو ما أمر به وما نهي عنه على مقتضى الشريعة الإسلامية.

ومن هنا كان أولئك الذين يحتجون بالقضاء والقدر أول ما يحتجون به على انحرافهم في اتباع الأمر والنهي، فلما كانت قضية القضاء والقدر قضية عقدية مرتبطة بقضية الشرع وحياة الإنسان العملية، بل واستقراره النفسي في سيره إلى ربه تبارك وتعالى. [٣٩٨]

فالخير والشر من تقدير الله. وقدر الله سبحانه وتعالى متعلق بكل شيء من الأحوال الكونية والأوامر الشرعية، فإن الأمر كله لله، والخلق كله لله، كما في قوله تعالى: (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) الأعراف ٥٤)، وقدره سبحانه متعلق بسائر أمره وخلقه.

---

[٣٩٦] أخطاء في العقيدة / الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود، نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة، الاصدار ٣,٤٣.

[٣٩٧] التوسل أنواعه وأحكامه / أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ) / تحقيق محمد عيد العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، ص١٨.

[٣٩٨] دروس للشيخ عبد الرحمن صالح المحمود / المصدر: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الدرس /١١- القضاء والقدر. http://www.islamweb.net

(وينبغي أن يعلم أن أكبر مشكلة في قضية القضاء والقدر هي الزعم بان هناك تناقضاً بين القدر والشرع، فالمؤمن الحق هو الذي يؤمن بقضاء الله وقدره، ويؤمن بأمره وشرعه ولا يجعل بينهما تعارضاً، كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ (الأعراف ٥٤) فالخلق: هو القضاء والقدر، والأمر: هو الشرع، فمن جعل بينهما تعارضاً وتناقضاً وتصادماً فهو الذي وقع في شبهة القضاء والقدر ومن آمن وصدق بهما من المؤمنين فلا يقع في شيء من ذلك.) [٣٩٩]

روى الامام البخاري في خلق أفعال العباد:

- قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ الْخَلْقَ مِنَ الأَمْرِ بِقَوْلِهِ: (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ)، فَالْخَلْقُ بِأَمْرِهِ كَقَوْلِهِ: (لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ)، وَكَقَوْلِهِ: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)، وَكَقَوْلِهِ: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ)، وَلَمْ يَقُلْ بِخَلْقِهِ.
- عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا الْقَدَرُ...؟ قَالَ، قَالَ: يَا مُجَاهِدُ أَيْنَ قَوْلُهُ: (أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ). [٤٠٠]

و(الحق أننا نجمع بين القدر والشرع؛ لأنه تعالى هو الحَكَم وحده: (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) (الأعراف ٥٤)، أي له وصفاً وفعلاً الخلق الشامل لكل مخلوق، والأمر الشامل لجميع الأحكام الشرعية؛ فكما أنه لا خالق سواه فكذلك لا حاكم سواه.

وكما أن مخلوقاته مشتملة على الحكمة والرحمة فشرعه العظيم كذلك بل أعظم وأجل؛ إذ إنه كلَّه حكمةٌ ورحمةٌ (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة ٥٠).

وبالمراعاة الصحيحة لقدر الله وشرعه تتحقق العبودية الحقة لله، ويكون القائم بذلك من الذين أنعم الله عليهم، وكفى بذلك غبطة وسعادة) [٤٠١]

قال الشيخ العثيمين: (والجامع لهذا: أنه لا بد في الأمر من أصلين، ولا بد في القدر من أصلين أيضا.

أما الأصلان في الأمر فهما:

أصل قبل العمل أو مقارن له وهو: الاجتهاد في الامتثال علما، وعملا فيجتهد في العلم بالله تعالى، وأسمائه وصفاته، وأحكامه، ثم يعمل بما يقتضيه ذلك العلم من تصديق الأخبار، والعمل بالأحكام، فعلا للمأمور، وتركا للمحظور.

والثاني: أصل بعد العمل وهو الاستغفار والتوبة من التفريط في المأمور، أو التعدي في المحظور ولهذا كان من المشروع ختم الأعمال بالاستغفار كما قال الله تعالى: (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ). فقاموا الليل وختموه بالاستغفار)

(وأما الأصلان في القدر فهما:

أصل قبل المقدور وهو: الاستعانة بالله عز وجل، والإستعاذة به، ودعاؤه رغبة ورهبة فيكون معتمدا على ربه، ملتجئا إليه في حصول المطلوب ودفع المكروه.

والثاني بعد المقدور وهو: الصبر على المقدور حيث يفوت مطلوبه، أو يقع مكروهه فيوطن نفسه عليه بحيث يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الحال لا يمكن أن تتغير عما قدره الله تعالى فيرضى بذلك ويسلم وينشرح صدره ويذهب عنه الندم والحزن كما قال الله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (التغابن ١١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. وقال علقمة في الآية: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم.)

---

[٣٩٩] تيسير لمعة الاعتقاد / الشيخ عبد الرحمن بن صالح المحمود، جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن صالح المحمود، www.almahmood.islamlight.net

[٤٠٠] خلق أفعال العباد / الامام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى ٢٥٦هـ)، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار المعارف السعودية – الرياض، الاثر ١١٣ و١١٤.

[٤٠١] القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية / دراسة، وتحقيق، وشرح الباحث محمد بن إبراهيم بن أحمد الحمد.

(فإذا راعى الأمر والقدر على الوجه الذي ذكرنا كان عابدا لله تعالى مستعينا به متوكلا عليه من الذين أنعم الله عليهم. وقد جمع الله بين هذين الأصلين في أكثر من موضع كقوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) (الفاتحة ٤)، وقوله: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) (هود ١٢٣)، وقوله: (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (هود ٨٨))

(والناس في هذا المقام - مقام الشرع والقدر- أربعة أقسام:

الأول: من حققوا هذه الأصول الأربعة، أصلي الشرع، وأصلي القدر، وهم المؤمنون المتقون الذين كان عندهم من عبادة الله تعالى والاستعانة به ما تصلح به أحوالهم، فكانوا لله، وبالله، وفي الله، وهؤلاء أهل القسط والعدل الذين شهدوا مقام الربوبية والألوهية، وهم أعلى الأقسام فإن هذا مقام الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء، والصالحين.

الثاني: من فاتهم التحقيق في أصلي القدر، فكان عندهم من عبادة الله تعالى والاستقامة في شرعه ما عندهم، لكن ليس عندهم قوة في الاستعانة بالله والصبر على أحكامه الكونية والشرعية، فيصيبهم عند العمل من العجز والكسل ما يمنعهم من العمل أو إكماله، ويلحقهم بعد العمل من العجب والفخر ما قد يكون سببا لحبوط عملهم وخذلانهم، وهؤلاء أضعف ممن سبقهم وأدنى مقاما وأقل عدلا، لأن شهودهم مقام الإلهية غالب على شهود مقام الربوبية.

الثالث: من فاتهم التحقيق في أصلي الشرع، فكانوا ضعفاء في الاستقامة على أمر الله ومتابعة شرعه، لكن عندهم قوة في الاستعانة بالله والتوكل عليه، ولكن قد يكون ذلك في أمور لا يحبها الله تعالى ولا يرضاها فيعان ويمكن له بقدر حاله، ويحصل له من المكاشفات والتأثيرات ما لا يحصل للقسم الذي قبله، لكن ما يحصل له من هذه الأمور يكون من نصيب العاجلة الدنيا أما عاقبته فعاقبة سيئة، لأنه ليس من المتقين وإنما العاقبة للمتقين قال الله تعالى: (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (العنكبوت ٦٥و٦٦)، فالله تعالى يعلم أن هؤلاء سيشركون بعد أن ينجيهم لكن لما كانوا في البحر كانوا مخلصين في دعائهم الله تعالى أن ينجيهم صادقين في تفويض الأمر إليه حصل مرادهم، ولما لم يكن لهم عبادة لم يستقم أمرهم وكان عاقبة أمرهم خسرا.

فالفرق بين هؤلاء وبين القسم الذين قبلهم أن الذين قبلهم كان لهم دين ضعيف لضعف استعانتهم بالله وتوكلهم عليه، لكنه مستمر باق إن لم يفسده صاحبه بالعجز والجزع. وهؤلاء لهم حال وقوة لكن لا يبقى لهم إلا ما وافقوا فيه الأمر واتبعوا فيه السنة.

القسم الرابع: من فاتهم تحقيق أصلي الشرع، وأصلي القدر فليس عندهم عبادة لله تعالى، ولا استعانة به، ولا لجوء إليه عند الشدة فهم مستكبرون عن عبادة الله مستغنون بأنفسهم عن خالقهم، وربما لجئوا في الشدائد وإدراك مطالبهم إلى الشياطين فأطاعوها فيما تريد وأعانتهم فيما يريدون فيظن الظان أن هذا من باب الكرامات، وهو من باب الإهانات لأن عاقبتهم الذل والهوان وهذا القسم شر الأقسام.) [٤٠٢]

---

[٤٠٢] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين / الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن -دار الثريا، الطبعة الأخيرة -١٤١٣هـ. باختصار ٤ / ٢٤٧ – ٢٥١.

٨/ قول (إن شاء الله) و (ما شاء الله) و (قدر الله وما شاء فعل) [٤٠٣]

ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وهذا ما يعقد عليه المسلمون قلوبهم، مؤمنين بقضاء الله وقدره، وأنه لا يخرج في هذه الأكوان شيء البتة عن قدرته ومشيئته، وأن للعبد قدرة ومشيئة وهي تابعة لقدرة الله ومشيئته، وينتهج المسلم في التعليق على المشيئة أُموراً:

١. إذا تحدث عما مضى فيقول: مضى بمشيئة الله، كقوله: خلق الله السماوات بمشيئته، وأرسل محمداً صلى الله عليه وسلم بمشيئته. ولا يقول: إن الله خلق السماوات إن شاء الله... ومن قال ذلك فقد أخطأ، بل قوله بدعة مخالفة للعقل والدين.

قَالَ رسول الله صلى الله عليه واله وسلم: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وكُلٌّ عَلَى خَيْرٍ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ غَلَبَكَ شَيْءٌ؛ فَقُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ، وَإِيَّاكَ واللَّوَّ؛ فَإِنَّ اللَّوَّ تَفْتَحُ عَمَلَ الشيطان). [٤٠٤] قال الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ معلقا على الحديث برواية الامام مسلم في صحيحه: (قَدَّرَ اللَّهُ: بِتَشْدِيدِ الدَّالِ أَيْ: قُلْ قَدَّرَ اللَّهُ، وَيَجُوزُ تَخْفِيفُهَا)[٤٠٥]، (فإن الوجهين صحيحان ومعناهما واحد، فإن القدر اسم مصدر من قدر الشيء، والمصدر التقدير، ومثله في الوزن سلم سلما وتسليما، فإذا قرأت قدر الله بالرفع على أنها اسم كانت خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هذا قدر الله، وإذا قرأت بتشديد الدال وفتح الراء كانت فعلا ماضيا).[٤٠٦]

٢. إذا تحدث عن حال أو مستقبل فيقول: سأفعل كذا إن شاء الله، سوف أُتم العمل الحاضر إن شاء الله، وهكذا يعلقه على المشيئة، قال تعالى: (وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَداً ۝ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَداً) (الكهف ٢٣و٢٤)، فإذا كان الأمر يُعَلَقُ على المستقبل فإنه يتأكد استعمال المشيئة، يعني أن يُعَلِّق الأمر على مشيئة الله؛ لأنَّ ما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، ولهذا اتفق العلماء على أنّ منْ حلفَ باللهِ لَيُصَلِّيَنَّ كذا إن شاء الله فإنه إن لم يفعل المحلوف عليه، لا يحنث مع أنّ الله أمره به؛ لقوله: (إن شاء الله)، فعُلِمَ أن الله لم يشأهُ مَعَ أمْرِهِ به.

ويصح قول (إن شاء الله) لتأكيد تحقق الأمر بمشيئة الله، فلا بأس أن يُؤَكَدَ أي أمر وقع بكلمة (إن شاء الله) ويقصد بها أنه تحقق ووقع بمشيئة الله عز وجل، وعلى هذا جاء في القرآن قول الله عز وجل (وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) (يوسف ٩٩)، بعد أن دخلوا، وكقوله عز وجل (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ) (الفتح ٢٧).

٣. قال تعالى: (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَداً) (الكهف ٣٩).

---

[٤٠٣] انظر غير مأمور - معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ / الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى ١٤٢٩هـ)، دار العاصمة للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، وشرح العقيدة الطحاوية / للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، والمسمى بـ (إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل)، شرحها فضيلة الشيخ العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، بدأ فضيلته بشرحها في مدينة الرياض يوم السبت ١٣ ذي القعدة ١٤١٧هـ، المكتبة الشاملة الاصدار ٣,٤٨.

[٤٠٤] رواه ابن حبان في صحيحه – ٥٦٩١ وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان: صحيح.

[٤٠٥] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح / الشيخ علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م، ٣٣١٨/٨.

[٤٠٦] فتوى -النطق الصحيح لعبارة (قدر الله وما شاء فعل)، الخميس ٦/شعبان/١٤٢٧، ٢٠٠٦/٨/٣١، رقم الفتوى/٧٦٨٤٣، التصنيف، http://fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=76843

قال ابن كثير: (أَيْ: هَلَّا إِذَا أَعْجَبَتْكَ حِينَ دَخَلْتَهَا وَنَظَرْتَ إِلَيْهَا حَمِدْتَ اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ به عليك، وأعطاك من المال والولد مَا لَمْ يُعْطَهُ غَيْرُكَ، وَقُلْتَ: (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ)؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَنْ أَعْجَبَهُ شَيْءٌ مِنْ حَالِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ، فَلْيَقُلْ: (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ) وَهَذَا مَأْخُوذٌ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ.) [٤٠٧]

وسئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

(عن أقوام يقولون: المشيئة مشيئة الله في الماضي والمستقبل، وأقوام يقولون: المشيئة في المستقبل لا في الماضي. ما الصواب؟

فأجاب: الماضي مضى بمشيئة الله، والمستقبل لا يكون إلا أن يشاء الله.

فمن قال في الماضي: إن الله خلق السماوات إن شاء الله وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إن شاء الله فقد أخطأ. ومن قال: خلق الله السماوات بمشيئة الله وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بمشيئته ونحو ذلك فقد أصاب.

ومن قال: إنه يكون في الوجود شيء بدون مشيئة الله فقد أخطأ. ومن قال: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فقد أصاب، وكلما تقدم فقد كان بمشيئة الله قطعا؛ فالله خلق السماوات بمشيئته قطعا، وأرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بمشيئته قطعا، والإنسان الموجود خلقه الله بمشيئته قطعا، وإن شاء الله أن يغير المخلوق من حال إلى حال فهو قادر على ذلك، فما خلقه فقد كان بمشيئته قطعا، وإن شاء الله أن يغيره غيره بمشيئته قطعا. والله أعلم.)[٤٠٨]

٩/ كلمات الله التامة

قال تعالى: (وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ) (الكهف ٢٧).

قوله تعالى: ((لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ)؛ يشمل الكلمات الكونية والشرعية:

- أما الكونية، فلا يستثنى منها شيء، لا يمكن لأحد أن يبدل كلمات الله الكونية،

إذا قضى الله على شخص بالموت؛ ما استطاع أحد أن يبدل ذلك.

إذا قضى الله تعالى بالفقر؛ ما استطاع أحد أن يبدل ذلك.

إذا قضى الله تعالى بالجدب؛ ما استطاع أحد أن يبدل ذلك.

وكل هذه الأمور التي تحدث في الكون؛ فإنها بقوله؛ لقوله تعالى: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس ٨٢).

- أما الكلمات الشرعية؛ فإنها قد تبدل من قبل أهل الكفر والنفاق، فيبدلون الكلمات، إما بالمعنى، وإما باللفظ إن استطاعوا، أو بهما.) [٤٠٩]

وكلمات الله تعالى الكونية (القدرية) هي التي ذكرها الله في قوله: (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (يس ٨٢)، وهي ما قدّره الله تعالى وقضاه وهي تامة لا يتخلف شيء منها، قال تعالى: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ) (هود ١١٩)؛ كلمة ربك: أي القضاء والقدر. وقال تعالى: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) (لقمان ٢٧)، ونحو ذلك من الآيات.

وهي التي جاءت في الاستعاذة، قال صلى الله عليه واله وسلم: (من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله) [٤١٠]

---

[٤٠٧] تفسير القرآن العظيم / أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى ٧٧٤هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ م، ١٥٨/٥.

[٤٠٨] مجموع الفتاوى / تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية -المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٦٨/٨.

[٤٠٩] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ) / جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن -دار الثريا، الطبعة الأخيرة -١٤١٣ هـ، ٣٧٠/٨.

أما كلماته الشرعية (الأمرية أو الدينية): وهي القرآن المجيد وشرع الله تعالى الذي بعث به رسوله صلى الله عليه واله وسلم، وهي أمره ونهيه وخبره، وحظ العبد منها العلم بها والعمل، كما قال الله عز وجل: (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا) (الأنعام ١١٥) أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام (الأوامر والنواهي)، فأخبارها صادقة وأحكامها عادلة. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ). [٤١١]

١٠/ الاحتجاج على الله سبحانه وتعالى بالقدر

الاحتجاج على الله سبحانه وتعالى بالقدر، وأنهم معذورون في كفرهم ومعاصيهم؛ لأن الله قدر ذلك عليهم.

والله جل وعلا ما ترك لهم حجة، بل إنه أعطاهم الاختيار، وأعطاهم القدرة، وأعطاهم المشيئة، وبيّن لهم طريق الخير، وبين لهم طريق الشر، وأعطاهم إمكانيات يستطيعون بها أن يفعلوا أو يتركوا، وليسوا مجبرين على ما يقولون، وأيضاً الله بيّن أنه لا يرضى لعباده الكفر، قال تعالى: (وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) (الزمر ٧) وإن كان قدّره وشاءه فليس من لازم القدر الرضا، فالله يقدر الكفر وهو يبغضه؛ من أجل أن يتميز الناس بعضهم من بعض، ويتميز الصادق من الكاذب، ويتبين المؤمن من الكافر، ويتبين المنافق من المؤمن الصحيح، فالله قدّر هذه الأمور المكروهة لحكمة منه سبحانه، ما قدرها عبثاً، ورتب الجزاء على أفعالهم التي يفعلونها باختيارهم.

ولذلك المجنون والمعتوه والمكره والنائم، لا يؤاخذون؛ لأنهم ليس عندهم اختيار، وليس عندهم عقل، مهما فعل لا يؤاخذ.

فمن أعطاه الله العقل والتفكير، ولم يكن مكرهاً على فعله، فإنه يؤاخذ؛ لأنه أقدم على الشر باختياره، فالزاني يزني باختياره، وتارك الصلاة يتركها باختياره، وعنده القدرة أنه يقوم يصلي، والزاني أيضاً بُيِّن له أن الزنا حرام، وعواقبه وخيمة، ورتب الله على الزنا حداً رادعاً، وأرسل الرسل تنهى عن الشرك والكفر، فكيف يحتجون على الله جل وعلا على معاصيهم وكفرهم وشركهم وضلالهم؟ وهم ليس لهم حجة على الله، وإنما الحجة لله عليهم (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ) (الأنعام ١٤٩).

فلا يجوز الاحتجاج بالقدر إلا على المصائب، إذا أصابك مصيبة فلا تجزع، وقل: هذا قَدَرُ الله، وما شاء فعل، وتصبر وتحتسب. أما المعصية فلا يحتج عليها بالقدر، بل على العاصي أن يتوب إلى الله، وتجنب المعاصي والشرور، فالاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي هو فعل الجاهلية. إهـ [٤١٢]

أربع حالات للاحتجاج بالقدر ولكل منها جواب وحكم شرعي

- الحالة الأولى: الاحتجاج بالقدر على المصيبة قبل وقوعها، وهو احتجاج مرفوض إذ من أعلم العبد الذي يحتج بالقدر هنا أن المصيبة ستقع في المستقبل وأنه لابد أن يستسلم لها سلفاً إيماناً بأنها مقدرة حتى يدفعه ذلك الاحتجاج إلى التوقف عن العمل وعدم الأخذ بالأسباب لتفادي الوقوع في المصيبة؟ فمثل هذا السلوك بزعم الإيمان بالقدر والاحتجاج به على المصيبة قبل وقوعها مرفوض عقلاً وغير جائز شرعاً.
- الحالة الثانية: الاحتجاج بالقدر على المصيبة بعد وقوعها. والمرفوض في هذه الحالة عقلاً وشرعاً هو زعم الإيمان بالقدر مما يمنع النظر في الأسباب الموصلة إلى المصيبة ويمنع أخذ العبرة والعظة، ويمنع البحث عن الأسباب الموصلة إلى الخير مما يجعل العبد متخلياً عن المسؤولية بعدم تحميل النفس أنها السبب قال

=

[٤١٠] رواه الامام احمد في المسند والامام مسلم في صحيحه وابو داود والترمذي عن خولة بنت حكيم. وصححه الشيخ الألباني، انظر الحديث رقم/٦٥٦٧ في صحيح الجامع الصغير وزيادته.

[٤١١] رواه الامام البخاري في صحيحه /٣١٢٣.

[٤١٢] شرح (مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب) / الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ-٢٠٠٥م. ص ١٥٨ – ١٥٩.

تعالى: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) (الشورى ٣٠) أما الوجه المقبول عقلاً وجائز شرعاً في هذه الحالة فهو الإيمان بأن ما وقع من مصيبة إنما هو قدر من أقدار الله عز وجل، والعبد يرضى بقدر الله تعالى؛ فإن كان خيراً شكر الله عليه، وإن كان شرّاً صبر عليه. فالسلوك الإيجابي للإيمان بالقدر هنا هو في البحث عن الأسباب الموصلة للمصيبة لأخذ العبرة والعمل بالأسباب الموصلة للخير لتفادي الوقوع في الأسباب الموصلة للمصيبة في المستقبل.

- الحالة الثالثة: الاحتجاج بالقدر على الذنب والمعصية قبل وقوعهما. وهو غير جائز شرعاً وعقلاً لأن الإنسان لا يعلم القدر قبل وقوعه، فكيف يحتج بالقدر على ذنب لم يحصل ومعصية لم تقترف بعد من أجل أن يعمل الذنب والمعصية، ويقول أعصي ربي وأعمل الذنب لأنهما مقدران عليّ ولا بد أن يتحققا. فمِن أين له العلم بقدر الله السابق عليه في الأزل، وأنه قدر عليه الذنب والمعصية فلا بد أن يعملهما؟ فهذا فهمٌ سقيم للقدر، وسلوك عابث لا يدل على مؤمن بالله وبقدره.
- الحالة الرابعة: الاحتجاج بالقدر على الذنب والمعصية بعد وقوعهما للتخلص من المسؤولية، ولعدم الإحساس باللوم على التقصير. وهذا باطل أيضاً شرعاً وعقلاً؛ فإن وقوع العبد بالذنب واقترافه للمعصية كانا بإرادة مختارة منه، وأسباب كسبها بنفسه مخالفاً بها شرع ربه، فهو مُلامٌ على ذلك ولا ينفعه الاحتجاج بالقدر. والسلوك الايجابي في هذه الحالة مع المعصية والذنب بعد وقوعهما هو التوبة والاستغفار، والبعد عن الأسباب الموصلة إليهما، وعدم الاحتجاج بالقدر على ذلك للتخلي عن المسؤولية، لكن ما وقع قدراً وقع قدراً بأسبابه التي للعبد كسب فيها واختيار.

وبعد هذا لماذا يحتج المتعذر بالقدر على المصيبة والذنب ولا يحتج بالقدر على الخير والنعمة التي تحل به وعلى العمل بالطاعة ؟! فالمفروض أن ينسب الخير إلى قدر الله مع إيمانه بالعمل والأسباب الموصلة إليه كما يتحمل المسؤولية عن الأسباب والأعمال الموصلة إلى الشر، وإن كانت لا تقع إلا بقدر الله، فالتوحيد يقتضي الإيمان بالقدر كله؛ خيره وشره، حلوه ومرّه.[٤١٣]

١١/ العلاقة بين فعل العبد وفعل الرب [٤١٤]

إن العلاقة بين فعل العبد وفعل الرب أربعة أنواع وهي:

١ -حال الطاعة، فطاعة العبد لربه تتم بإرادة الله تعالى الكونية، وموافقة العبد بإرادته لإرادة الله تعالى الشرعية، فتتوافق الارادات، ويظهر توفيق الرب للعبد، وفعل العبد هنا يُنسب الفضل فيه الى الله تعالى.

قال تعالى: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ) (النساء ٧٩) سواء كان حسنة بالإرادة الكونية أو الإرادة الشرعية، فالفضل لله في طاعة عبده، لذا يجب على العبد أن ينسب الفضل إلى ربه، فهو الذي حبب إليه الإيمان وزينه في قلبه، قال تعالى:(وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُول اللهِ لوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لعَنِتُّمْ وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِليْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِليْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ أُولئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) (الحجرات ٧).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قاربوا وسددوا فإنه ليس أحد منكم بمنجيه عمله)، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل).[٤١٥]

قال الشيخ الالباني: (واعلم أن هذا الحديث قد يشكل على بعض الناس، ويتوهم أنه مخالف لقوله تعالى: (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون)، ونحوها من الآيات والأحاديث الدالة على أن دخول الجنة بالعمل، وقد أجيب بأجوبة أقربها إلى الصواب: أن الباء في قوله في الحديث: (بعمله) هي باء الثمنية، والباء في

---

[٤١٣] بين الإيمــان بالقَـدر والأخـذ بالأسبـاب، دراسة عقدية تطبيقية / شريف الشيخ صالح الخطيب وراجع عبد الحميد الكردي، جامعة أم القرى، رابط البحث: http://uqu.edu.sa/page/ar/147037.

[٤١٤] باختصار وتصرف من (دورة منة القدير بميت الرخا - غربية – مصر / المحاضرة السادسة عشر - عنوان المحاضرة: (القدر حجة عند المصائب لا عند المعائب).موقع الرضوانية، دار العقيدة المصريةwww.alridwany.com ، وموقع علماء السلف) مع اضافات لأقوال اهل العلم كما مبين في الحاشية.

[٤١٥] رواه ابن ماجة وصححه الالباني، وأنظر السلسلة الصحيحة / ٢٦٠٢،

الآية باء السببية، أي أن العمل الصالح سبب لابد منه لدخول الجنة، ولكنه ليس ثمنا لدخول الجنة، وما فيها من النعيم المقيم والدرجات). إهـ [416]
وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: (وقوله صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله) لا يناقض قوله تعالى: (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الواقعة ٢٤). فإن المنفي نفي بباء المقابلة والمعاوضة كما يقال بعت هذا بهذا، وما أثبت أثبت بباء السبب، فالعمل لا يقابل الجزاء وإن كان سببا للجزاء، ولهذا من ظن أنه قام بما يجب عليه وأنه لا يحتاج إلى مغفرة الرب تعالى وعفوه فهو ضال، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لن يدخل أحد الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل). وروي (بمغفرته).). [417]
٢ -حال المعصية، فمعصية الرب ينسب فيها الفعل إلى كسب العبد وإن تم الفعل بقدر الله تعالى.
والمعصية ينسب فيها الفعل إلى كسب العبد، وإن تم الفعل بقدرة الرب ومشيئته، قال تعالى عن الطاعة: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ) (النساء ٧٩)، وقال في المقابل عن المعصية: (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) (النساء ٧٩) فالمعصية لا يصح أن ينسبها العبد إلى الرب تعالى، فهذا فعل المشركين الذين قال الله فيهم: (سَيَقُولُ الذِينَ أَشْرَكُوا لوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلكَ كَذَّبَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُل هَل عِنْدَكُمْ مِنْ عِلمٍ فَتُخْرِجُوهُ لنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ) (الأنعام ١٤٨)
(وَقَال الذِينَ أَشْرَكُوا لوْ شَاءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلكَ فَعَل الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَل عَلى الرُّسُل إِلا البَلاغُ المُبِينُ) (النحل ٣٥).
وقال تعالى: (وَإِذَا قِيل لهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَال الذِينَ كَفَرُوا للذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لوْ يَشَاءُ اللهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (يس ٤٧)، وقال تعالى: (وَقَالُوا لوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لهُمْ بِذَلكَ مِنْ عِلمٍ إِنْ هُمْ إِلا يَخْرُصُونَ) (الزخرف ٢٠).
والمعصية وإن كانت بقدر الله إلا أنه لا يجوز للعاصي أن يحتج فيها بالقدر، وأنه مسير في ذلك مجبور على العصيان، فإن من فعل ذلك كان من أهل الزندقة، كالذي رأى لصا مر عليه وهو مقطوع اليد مقام عليه الحد، فقال: مسكين مظلوم أجبره الله على السرقة ثم قطع يده عليها، فصاحب هذا الاعتقاد الفاسد لا يكون إلا ظالما متناقضا، إذا آذاه غيره أو ظلمه طلب معاقبته والمبالغة في جزائه والانتقام منه، ولم يعذره بالقدر وبحجة أنه مسير مجبور، وإذا كان هو الظالم لغيره احتج هو لنفسه بالقدر، وادعى أنه مسير مجبور.
فلا يحتج أحد بالقدر على معصيته إلا لإتباع الهوى، وحجته باطلة داحضة فاسدة، لا حق معه ولا دليل، ولذلك لما احتج المشركون بالقدر على شركهم، بين الله كذبهم وقال لهم: (سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ) (الأنعام ١٤٨).
٣ -المصيبة التي وقعت بقدر الله كعلة لابتلاء العبد في موافقته للإرادة الشرعية.
المصيبة التي وقعت بقدر الله كعلة لابتلاء العبد في موافقته للإرادة الشرعية أو عدمها، كما قال الله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلبَهُ وَاللهُ بِكُل شَيْءٍ عَليمٌ) (التغابن ١١).
قال ابن مسعود رضي الله عنه: (هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم)، فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب، والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب. كما قال تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الذِينَ لا يُوقِنُونَ) (الروم ٦٠)، وقال تعالى: (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ) (غافر ٥٥).

---

[416] سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الالباني / الحديث ٢٦٠٢، ١٩٨/٦.
[417] مجموع الفتاوى / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية -المملكة العربية السعودية، عام النشر ١٤١٦هـ/١٩٩٥م. ٢١٧/١.

وقال الشيخ صالح الفوزان: (المصائب التي تصيب الإنسان من موت قريب، أو ضياع مال، أو مرض يصيب الإنسان، لا بد أن يصبر على قضاء الله وقدره لا يجزع ولا يتسخط بل يحبس اللسان عن النياحة والتسخط ويحبس النفس عن الجزع، ويحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب. هذا هو الصبر على المصائب.
أما المعائب فلا يصبر عليها بل يتوب إلى الله وينفر منها؛ ولكن عند المصائب التي لا دخل لك فيها، بل هي من الله عز وجل قدرها عليك ابتلاء وامتحانًا أو عقوبة لك على ذنوب فعلتها، كما في قوله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (الشورى ٣).
فإذا حصلت للمسلم مصيبة في نفسه أو ماله أو ولده أو قريبه أو أحد إخوانه من المسلمين فعليه بالصبر والاحتساب، قال تعالى: (الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ) (البقرة ١٥٦و١٥٧) هذا هو الصبر، ومن ذلك الصبر على الأذى في الدعوة إلى الله عز وجل فإن هذا من المصائب فعليك أن تصبر على ما تلقى من الأذى في سبيل الخير، ولا تنثني عن فعل الخير؛ لأن بعض الناس يريد فعل الخير لكن إذا واجهه شيء يكرهه قال: ليس من الواجب علي أن أدخل نفسي في هذه الأمور، ثم يترك التعليم إن كان معلمًا، يترك الدعوة إلى الله، يترك الخطابة إن كان خطيب مسجد، يترك إمامة المسجد، يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا لم يصبر على ما ناله من الأذى. وإذا كنت مخطئًا عليك بالرجوع إلى الحق والصواب، أما إن كنت على حق ولم تخطئ فعليك بالصبر والاحتساب
واستشعر أن هذا في سبيل الله عز وجل وأنك مأجور عليه، وتذكر ما حصل للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الأذى وكيف صبروا وجاهدوا في سبيل الله حتى نصرهم الله عز وجل). [٤١٨]
٤ -المعصية التي تاب العبد منها كما حدث في احتجاج آدم وموسى
المعصية التي تاب العبد منها فيجوز الاحتجاج بالقدر عليها كما حدث في احتجاج آدم وموسى عليهما السلام.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (احتجَّ آدَمُ وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ ونَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وأَغْوَيْتَ النَّاسَ وأخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ تلومُني عَلَى عَمَلٍ عَمِلْتُهُ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السماوات والأرض؟ قال: فحجَّ آدمَ موسى) [٤١٩]
وربما يقول قائل آدم احتج بالقدر على معصيته، وموسى لامه بعد توبته، وجواب ذلك أن موسى أعرف بالله وأسمائه وصفاته من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه، كما أن الله بعد توبته اجتباه وهداه واصطفاه، كما أن آدم عليه السلام أعرف بربه من أن يحتج بقضائه وقدره على معصيته، بل إنما لام موسى آدم على المعصية التي نالت الذرية بخروجهم من الجنة ونزولهم إلى دار الابتلاء، والمحنة بسبب خطيئة أبيهم، فذكر الخطيئة تنبيها على سبب المصيبة، المحنة التي نالت الذرية، ولهذا قال له أخرجتنا ونفسك من الجنة، وفي لفظ خيبتنا، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، وقال إن هذه المصيبة التي نالت الذرية بسبب خطيئتي كانت مكتوبة بقدره قبل خلقي والقدر يحتج به في المصائب دون المعائب أي أتلومني على مصيبة قدرت علي وعليكم قبل خلقي بكذا وكذا سنة.
ومثال ذلك من عصى ربه وتاب ثم يتذكر معصيته مع بعض أصحابه فيقول قدر الله وما شاء فعل، (أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُل كُل مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَال هَؤُلاءِ القَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً، مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ للنَّاسِ رَسُولاً وَكَفى بِاللهِ شَهِيداً) (النساء:٧٩). [٤٢٠]

---

[٤١٨] شرح الأصول الثلاثة / الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى -١٤٢٧ هـ -٢٠٠٦ م. ص٣٤ -٣٥.

[٤١٩] رواه ابن حبان في صحيحه / ٦١٤٦، وعلق عليه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان: صحيح. والحديث رواه الشيخان والامام احمد في المسند وابو داود والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة، وانظر صحيح الجامع للشيخ الالباني الحديث /١٨٤.

[٤٢٠] باختصار من دورة منة القدير بميت الرخا - غربية – مصر / المحاضرة السادسة عشر، عنوان المحاضرة: (القدر حجة عند المصائب لا عند المعائب)/ الدكتور محمود عبد الرازق الرضواني. وانظر غير مأمور كتاب منة القدير وكتاب سهل في العقيدة

قال الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة الحديث ١٧٠٢:

(قوله: (فحج آدم موسى) أي غلبه بالحجة. واعلم أن العلماء قد اختلفوا في توجيه ذلك، وأحسن ما وقفت عليه ما أفاده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، إنما هو أن موسى لامه على ما فعل لأجل ما حصل لذريته من المصيبة بسبب أكله من الشجرة، لا لأجل حق الله في الذنب، فإن آدم كان قد تاب من الذنب، وموسى عليه السلام يعلم أن بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب، ولهذا قال: (فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟)، لم يقل: لماذا خالفت الأمر؟ والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية.) إهـ [٤٢١]

وقال فضيلة الشيخ العثيمين: (هذا ليس احتجاجًا بالقضاء والقدر على فعل العبد ومعصية العبد، لكنه احتجاج بالقدر على المصيبة الناتجة من فعله، فهو من باب الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعائب، ولهذا قال: (خيبتنا وأخرجتنا، ونفسك من الجنة) ولم يقل: عصيت ربك فأخرجت من الجنة.

فاحتج آدم بالقدر على الخروج من الجنة الذي يعتبره مصيبة، والاحتجاج بالقدر على المصائب لا بأس به، أرأيت لو أنك سافرت سفرًا وحصل لك حادث، وقال لك إنسان: لماذا تسافر لو أنك بقيت في بيتك ما حصل لك شيء.

فستجيبه: بأن هذا قضاء الله وقدره، أنا ما خرجت لأجل أن أصاب بالحادث، وإنما خرجت لمصلحة، فأصبت بالحادث، كذلك آدم عليه الصلاة والسلام، هل عصى الله لأجل أن يخرجه من الجنة؟ لا، فالمصيبة إذًا التي حصلت له مجرد قضاء وقدر، وحينئذ يكون احتجاجه بالقدر على المصيبة الحاصلة احتجاجًا صحيحًا، ولهذا قال النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (حج آدم موسى، حج آدم موسى). وفي رواية للإمام أحمد: (فحجه آدم) يعني غلبه في الحجة.

مثال آخر: رجل أصاب ذنبًا وندم على هذا الذنب وتاب منه، وجاء رجل من إخوانه يقول: له يا فلان كيف يقع منك هذا الشيء فقال: هذا قضاء الله وقدره. فهل يصح احتجاجه هذا أو لا؟

نعم يصح لأنه تاب، فهو لم يحتج بالقدر ليمضي في معصيته، لكنه نادم ومتأسف، ونظير ذلك (أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل ليلة على علي بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما فقال: (ألا تصليان؟) فقال علي رضي الله عنه: يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله، فإن شاء الله أن يبعثنا بعثنا فانصرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضرب على فخذه وهو يقول: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) (الكهف ٥٤)، [٤٢٢] فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقبل حجته، وبين أن هذا من الجدل؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أن الأنفس بيد الله لكن يريد أن يكون الإنسان حازمًا فيحرص على أن يقوم ويصلي.

على كل حال تبين لنا أن الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها جائز، وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية تبريرًا لموقف الإنسان واستمرارًا فيها فغير جائز). إهـ [٤٢٣]

=

والتوحيد لفضيلة الدكتور الرضواني، موقع الرضوانية – دار العقيدة المصريةwww.alridwany.com ، وموقع علماء السلف.

[٤٢١] سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها / الشيخ محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٧٧/٤ -٢٧٨.

[٤٢٢] قلت: روى الامام البخاري في صحيحه - بَابُ تَحْرِيضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَلاَةِ اللَّيْلِ وَالنَّوَافِلِ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ / ١١٢٧ - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، أَنَّ حُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ، أَخْبَرَهُ: أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَخْبَرَهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ بِنْتَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَيْلَةً، فَقَالَ: (أَلاَ تُصَلِّيَانِ؟) فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللَّهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ حِينَ قُلْنَا ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُوَلٍّ يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: (وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) (الكهف/٥٤)، والحديث رواه الامام أحمد، ومسلم، والنسائي، وابن جرير، وابن خزيمة، والبيهقي. إهـ

[٤٢٣] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن -دار الثريا، الطبعة الأخيرة -١٤١٣ هـ، ٢ / ١٠٦ – ١٠٧.

١٢/ الشر ليس اليك [٤٢٤]

(أن الله تعالى لم يخلق شيئا يكون شرا محضا من كل وجه، لا خير فيه بوجه من الوجوه، فإن هذا ليس في الحكمة، بل ذلك لا يكون إلا عدما محضا، والعدم ليس بشيء، والوجود إما محض، إما أن يكون فيه خير من وجه وشر من وجه، فأما أن يكون شرا من كل وجه، فهذا ممتنع، ولكن قد يظهر ما فيه من الشر ويخفى ما في خلقه من الخير، ولهذا قال تعالى للملائكة وقد سألوا عن خلق هذا القسم فقالوا: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) (البقرة ٣٠)، فإذا كانت الملائكة، مع قربهم من الله وعلمهم بأسمائه وصفاته وما يجب له ويمتنع عليه، لم يعلم حكمته سبحانه في خلق من يفسد كما يعلمها الله، بل هو سبحانه متفرد بالعلم الذي لا يعلمونه، فالبشر أولى بأن لا يعلموا ذلك، فالخير كله في يدي الرب، والشر ليس إليه، فلا يدخل في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، وإن دخل في مفعولاته بالعرض لا بالذات، وبالقصد الثاني لا الأول دخولا إضافيا، وأما الخير فهو داخل في أسمائه وصفاته وأفعاله ومفعولاته بالذات والقصد الأول، فالشر إنما يضاف له مفعول لا فعله، وفعله خير محض، وهذا من معاني أسمائه المقدسة، كالقدوس والسلام والمتكبر، فالقدوس الذي تقدس عن كل عيب، وكذلك السلام، وكذلك المتكبر، قال ميمون بن مهران: تكبر عن السوء والسيئات، فلا يصدر منه إلا الخيرات، والخيرات كلها منه، فهو الذي يأتي بالحسنات ويذهب بالسيئات، ويصلح الفاسد ولا يفسد الصالح، بل ما أفسد إلا فاسدا، وإن كان الظاهر الذي يبدو للناس صالحا فهو يعلم منه ما لا يعلم عباده.

والمقصود أنها الإعدام ولوازمها: فالشر ليس إلا الذنوب وموجباتها وسيئات الأعمال وسيئات الجزاء، وهي مترتبة على عدم الإيمان والطاعة وموجباتها، فإذا أراد الله بعبده الخير أراد من نفسه سبحانه أن يوفقه له ويعينه عليه، فيوجد منه فيترتب عليه من الأمور الوجودية ما فيه صلاحه وسعادته، فإذا لم يرد به خيرا لم يرد من نفسه أن يعينه ويوفقه، فيبقى مستمرا على عدم الخير الذي هو الأصل، فيترتب على هذا العدم فقد الخير وأسبابه، وذلك هو الشر والألم، فإذا بقيت النفس على عدم كمالها الأصلي وهي متحركة بالذات لم تخلق ساكنة؛ تحركت في أسباب مضارتها وألمها، فتعاقب بخلق أمور وجودية، يريد الله سبحانه تكوينها عدلا منه في هذه النفس وعقوبة لها، وذلك خير من جهة كونه عدلا وحكمة وعبرة وإن كان شرا بالإضافة إلى المعذب والمعاقب، فلم يخلق الله سبحانه شرا مطلقا بل الذي خلقه من ذلك خير في نفسه وحكمة وعدل، وهو شر نسبي إضافي في حق من أصابه، كما إذا أنزل المطر والثلج والرياح وأطلع الشمس كانت هذه خيرات في نفسها وحكم ومصالح، وإن كانت شرا نسبيا إضافيا في حق من تضرر بها.

وبالجملة فالكلمة الجامعة لهذا هي الكلمة التي أثنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ربه حيث يقول: (والشر ليس إليك)، فالشر لا يضاف إلى من الخير بيديه، وإنما ينسب إلى المخلوق، كقوله تعالى: (قل أعوذ برب الفلق ۞ من شر ما خلق) (الفلق ١ – ٢)، فأمره أن يستعيذ به من الشر الذي في المخلوق، فهو الذي

---

[٤٢٤] رواه الامام مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتاب صلاة المسافرين/ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، ونصه: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، وَإِذَا رَكَعَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، خَشَعَ لَكَ سَمْعِي، وَبَصَرِي، وَمُخِّي، وَعَظْمِي، وَعَصَبِي، وَإِذَا رَفَعَ، قَالَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، وَإِذَا سَجَدَ، قَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ.

يعيذ منه وينجي منه، وإذا أخلى العبد قلبه من محبته والإنابة إليه، وطلب مرضاته، وأخلى لسانه من ذكره والثناء عليه، وجوارحه من شكره وطاعته، فلم يرد من نفسه ذلك ونسي ربه، لم يرد الله سبحانه أن يعيذه من ذلك ونسيه كما نسيه، وقطع الإمداد الواصل إليه منه كما قطع العبد العبودية والشكر والتقوى التي تناله من عباده، قال تعالى: (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) (الحج ٣٧)، فإذا أمسك العبد عما ينال ربه منه أمسك الرب عما ينال العبد من توفيقه، وقد صرح سبحانه بهذا المعنى بعينه في قوله تعالى: (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) (الأنعام ١١٠)، أي نخلي بينهم وبين نفوسهم التي ليس لهم منها إلا الظلم والجهل، وقال تعالى: (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (الحشر ١٩)، وقال تعالى: (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) (المائدة ٤١)، فعدم إرادته تطهيرهم، وتخليته بينهم وبين نفوسهم أوجب لهم من الشر ما أوجبه.

فالذي إلى الرب وبيديه ومنه هو الخير، والشر كان منهم مصدره وإليهم كان منتهاه، فمنهم ابتدأت أسبابه بخذلان الله تعالى لهم تارة وبعقوبته لهم به تارة، وإليهم انتهت غايته ووقوعه، فتأمل هذا الموضع كما ينبغي، فإنه يحل عنك إشكالات حار فيها أكثر الناس ولم يهتدوا إلى الجمع بين الملك والحمد والعدل والحكمة).[٤٢٥]

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: (أما وصف القدر بالخير؛ فالأمر فيه ظاهر. وأما وصف القدر بالشر، فالمراد به شر المقدور لا شر القدر الذي هو فعل الله، فإن فعل الله عز وجل ليس فيه شر، كل أفعاله خير وحكمة، ولكن الشر في مفعولاته ومقدوراته؛ فالشر هنا باعتبار المقدور والمفعول، أما باعتبار الفعل؛ فلا، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام: (والشر ليس إليك).

فمثلًا، نحن نجد في المخلوقات المقدورات شرًّا، ففيها الحيات والعقارب والسباع والأمراض والفقر والجدب وما أشبه ذلك، وكل هذه بالنسبة للإنسان شر؛ لأنها لا تلائمه، وفيها أيضًا المعاصي والفجور والكفر والفسوق والقتل وغير ذلك، وكل هذه شر، لكن باعتبار نسبتها إلى الله هي خير؛ لأن الله عز وجل لم يقدرها إلا لحكمة بالغة عظيمة، عرفها من عرفها وجهلها من جهلها.

وعلى هذا يجب أن تعرف أن الشر الذي وصف به القدر إنما هو باعتبار المقدورات والمفعولات، لا باعتبار التقدير الذي هو تقدير الله وفعله.

ثم اعلم أيضًا أن هذا المفعول الذي هو شر قد يكون شرًّا في نفسه، لكنه خير من جهة أخرى، قال الله تعالى: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم ٤١)، النتيجة طيبة، وعلى هذا، فيكون الشر في هذا المقدور شرًّا إضافيًّا يعنى: لا شرًّا حقيقيًّا؛ لأن هذا ستكون نتيجته خيرًا.

ولنفرض حد الزاني مثلًا: إذا كان غير محصن أن يجلد مئة جلدة ويسفر عن البلد لمدة عام، هذا لا شك أنه شر بالنسبة إليه؛ لأنه لا يلائمه، لكنه خير من وجه آخر لأنه يكون كفارة له، فهذا خير؛ لأن عقوبة الدنيا أهون من عقوبة الآخرة، فهو خير له، ومن خيره أنه ردع لغيره ونكال لغيره، فإن غيره لو هم أن يزني وهو يعلم أنه سيفعل به مثل ما فعل بهذا؛ ارتدع، بل قد يكون خيرًا له هو أيضًا، باعتبار أنه لن يعود إلى مثل هذا العمل الذي سبب له هذا الشيء.

أما بالنسبة للأمور الكونية القدرية، فهناك شيء يكون شرًّا باعتباره مقدورًا، كالمرض مثلًا، فالإنسان إذا مرض، فلا شك أن المرض شر بالنسبة له، لكن فيه خير له في الواقع، وخيره تكفير الذنوب، قد يكون الإنسان عليه ذنوب ما كفرها الاستغفار والتوبة، لوجود مانع؛ مثلًا لعدم صدق نيته مع الله عز وجل فتأتي هذه الأمراض والعقوبات، فتكفر هذه الذنوب.

---

[٤٢٥] مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة/ محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى ٧٧٤هـ)، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ص ٢٥٨-٢٦٠.

ومن خيره أن الإنسان لا يعرف قدر نعمة الله عليه بالصحة، إلا إذا مرض، نحن الآن أصحاء ولا ندري ما قدر الصحة لكن إذا حصل المرض، عرفنا قدر الصحة فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يعرفها إلا المرضى هذا أيضًا خير، وهو أنك تعرف قدر النعمة. ومن خيره أنه قد يكون في هذا المرض أشياء تقتل جراثيم في البدن لا يقتلها إلا المرض؛ يقول الأطباء: بعض الأمراض المعينة تقتل هذه الجراثيم التي في الجسد وأنك لا تدري.

فالحاصل أننا نقول:

أولًا: الشر الذي وصف به القدر هو شر بالنسبة لمقدور الله، أما تقدير الله، فكله خير والدليل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (والشر ليس إليك).

ثانيًا: أن الشر الذي في المقدور ليس شرًّا محضًا بل هذا الشر قد ينتج عنه أمور هي خير، فتكون الشِّرِّيَّة بالنسبة إليه أمرًا إضافيًا.) [٤٢٦]

١٣/ الرضا بالقضاء والقدر

(الرضا بالقدر فهو واجب؛ لأنه من تمام الرضا بربوبية الله، فيجب على كل مؤمن أن يرضى بقضاء الله، ولكن المقضي هو الذي فيه التفصيل فالمقضي غير القضاء؛ لأن القضاء فعل الله، والمقضي مفعول الله، فالقضاء الذي هو فعل الله يجب أن نرضى به، ولا يجوز أبدا أن نسخطه بأي حال من الأحوال.

وأما المقضي فعلى أقسام:

القسم الأول: ما يجب الرضا به.

قسم من المقضي يجب الرضا به مثل الواجب شرعا؛ لأن الله حكم به كونا، وحكم به شرعا، فيجب الرضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي.

القسم الثاني: ما يحرم الرضا به.

فمثلا المعاصي من مقضيات الله، ويحرم الرضا بالمعاصي، وإن كانت واقعة بقضاء الله، فمن نظر إلى المعاصي من حيث القضاء الذي هو فعل الله يجب أن يرضى، وأن يقول: إن الله تعالى حكيم، ولولا أن حكمته اقتضت هذا ما وقع، وأما من حيث المقضي وهو معصية الله فيجب ألا ترضى به، والواجب أن تسعى لإزالة هذه المعصية منك أو من غيرك.

القسم الثالث: ما يستحب الرضا به.

يستحب الرضا به، ويجب الصبر عليه، وهو ما يقع من المصائب، فما يقع من المصائب يستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب، لكن يجب الصبر عليه، والفرق بين الصبر والرضا: أن الصبر يكون الإنسان فيه كارها للواقع، لكنه لا يأتي بما يخالف الشرع وينافي الصبر.

والرضا: لا يكون كارها للواقع فيكون ما وقع، وما لم يقع عنده سواء، فهذا هو الفرق بين الرضا والصبر؛ ولهذا قال الجمهور: إن الصبر واجب، والرضا مستحب.) إهـ [٤٢٧]

١٤/ الانسان مخير أم مسير

(أن الأمور التي يفعلها الإنسان العاقل يفعلها باختياره بلا ريب، واسمع إلى قول الله تعالى: (فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا) (النبأ ٣٩)، وإلى قوله: (مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) (ال عمران ١٥٢)، وإلى قوله:

---

[٤٢٦] شرح العقيدة الواسطية / الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن -دار الثريا، الطبعة الأخيرة - ١٤١٣ هـ، ٨ / ٤٥ – ٥٦.

[٤٢٧] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن -دار الثريا، الطبعة الأخيرة -١٤١٣ هـ، ٢ / ٩٢ – ٩٣، بتصرف.

(وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) (الاسراء ١٩)، إلى قوله: (فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ) (البقرة ١٩٦)، حيث خير الفادي فيما يفدي به.
ولكن العبد إذا أراد شيئا وفعله علمنا أن الله تعالى قد أراده لقوله تعالى: (لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير ٢٨و٢٩) فلكمال ربوبيته لا يقع شيء في السماوات والأرض إلا بمشيئته تعالى.
وأما الأمور التي تقع على العبد، أو منه بغير اختياره، كالمرض، والموت، والحوادث فهي بمحض القدر، وليس للعبد اختيار فيها ولا إرادة. والله الموفق.) إهـ [٤٢٨]
واعلم (إن الإنسان مخير باعتبار، ومسير باعتبار؛ فهو مخير باعتبار أن له مشيئةً يختار بها، وقدرةً يفعل بها؛ لقوله تعالى: (فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) (الكهف ٢٩)، وقوله: (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) (البلد ١٠)، وقوله: (فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ) (البقرة ٢٢٣)، وقوله: (وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) (آل عمران ١٣٣).
ولقوله عليه الصلاة والسلام: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز....) [٤٢٩] الحديث، وقوله: (صلوا قبل صلاة المغرب) قال في الثالثة: (لمن شاء)،[٤٣٠] إلى غير ذلك من الأدلة في هذا المعنى.
وهو مسير باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر، راجع إليه؛ لكونه لا يخرج عما قدَّره الله له؛ فلا يخرج في تخييره عن قدرة الله عز وجل؛ لقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) (يونس ٢٢)، وقوله: (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) (القصص ٦٨).
ولقوله صلى الله عليه وسلم:(كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)[٤٣١].
إلى غير ذلك من الأدلة في هذا المعنى.
ولهذا جمع الله بين هذين الأمرين - كون الإنسان مخيراً باعتبار ومسيراً باعتبار - كما في قوله تعالى:
(لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (التكوير ٢٨-٢٩).
فأثبت عز وجل أن للعبد مشيئة، وبَيَّنَ أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، واقعة بها.
وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله: (ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار).
قالوا: يا رسول الله: فَلِمَ نعمل؟ أفلا نتكل؟ قال: (لا، اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له). [٤٣٢]
فهذا الحديث دليل لما سبق؛ فهو يدل على أن الإنسان مخير؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: (اعملوا) وعلى أنه لا يخرج في تخييره عن قدر الله؛ لقوله: (فكل ميسر لما خلق له).
هذا مقتضى أدلة الشرع والواقع في هذه المسألة. [٤٣٣]
فلعل في هذا التقرير إجابة شافية، وجمعاً بين النصوص في هذه المسألة. ومما يستحسن في هذا الأمر أن يصحح السؤال؛ فبدلاً من أن يقال: هل الإنسان مسير أو مخير؟ كان الأولى أن يقال: هل للإنسان مشيئة وقدرة أوْ لا ؟، والجواب - كما تقدم - وتلخيصه أن يقال: إن للإنسان مشيئةً يختار بها، وقدرةً يفعل بها، وقدرته ومشيئته تابعتان لمشيئة الله، واقعتان بها. وبهذا يزول الإشكال، ويجاب عن هذا السؤال.
ومن هنا يتبين خطأ بعض من يكتبون عن القدر، وذلك حينما يصدِّرون كتاباتهم عن القدر بذلك السؤال: هل الإنسان مسير أو مخير؟ ويطنبون في الخوض فيه، والحديث عنه، دون خروج بنتيجة صحيحة في الغالب وكأن باب القدر لا يفهم إلا بالإجابة عن هذا السؤال. [٤٣٤]

---

[٤٢٨] نفس المصدر السابق ٢/ ٩١.
[٤٢٩] رواه مسلم (٢٦٦٤).
[٤٣٠] رواه البخاري (١١٨٣ و٧٣٦٨).
[٤٣١] رواه مسلم (٢٦٥٣).
[٤٣٢] رواه البخاري (١٣٦٢ و٤٩٤٥)، ومسلم (٢٦٤٧).
[٤٣٣] انظر دفع إيهام الاضطراب للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ص٢٨٦ -٢٨٧.
فتاوى اللجنة الدائمة ٣/٣٧٧-٣٨٠.

وكان الأولى بهؤلاء إذا أرادوا أن يكتبوا عن القدر أن يصدِّروها بتوضيح القدر من أصله من خلال نصوص الكتاب والسنة، لا من خلال العقول القاصرة، فيوضحوا القدر بمراتبه الأربع، ويبينوا أنَّ الله أمر ونهى، وأنَّ على العبد أن يؤمن بالقدر ويؤمن بالشرع، فعليه تصديق الخبر، وطاعة الأمر، فإن أحسن فليحمد الله، وإن أساء فليستغفر الله.

وكذلك يبينون أن على العبد أن يسعى في مصالحه الدنيوية، ويأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة، فإذا حصل على مراده حمد الله، وإن أتت الأمور على خلافه تعزى بقدره، وهكذا...

ففي ذلك الغنيةُ عن كثرة الخوض في مثل هذا السؤال؛ فالإنسان إذا فهم باب القدر على هذا النحو سلم من تلك الإيرادات والشبهات.) [٤٣٥]

١٥/ قول العاصي: إن الله لم يكتب لي الهداية

يقال له: (أطَّلعت الغيب أم اتخذت عند الله عهدًا؟

إن قال: نعم، كفر لأنه ادعى علم الغيب.

وإن قال: لا، خُصم وغلب، إذا كنت لم تطلع أن الله لم يكتب لك الهداية فاهتد، فالله ما منعك الهداية بل دعاك إلى الهداية، ورغبك فيها، وحذرك من الضلالة، ونهاك عنها ولم يشأ الله عز وجل أن يدع عباده على ضلالة أبدًا قال تعالى: (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) (النساء ١٧٦)، (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ) (النساء ٢٦)، فتب إلى الله، والله عز وجل أشد فرحًا بتوبتك من رجل أضل راحلته وعليها طعامه وشرابه، وأيس منها، ونام تحت شجرة ينتظر الموت، فاستيقظ فإذا بخطام ناقته متعلق بالشجرة فأخذ بخطام الناقة فرحًا وقال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك)، أخطأ من شدة الفرح [٤٣٦]، فنقول: تب إلى الله، والله أمرك بالاهتداء وبين لك طريق الحق. والله ولي التوفيق.) إهـ [٤٣٧]

١٦/ الحكمة من وجود المعاصي والكفر

(لوقوع المعاصي والكفر حكم كثيرة منها:

١ -إتمام كلمة الله تعالى حيث وعد النار أن يملأها قال الله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) (هود ١١٩).

٢ -ومنها ظهور حكمة الله تعالى وقدرته حيث قسم العباد إلى قسمين: طائع، وعاصٍ، فإن هذا التقسيم يتبين به حكمة الله عز وجل فإن الطاعة لها أهل هم أهلها، والمعصية لها أهل هم أهلها، قال الله تعالى: (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (الانعام ٢٤)، وقال: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) (محمد ١٧)، فهؤلاء أهل

=

[٤٣٤] انظر على سبيل المثال إلى كتاب القضاء والقدر للشيخ محمد الشعراوي ص٩-١٢، ومسألة القضاء والقدر لعبد الحليم قنبس، وخالد العك ١١٥-١٥٠، وما هو القضاء والقدر محمد محمود عجاج، والقضاء والقدر حق وعدل للأستاذ هشام الحمصي ص١١٧-١٢٦.

[٤٣٥]. الإيمان بالقضاء والقدر، محمد بن ابرهيم الحمد، دار الوطن، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، ص١٢٣ – ١٢٧.

[٤٣٦] قلت: الحديث (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك! أخطأ من شدة الفرح). رواه الامام مسلم عن أنس. تحقيق الألباني: (صحيح)، وانظر الحديث رقم /٥٠٣٠ في صحيح الجامع.

[٤٣٧] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن -دار الثريا، الطبعة الأخيرة -١٤١٣ هـ، ٢/ ١٠٣ – ١٠٤.

الطاعة، وقال تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) (التوبة ١٢٥)، وقال: (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ) (الصف ٥). وهؤلاء أهل المعصية.
ويتبين بذلك قدرته بهذا التقسيم الذي لا يقدر عليه إلا الله كما قال تعالى: (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) (البقرة ٢٧٢)، وقال: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (القصص ٥٦).
٣ -ومنها أن يتبين للمطيع قدر نعمة الله عليه بالطاعة إذا رأى حال أهل المعصية قال الله تعالى: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (آل عمران ١٦٤).
٤ -ومنها لجوء العبد إلى ربه بالدعاء أن يباعد بينه وبين المعصية والدعاء عبادة لله تعالى.
٥ -ومنها أن العبد إذا وقع في المعصية ومَنَّ الله عليه بالتوبة ازداد إنابة إلى الله وانكسر قلبه، وربما يكون بعد التوبة أكمل حالًا منه قبل المعصية حيث يزول عنه الغرور والعجب، ويعرف شدة افتقاره إلى ربه.
٦ -ومنها إقامة الجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإنه لولا المعاصي والكفر لم يكن جهاد، ولا أمر بمعروف، ولا نهي عن منكر. إلى غير ذلك من الحكم والمصالح الكثيرة ولله في خلقه شؤون.) إهـ [٤٣٨]

١٧/ حكم استعمال (لو)

(استعمال (لو) فيه تفصيل على الوجوه التالية:
الوجه الأول: أن يكون المراد بها مجرد الخبر فهذه لا بأس بها مثل أن يقول الإنسان لشخص: لو زرتني لأكرمتك، أو لو علمت بك لجئت إليك.
الوجه الثاني: أن يقصد بها التمني فهذه على حسب ما تمناه إن تمنى بها خيرًا فهو مأجور بنيته، وإن تمنى بها سوى ذلك فهو بحسبه، ولهذا (قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: في الرجل الذي له مال ينفقه في سبيل الله وفي وجوه الخير ورجل آخر ليس عنده مال، قال: لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (في الأجر سواء) والثاني رجل ذو مال لكنه ينفقه في غير وجوه الخير فقال رجل آخر: لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان فقال رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (هما في الوزر سواء) [٤٣٩]، فهي إذا جاءت للتمني تكون بحسب ما تمناه العبد إن تمنى خيرًا فهي خير، وإن تمنى سوى ذلك فله ما تمنى.
الوجه الثالث: أن يراد بها التحسر على ما مضى فهذه منهي عنها، لأنها لا تفيد شيئًا وإنما تفتح الأحزان والندم وفي هذه يقول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو

---

[٤٣٨] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن -دار الثريا، الطبعة الأخيرة -١٤١٣ هـ، ٢ /١٠٤ – ١٠٦.

[٤٣٩] قلت: قال الشيخ الالباني في الحديث / ١٦ -(صحيح لغيره) رواه احمد والترمذي وابن ماجة.
ولفظ ابن ماجه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا وهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه بمثل الذي يعمل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهما في الأجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط في ماله ينفقه في غير حقه ورجل لم يؤته الله علما ولا مالا وهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهما في الوزر سواء.). صحيح الترغيب والترهيب / الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة الخامسة.
وحسنه الشيخ شعيب الارناؤوط في تخريج المسند / ١٨٠٢٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل (المتوفى ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرناؤوط -عادل مرشد، وآخرون -إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ -٢٠٠١ م.

تفتح عمل الشيطان). [440] وحقيقة أنه لا فائدة منها في هذا المقام لأن الإنسان عمل ما هو مأمور به من السعي لما ينفعه ولكن القضاء والقدر كان بخلاف ما يريد فكلمة (لو) في هذا المقام إنما تفتح باب الندم والحزن، ولهذا نهى عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الإسلام لا يريد من الإنسان أن يكون محزونًا ومهمومًا بل يريد منه أن يكون منشرح الصدر وأن يكون مسرورًا طليق الوجه، ونبه الله المؤمنين لهذه النقطة بقوله: (إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) (المجادلة ١٠). وكذلك في الأحلام المكروهة التي يراها النائم في منامه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام أرشد المرء إلى أن يتفل عن يساره ثلاث مرات، وأن يستعيذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، وأن ينقلب إلى الجنب الآخر، وألا يحدث بها أحدًا لأجل أن ينساها ولا تطرأ على باله قال: (فإن ذلك لا يضره). [441]

والمهم أن الشرع يحب من المرء أن يكون دائمًا في سرور، ودائمًا في فرح ليكون متقبلًا لما يأتيه من أوامر الشرع؛ لأن الرجل إذا كان في ندم وهم وفي غم وحزن لا شك أنه يضيق ذرعًا بما يلقى عليه من أمور الشرع وغيرها، ولهذا يقول الله تعالى لرسوله دائمًا: (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ) (النحل ١٢٧)، (لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) (الشعراء ٣)، وهذه النقطة بالذات تجد بعض الغيورين على دينهم إذا رأوا من الناس ما يكرهون تجدهم يؤثر ذلك عليهم، حتى على عبادتهم الخاصة ولكن الذي ينبغي أن يتلقوا ذلك بحزم وقوة ونشاط فيقوموا بما أوجب الله عليهم من الدعوة إلى الله على بصيرة، ثم إنه لا يضرهم من خالفهم).إهـ [442]

١٨/ ما جاء في التطير والعدوى والهامة والفأل الصالح [443]

قال الله تعالى: (فَإِذَا جَاءتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللّهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) (الاعراف ١٣١).

وقال تعالى: (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) (يس ١٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَا عَدْوَى، وَلَا طِيَرَةَ، وَأُحِبُّ الفألَ الصالح). [444]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ وَلَا هَامَةَ) فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا بَالُ الْإِبِلِ تَكُونُ فِي الرَّمْلِ كَأَنَّهَا الظِّبَاء فَيَجِيءُ الْبَعِيرُ الْأَجْرَبُ فَيَدْخُلُ فِيهَا فيُجْرِبُها؟ قَالَ: (فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ)؟ [445]

وعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم يَقُولُ: (لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ) قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْفَأْلُ؟ قَالَ: (الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يسمعها أحدكم). [446]

---

[440] قلت: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان).

رواه الامام احمد في المسند الامام مسلم في صحيحه وابن ماجة عن أبي هريرة. تحقيق الألباني (حسن)، وانظر الحديث رقم ٦٦٥٠/ في صحيح الجامع.

[441] قلت: (الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم الشيء يكرهه (ص:٤٣٣) فلينفث عن يساره ثلاث مرات ـ إذا استيقظ ـ وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره إن شاء الله). قال أبو سلمة: إن كنت لأرى الرؤيا ـ هي أثقل علي من الجبل ـ فلما سمعت هذا الحديث ماكنت أباليها.

رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الشيخ الألباني في التعليقات الحسان/ ٦٠٢٧.

[442] مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (المتوفى ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، الطبعة الأخيرة - ١٤١٣ هـ. ١٢٧/٣ – ١٢٩.

[443] مصدر المسألة من كتاب تيسير العزيز الحميد باستثناء الاحالات الى كتب الشيخ الالباني وأقوال السادة العلماء وكما مبين في الحاشية.

[444] رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان/٥٧٩٦.

[445] رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان/٦٠٨٣. وانظر الصحيحة /٧٨٢.

وعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ: أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (لَا عَدْوَى وَلَا صَفَرَ ولا غُولَ). [٤٤٧]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ وَلَا نَوْءَ). [٤٤٨]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا عَدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ وفر من المجذوم كما تفر من الأسد). [٤٤٩]

وعن أنس قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا عَدْوَى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح والفأل الصالح: الكلمة الحسنة). [٤٥٠]

وعن ابن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يعدي شيء شيئا فمن أجرب الأول؟ لا عدوى ولا صفر خلق الله كل نفس فكتب حياتها ورزقها ومصائبها). [٤٥١]

وعن عمرو بن الشريد، عن أبيه، قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إنا قد بايعناك فارجع). [٤٥٢]

- التطير من أعمال الجاهلية حيث كانوا يعتمدون على الطير في إمضاء الشيء أو الحجب عنه، فإذا رأي أحدهم طائراً طار يمنة استبشر وأستمر وإن طار يسرة تشاءم ورجع عما عزم. بل كان بعضهم إذا أراد شيء تعمد على تهيج الطير ليري هل تطير يسرة أو يمنة وكانوا يسمون ما طار يمنة بالسانح وما طار يسرة بالبارح،[٤٥٣] وجاء الإسلام وأبطل كل هذه الخرافات فنهانا عن التشاوم لأن المسلم الصادق يعلم أن الأمور كلها بيد الله فإذا عزم على أمر فليستعن به وليمضي فيه ولا يصده التشاؤم عن فعله.
أما حديث (الشؤم في ثلاث)؛ فخلاصة القول فيه انه: **لا شؤم قط في الإسلام ولا حتى في هذه الثلاث، والمعنى: لو كان هناك شؤم فهو في هذه الثلاث، لأن المرء في الغالب يتشاءم بها، فلما كان معظم حال الناس أنهم يتشاءمون بالمرأة والدار والفرس، ذكر ذلك النبي عليه الصلاة والسلام.**[٤٥٤]
- العدوى: قال أبو السعادات: العدوى اسم من الأعداء كالدعوى والبقوى من الادعاء والإبقاء. يقال: أعداه الداء يعديه إعداء، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء. وذلك أن يكون ببعير جرب مثلاً يتقي مخالطته بإبل أخرى حَذَار أن يتعدى ما به من الجرب إليها، فيصيبها ما أصابه.

=

[٤٤٦] رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان/٦٠٩١. وانظر الصحيحة /٧٨٦-(لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة). قال الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٣٠/٢: أخرجه البخاري (١٧٥/١٠) ومسلم (٣٣/٧) وأبو داود (١٥٨/٢) والترمذي (٣٠٥/١) صححه والطحاوي (٣٧٨/٢) والطيالسي (رقم ١٩٦١) وأحمد (١٣٠/٣، ١٥٤، ١٧٣، ١٧٨، ٢٧٦) وكذا ابن ماجه (٣٦٢/٢) من طرق عن قتادة عن أنس به.

[٤٤٧] رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان/٦٠٩٥. وانظر الصحيحة /٨٧٤.

[٤٤٨] رواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الشيخ الالباني في التعليقات الحسان/٦١٠٠.

[٤٤٩] رواه الامام احمد في المسند والامام البخاري في صحيحه. وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم / ٧٥٣٠ في صحيح الجامع.

[٤٥٠] رواه الامام احمد في المسند والشيخان في صحيحيهما وابو داود والترمذي وابن ماجة. وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم / ٧٥٣٢ في صحيح الجامع.

[٤٥١] رواه الامام احمد في المسند والترمذي. وقال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم / ٧٧٣٣ في صحيح الجامع.

[٤٥٢] رواه الامام مسلم (٢٢٣١)، وابن أبي شيبة ٣١٩/٨-٣٢٠ و٤٣/٩-٤٤، والبيهقي ٢١٨/٧.

[٤٥٣] قال المدائني: سألت رؤبة بن العجاج ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. قال والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك هو القاعد والقعيد.

[٤٥٤] شرح صحيح مسلم/ أبو الأشبال حسن الزهيري آل مندوه المنصوري المصري، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الدرس: ٤. http://www.islamweb.net
قلت: وانظر الحديث ٩٩٣ -" الطيرة من الدار والمرأة والفرس ". من السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني، ٦٨٩/٢ ومابعدها.

قال البيهقي، وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم أن قوله: (لا عدوى) على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وأن هذه الأمراض تعدي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح مَنْ به شيء من هذه العيوب سببًا لحدوث ذلك.
وأما أمره بالفرار من المجذوم، ونهيه عن إيراد الممرض على المصح، وعن الدخول إلى موضع الطاعون، فإنه من باب اجتناب الأسباب التي خلقها الله تعالى، وجعلها أسبابًا للهلاك والأذى، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية، فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء أو في النار أو تحت الهدم أو نحو ذلك مما جرت العادة بأنه يهلك ويؤذي، فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، وقدوم بلد الطاعون، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره. [٤٥٥]
و(عَنْ الشريد قَالَ: كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : (إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ). قال الشيخ الالباني: هذا دليل واضح على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى أن الجذام مرض معد، ولذلك اتخذ السبب في عدم انتقال المرض إليه من المجذوم، وليس ينافي هذا التوكل على الله تعالى كما أشار عمر رضي الله عنه، وقد عزم على أن لا يدخل الأرض الموبوءة: (نفر من قدر الله، إلى قدر الله)، وقد تأول بعضهم هذا الحديث تأويلاً بعيداً فلا يلتفت إليه فإنما حملهم عليه حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكل مع مجذوم وقال: (كل بسم الله ثقةً بالله وتوكلاً عليه)، وهو حديث ضعيف كما قد بينته في السلسلة ١١٤٤[٤٥٦]). [٤٥٧]

- الهامة: قوله: (ولا هامة) بتخفيف الميم على الصحيح. قال الفراء: الهامة طائر من طير الليل كأنه يعني: البومة قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إلي نفسي أو أحدًا من أهل داري. وقال أبو عبيد: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير، ويسمون ذلك الطائر الصدى، وبه جزم ابن رجب قال: وهذا شبيه باعتقاد أهل التناسخ أن أرواح الموتى تنتقل إلى أجساد حيوانات من غير بعث ولا نشور، وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الإسلام بإبطالها وتكذيبها.
- صفر: قوله: (ولا صفر)، بفتح الفاء. روى أبو عبيد القاسم بن سلام في (غريب الحديث) له عن رؤبة أنه قال: هي حية تكون في البطن تصيب الماشية والناس وهي أعدى من الجرب عند العرب. فعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى، ويكون عطفه على العدوى من عطف الخاص على العام. وممن قال بهذا: سفيان بن عيينة وأحمد والبخاري وابن جرير، وقال آخرون: المراد به شهر صفر، والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء، وكانوا يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه. وهذا قول مالك وفيه نظر. وروى أبو داود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول: إن أهل الجاهلية كانوا يستشئمون بصفر ويقولون: إنه شهر مشؤوم فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك، قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر، وربما ينتهي عن السفر فيه. والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام، كيوم الأربعاء وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

---

[٤٥٥] تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد / الشيخ سليمان بن عبد الله، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية – مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الاولى ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥ م، ص٢١٦ – ٢٢٢.

[٤٥٦] قال الشيخ الالباني في السلسلة الضعيفة ١١٤٤: رواه أبو داود (٣٩٢٥) والترمذي (٣٣٥/١) وابن ماجه (٣٥٤٢) وابن السني في " عمل اليوم والليلة " (٤٥٧) وأبو العباس الأصم في " جزء من حديثه " (ق ٢/١٩٢) والحاكم (١٣٦/٤ - ١٣٧) والعقيلي في " الضعفاء " (٤٢٨) وابن عدي في " الكامل " (٢/٣٩٦) وأبو عبد الله الدقاق في " معجم مشايخه " (ق ١/٤) والضياء المقدسي في " المنتقى من مسموعاته بمرو" (ق ١/٤٩) من طريق المفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن المنكدر عن جابر: " أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم، فأدخلها معه في القصعة فقال: ". فذكره. اهـ

[٤٥٧] مختصر صحيح مسلم للشيخ الالباني / ص ٣٨٧.

- النوء: قوله: (ولا نوء)، النوء واحد الأنواء، قال أبو السعادات: وهي ثمانية وعشرون منْزلة ينزل القمر كل ليلة منْزلة منها ومنه قوله تعالى: (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ) (يس ٣٩)، يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت في الشرق فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة. وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنْزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها فيقولون: مطرنا بنوء كذا، وإنما سمي نوءًا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق ينوء نوءًا، أي: نهض وطلع.
  (وإنما غلظ النبي صلى الله عليه وسلم في أمر الأنواء لأن العرب كانت تنسب المطر إليها. فأما من جعل المطر من فعل الله تعالى، وأراد بقوله: «مطرنا بنوء كذا» أي في وقت كذا، وهو هذا النوء الفلاني، فإن ذلك جائز: أي إن الله قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات). [٤٥٨]
- الغول: قوله: (ولا غول). هو بالفتح مصدر معناه: البعد والهلاك وبالضم الاسم، وجمعه أغوال وغيلان وهو المراد هنا. قال أبو السعادات: الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولاً، أي: تتلون تلونًا في صور شتى وتُغْوِلُهم، أي: تضلهم عن الطريق وتهلكهم، فنفاه النبي صلى الله عليه وسلم وأبطله.
  وقيل: قوله: لا غول ليس نفيًا لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتياله.
- الفأل: قوله: (ويعجبني الفأل). قال أبو السعادات: الفأل مهموز فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يسر، يقال: تفاءلت بكذا، وتفألت على التخفيف والقلب. وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفًا، وإنما أحب الفأل، لأن الناس إذا أملوا فائدة الله، ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي، فهم على خير، ولو غلطوا في جهة الرجاء، فإن الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر.
  وأما الطيرة، فإن فيها سوء الظن بالله، وتوقع البلاء. ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض، فيتفاءل بما يسمع من كلام فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة، فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه برئ من مرضه ويجد ضالته ومنه الحديث قيل: يا رسول الله ما الفأل؟ فقال: (الكلمة الصالحة).

قوله: (قالوا وما الفأل؟ قال الكلمة الطيبة). بين لهم صلى الله عليه وسلم أن الفأل يعجبه فدل أنه ليس من الطيرة المنهي عنها.

قال ابن القيم: (أما مَا ذكرْتُمْ من أَن النَّبِي كَانَ يُعجبهُ الفأل الْحسن فَلَا ريب فِي ثُبُوت ذَلِك عَنهُ وَقد قرن ذَلِك بِإِبْطَال الطِّيرَة كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ من حَدِيث الزُّهْرِيّ عَن عبيد بن عبد الله عَن أَبى هُرَيْرَة رضى الله عَنهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى عَلَيْهِ وَسلم: لا طيرة وَخَيرهَا الفأل قَالُوا وَمَا الفأل يَا رَسُول الله قَالَ الْكَلِمَة الصَّالِحَة يسْمعهَا أحدكُم فابتدأهم النَّبِي بِإِزَالَة الشُّبْهَة وأبطال الطِّيرَة لِئَلَّا يتوهموها عَلَيْهِ فِي إعجابه بالفأل الصَّالح وَلَيْسَ فِي الْإِعْجَاب بالفأل ومحبته شيء من الشّرك بل ذَلِك إبانة عَن مُقْتَضى الطبيعة وَمُوجب الْفطْرَة الإنسانية الَّتِي تميل إِلَى ما يلائمها ويوافقها مِمَّا ينفعها كَمَا أخْبرهُم أَنه حبب إِلَيْهِ من الدُّنْيَا النِّسَاء وَالطّيب ..

وَفِي بعض الْآثَار أَنه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانَ يُعجبهُ الفاغية وهى نور الْحِنَّاء وَكَانَ يحب الْحَلْوَاء وَالْعَسَل وَكَانَ يحب الشَّرَاب الْبَارِد الحلو وَيُحب حسن الصَّوْت بِالْقُرْآنِ وَالْأَذَان ويستمع إِلَيْهِ وَيُحب معالي الْأَخْلَاق وَمَكَارِم الشيم وَبِالْجُمْلَةِ يحب كل كَمَال وَخير وَمَا يُفْضِي إِلَيْهِمَا وَالله سُبْحَانَهُ قد جعل فِي

[٤٥٨] النهاية في غريب الحديث والأثر / مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى ٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي -محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية -بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. ١٢٢/٥.

غرائز النَّاس الْإِعْجَاب بِسَمَاع الاسم الْحسن ومحبته وميل نُفُوسهم إِلَيْهِ وَكَذَلِكَ جعل فِيهَا الإرتياح والاستبشار وَالسُّرُور باسم السَّلَام والفلاح والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز وَالظفر وَالْغنم وَالرِّبْح وَالطّيب ونيل الأمنية والفرح والغوث والعز والغنى وأمثالها فَإِذا قرعت هَذِه الْأَسْمَاء الأسماع استبشرت بهَا النَّفس وانشرح لَهَا الصَّدْر وقوى بهَا الْقلب وَإِذا سَمِعت أضدادها أوجب لَهَا ضد هَذِه الْحَال فأحزنها ذَلِك وأثار لَهَا خوفًا وطيرة وأنكماشا وانقباضا عَمَّا قصدت لَهُ وعزمت عَلَيْهِ فأورث لَهَا ذَلِك ضَرَرا فِي الدُّنْيَا ونقصا فِي الْإِيمَان ومقارفة للشرك). [459]

وقال الحليمي: (إنما كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال). إه [460]

- العيافة: وهي زجر الطير، أي تهييجه والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وقد كانت العرب تفعل ذلك من باب التشاؤم والتفاؤل. فإذا أرادوا فعل أمر كسفر أو تجارة أتوا إلى الغربان أو الحمام أو غيرهما فينفرونهما أو يزجرونهما فإذا طارت باتجاه اليمين تفاءلوا وأقدموا على هذا الأمر، وإذا اتجهت نحو الشمال تشاءموا وأحجموا عن هذا الأمر.
- الطرق: وهو ما يخطه الرمالون الكذابون ويدعون به علم الغيب، ويدخل في ذلك قراءة الكف والفنجان، وتحديد المستقبل من الأبراج ونحوها، وإن كان ذلك من باب التسلية، وعلى المسلم ألا يصدق هؤلاء الكذابين، فعلم الغيب مما اختص الله سبحانه بعلمه، قال تعالى: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ) (النمل ٦٥).
- وكراهة التزويج بين العيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى، هو من التشاؤم بالأيام المنهي عنه، وهو نوع من الطيرة. وقد شرع الله التزويج في جميع الأوقات، ما عدا حالة الإحرام بحج أو عمرة، ولا يدخل للأيام في نجاح التزويج أو فشله، وإنما هذا بيد الله سبحانه وتعالى.

قال الامام النووي في المنهاج - باب استحباب التزوج والتزويج في شوال، واستحباب الدخول فيه – الحديث ١٤٢٣: قَوْلُهُ (عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي شَوَّالٍ وَبَنَى بِي فِي شَوَّالٍ فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَحْظَى عِنْدَهُ مِنِّي قَالَ وَكَانَتْ عَائِشَةُ تستحب أن تدخل نسائها فِي شَوَّالٍ) فِيهِ اسْتِحْبَابُ التَّزْوِيجِ وَالتَّزَوُّجِ وَالدُّخُولِ فِي شَوَّالٍ وَقَدْ نَصَّ أَصْحَابُنَا عَلَى اسْتِحْبَابِهِ وَاسْتَدَلُّوا بِهَذَا الْحَدِيثِ وَقَصَدَتْ عَائِشَةُ بِهَذَا الْكَلَامِ رَدَّ مَا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ عَلَيْهِ وَمَا يَتَخَيَّلُهُ بَعْضُ الْعَوَامِّ الْيَوْمَ مِنْ كَرَاهَةِ التَّزَوُّجِ وَالتَّزْوِيجِ وَالدُّخُولِ فِي شَوَّالٍ وَهَذَا بَاطِلٌ لَا أَصْلَ لَهُ وَهُوَ مِنْ آثَارِ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَتَطَيَّرُونَ بِذَلِكَ لِمَا فِي اسْمِ شَوَّالٍ مِنَ الْإِشَالَةِ والرفع. إه [461]

فالتشاؤم من الزواج في شهر شوال أمر باطل؛ لأن التشاؤم عموماً من الطيرة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنها. وفي دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها في شوال ردّ لما يتوهمه بعض الناس من كراهية الدخول بين العيدين خشية المفارقة بين الزوجين، وهذا ليس بشيء.

- التفاؤل من المصحف أو التشاؤم فيه: وذلك بأن يفتح المصحف فيقرأ أول آية من الصفحة، فإذا قرأ آية فيها خير تفاؤل، وإذا قرأ آية فيها عذاب أو نحو ذلك تشاءم، وهذا لا ينبغي، وقد نهى عنه كثير من العلماء.

---

[459] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت. ٢٤٤/٢.

[460] تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد / الشيخ سليمان بن عبد الله، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية –مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الاولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م. ص٢٢٢ – ٢٢٥ و٢٣٢ -٢٣٩.

[461] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج / الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ٩ / ٢٠٩.

١٩/ في افتقار الإنسان إلى اختيار الله وتقديره

روى الامام البخاري في صحيحه - بَابُ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِاسْتِخَارَةِ / ٦٣٨٢ - عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ: (إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ - فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ).

أمرنا الله جل وعلا بالتوكل عليه وحده، والمُضِيّ فيما فيه مصلحة للإنسان، وإذا أشكل عليه شيء من أموره، أو تردد في شيء، فإنه يصلي صلاة الاستخارة، ويدعو بعدها أن يهديه الله للصواب.

ففي الحديث: بيان لحاجة العبد إلى فعل ما ينفعه في معاشه، ومعاده، وعلم ما فيه مصلحته، وتيسير الله له ما قدره له من الخير، فهو القادر سبحانه وتعالى على كل شيء، والعبد عاجز إن لم ييسر الله له ما فيه مصلحته، ولذلك أرشده النبي صلى الله عليه واله وسلم إلى طلب فضله سبحانه وتعالى وتيسيره، ثُمَّ إذا اختاره له بعلمه، وأعانه عليه بقدرته، ويسره له من فضله، فهو يحتاج إلى البقاء عليه، وثبوت هذا الفضل، ونموه، ثُمَّ إذا فعل ذلك كله فهو محتاج إلى أن يرضيه، فإنه قد يهيئ له ما يكرهه فيظل ساخطاً والخيرة فيه.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: (جماع هذا أنك إذا كنت غير عالم بمصلحتك، ولا قادر عليها، ولا مريد لها كما ينبغي، فغيرك من الناس أولى ألا يكون عالما بمصلحتك، ولا قادرًا عليها، ولا مريدا لها، والله سبحانه هو الذي يعلم ولا تعلم، ويقدر ولا تقدر، ويعطيك من فضله العظيم، كما في حديث الاستخارة). [٤٦٢]

وقال: (الاستخارة لله العليم القدير خالق الأسباب والمسببات خير من أن يأخذ الطالع فيما يريد فعله. فإن الاختيار غايته تحصيل سبب واحد من أسباب النّجح[٤٦٣] إن صح. والاستخارة أخذ للنجح من جميع طرقه فإن الله يعلم الخيرة فإما أن يشرح صدر الإنسان وييسر الأسباب أو يعسرها ويصرفه عن ذلك.) [٤٦٤]

قال ابن القيم الجوزية: (فالمقدور يكتنفه أمران، الاستخارة قبله والرضا بعده، فمن توفيق الله لعبده وإسعاده إياه أن يختار قبل وقوعه ويرضى بعد وقوعه، ومن خذلانه له أن لا يستخيره قبل وقوعه ولا يرضى به بعد وقوعه، وقال عمر بن الخطاب: (لا أبالي أصبحت على ما أحب أو على ما أكره لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره)، وقال الحسن: (لا تكرهوا النقمات الواقعة والبلايا الحادثة، فلرب أمر تكرهه فيه نجاتك ولرب أمر تؤثره فيه عطبك). [٤٦٥]

قال تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢١٦).

---

[٤٦٢] قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الله بن محمد البصيري، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ -١٩٩٧م، ص ٤٨.

[٤٦٣] قلت: أي الظفر بالشيء.

[٤٦٤] مجموع الفتاوى / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ٢٠٠/٢٥.

[٤٦٥] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، دار الفكر -بيروت، ١٣٩٨ – ١٩٧٨. ص٣٤.

وقال سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (النساء ١٩).

٢٠/ هل يصح قول: نازعت أقدار الحق بالحق للحق

سئل الشيخ ابن تيمية رحمه الله: عن قول الشيخ عبد القادر: نازعت أقدار الحق بالحق للحق.

فأجاب:

الحمد لله جميع الحوادث كائنة بقضاء الله وقدره وقد أمرنا الله سبحانه أن نزيل الشر بالخير بحسب الإمكان ونزيل الكفر بالإيمان والبدعة بالسنة والمعصية بالطاعة من أنفسنا ومن عندنا فكل من كفر أو فسق أو عصى فعليه أن يتوب وإن كان ذلك بقدر الله وعليه أن يأمر غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر بحسب الإمكان ويجاهد في سبيل الله. وإن كان ما يعمله من المنكر والكفر والفسوق والعصيان بقدر الله ليس للإنسان أن يدع السعي فيما ينفعه الله به متكلا على القدر بل يفعل ما أمر الله ورسوله كما روى مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان). فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يحرص على ما ينفعه والذي ينفعه يحتاج إلى منازعة شياطين الإنس والجن ودفع ما قدر من الشر بما قدره الله من الخير. وعليه مع ذلك أن يستعين بالله فإنه لا حول ولا قوة إلا به وأن يكون عمله خالصا لله؛ فإن الله لا يقبل من العمل إلا ما أريد به وجهه وهذا حقيقة قولك: (إياك نعبد) والذي قبله حقيقة (وإياك نستعين) فعليه أن يعبد الله بفعل المأمور وترك المحظور وأن يكون مستعينا بالله على ذلك، وفي عبادة الله وطاعته فيما أمر إزالة ما قدر من الشر بما قدر من الخير ودفع ما يريده الشيطان ويسعى فيه من الشر قبل أن يصل بما يدفعه الله به من الخير. قال الله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) (البقرة ٢٥١)، كما يدفع شر الكفار والفجار الذي في نفوسهم والذي سعوا فيه بالحق كإعداد القوة ورباط الخيل وكالدعاء والصدقة الذين يدفعان البلاء كما جاء في الحديث: (إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض)،[٤٦٦] فالشر تارة يكون قد انعقد سببه وخيف فيدفع وصوله فيدفع الكفار إذا قصدوا بلاد الإسلام وتارة يكون قد وجد فيزال وتبدل السيئات بالحسنات وكل هذا من باب دفع ما قدر من الشر بما قدر من الخير وهذا واجب تارة ومستحب تارة. فالذي ذكره الشيخ رحمه الله هو الذي أمر الله به ورسوله.[٤٦٧]

٢١/ هل يصح قول: أبرأ من الحول والقوة إلا إليه

سئل الشيخ ابن تيمية رحمه الله: عن قول الخطيب بن نباتة أبرأ من الحول والقوة إلا إليه؛ فأنكر بعض الناس عليه وقال ما يصح ذلك إلا بحذف الاستثناء بأن تقول أبرأ من الحول والقوة إليه فاستدل من نصر قول الخطيب بقوله تعالى: (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ) (الزخرف ٢٦ -٢٧) فهل أصاب المنكر أم لا؟ .

فأجاب:

ما ذكر الخطيب صحيح باعتبار المعنى الذي قصده وما ذكره الآخر من حذف الاستثناء له معنى آخر صحيح؛ فإنه إذا قال برئت من الحول والقوة إليه كان المعنى برئت إليه من حولي وقوتي: أي من دعوى حولي وقوتي كما يقال: برئت إلى فلان من الدين ذكره ثعلب في فصيحه والمعنى برئت إليه من هذا ومنه قوله تعالى: (وَيَوْمَ

---

[٤٦٦] (لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)، رواه الحاكم عن عائشة. حكم الشيخ الألباني: حسن، انظر حديث رقم ٧٧٣٩ في صحيح الجامع.

[٤٦٧] مجموع الفتاوى/ شيخ الاسلام ابن تيمية، ٥٤٧/٨ – ٥٤٨.

يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ) (القصص ٦٢ - ٦٣))، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)، [٤٦٨] وقول الأنصاري يوم أحد: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع هؤلاء)، يعني المشركين.[٤٦٩]

وهذا الصنيع يتضمن نفي الدين: المعنى أوصلته إليه وفي غيره اعتذرت إليه أو ألقيت إليه وضمن معنى ألقيت إليه البراءة كما يقال: ألقى إليه القول (فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ۞ وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ) (النحل ٨٦ -٨٧)، ومنه قوله تعالى:(وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) (النساء ١٧١) فالتبري قول يلقى إلى المخاطب فعلى هذا يكون الجار والمجرور متعلقا بالبراءة.

والخطيب لم يرد هذا المعنى بل أراد أنه بريء من أن يلجئ ظهره إلا إلى الله ويفوض أمره إلا إلى الله ويتوجه في أمره إلا إلى الله ويرغب في أمره إلا إلى الله. قال النبي صلى الله عليه وسلم للبراء بن عازب: (إذا أويت إلى مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم قل: اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك)، [٤٧٠] فمعنى قوله: وأبرأ من الحول والقوة إلا إليه. أبرأ من أن أثبت لغيره حولا وقوة ألتجئ إليه لأجل ذلك والمعنى لا أتوكل إلا عليه ولا أعتمد إلا عليه.

وهنا معنى ثالث: وهو أن يقال: أبرأ من الحول والقوة إلا به أي أبرأ من أن أتبرأ وأعتقد وأدعي حولا أو قوة إلا به فإنه لا حول ولا قوة إلا به وهذا معنى صحيح لكن الخطيب قصد المعنى الأوسط الذي يدل لفظه عليه فإنه من له حول وقوة يلجأ إليه ويستند إليه فضمن معنى الحول والقوة معنى الالتجاء فصار التقدير أبرأ من الالتجاء إلا إليه وعلى هذا الحال فالجار والمجرور متعلق بمعنى الالتجاء الذي دل عليه لفظ الحول والقوة لا معنى أبرأ ولما ظن المنكر على الخطيب أن الجار والمجرور متعلق بلفظ أبرأ أنكر الاستثناء ولو أراد الخطيب هذا لكان حذف حرف الاستثناء هو الواجب لكن لم يرده بل أراد ما لا يصح إلا مع الاستثناء والاستثناء مفرغ فرغ ما قبل الاستثناء لما بعده والمفرغ يكون من غير الموجب لفظا أو معنى.

ولفظ (البراءة) وإن كان مثبتا ففيه معنى السلب فهو كقوله: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۞ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) (المؤمنون ٥ - ٦)، فالحفظ لفظ مثبت لكن تضمن معنى ما سوى المذكور فالتقدير لا

---

[٤٦٨] روى ابن حبان في صحيحه ٤٧٢٩ - عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى جَذِيمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا: أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا وَجَعَلَ خَالِدٌ يأخُذُهُمْ أَسْرًا وَقَتْلًا وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرًا حَتَّى كَانَ يَوْمًا قَالَ خَالِدٌ ليقتلْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ أَسِيرَهُ فَقَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذُكِرَ لَهُ صنيعُ خَالِدٍ؟ فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْهِ وَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ).
تعليق الشيخ الألباني: صحيح: ورواه البخاري ٤٣٣٩.
قلت: ورواه النسائي في السنن ٥٤٠٥.

[٤٦٩] صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الالباني/ ١٣٥٨ -(صحيح)
وعن أنس رضي الله عنه قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون فقال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله أصنع ما صنع. قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه فقال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) (الأحزاب ٣٢) إلى آخر الآية. رواه البخاري واللفظ له ومسلم والنسائي.

[٤٧٠] روى ابن حبان في صحيحه ٥٥٠٢ - أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْبَرَاءَ، يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم أَمَرَ رَجُلًا إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ - وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: أَوْصَى رَجُلًا - أَنْ يَقُولَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، وفوَّضت أَمْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إليك، لا ملجأ ولا منجى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مَاتَ؛ مَاتَ عَلَى الفطرة).
تعليق الشيخ الألباني: صحيح - الصحيحة:٢٨٨٩، ورواه الشيخان.

يكشفونها إلا على أزواجهم وكذلك لفظ البراءة وقول الخليل: (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) (الزخرف ٢٦ - ٢٧) استثناء تام ذكر فيه المستثنى منه لكنه يدل على أنه تبرأ من شيء لا من لا شيء والمطابق له أن يقال برئت من الحول والقوة إلى كل شيء إلا إليه. لكن المستدل بالآية أخذ قدرا مشتركا وهو التبري مما سوى الله وهذا المعنى الذي قصده المستدل بالآية معنى صحيح باعتبار دلالته على التوحيد وهو البراءة مما سوى الله وقد ذكر الله هذا المعنى في مواضع. كقوله تعالى: (قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ) (الممتحنة ٤)، وهذا يناسب مقصود الخطيب.

فإن مقصوده أن يتبرأ مما سوى الله ليس مقصوده أن يتبرأ إليه لكن الخطيب قصد البراءة من الالتجاء إلا إليه والالتجاء إليه داخل في عبادته فهو بعض ما دل عليه قول إبراهيم فإن الواجب أن يتبرءوا من أن يعبدوا إلا الله أو يتوكلوا إلا عليه وهذا تحقيق التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب لكن الإنسان قد يكون مقصوده إخلاص العبادة في مسألته ودعائه والتوكل عليه والالتجاء إليه؛ وهذا هو المعنى الذي قصده الخطيب وهو معنى صحيح يدل عليه لفظه بحقائق دلالات الألفاظ والمنكر قصد معنى صحيحا؛ والمستدل قصد معنى صحيحا لكن الإنسان لا ينوي كثيرا من نفي ما لا يعلم إلا من إثبات ما يعلم، والله سبحانه وتعالى أعلم.[٤٧١]

٢٢/ اقوال لا تصح

- قول الإنسان: من سخرية القدر أو من سذاجه القدر، منكر من القول، بل كفر وضلال واستهزاء بقدر الله سبحانه وتعالى، أما قول بعض الناس: شاءت الأقدار أو: شاء القدر أو: شاءت إرادة الله أو: عناية الله، كلام لا يجوز، وفيه سوء تعبير، والصواب أن يقال: شاء الله سبحانه أو: شاء ربنا سبحانه، أو نحو ذلك من العبارات التي فيها إسناد المشيئة لله لا إلى صفاته.[٤٧٢]
- قول شاء الحظ التعيس، لا يجوز أن يقول: شاء الحظ، ولا شاءت قدرة الله، ولا شاءت إرادة الله، يقول: شاء الله سبحانه، شاء الله كذا، شاء ربي كذا، شاء الرحمن كذا، ولا يقول: شاء الحظ، أو شاءت إرادة الله، أو شاءت الظروف، كل هذا لا يجوز.[٤٧٣]
- سب الإنسان الحظ والبخت، لا يجوز سب الحظ، وكذا البخت لا يجوز سبه، فهذا قدر الله وما شاء فعل، يسأل ربه التوفيق والإعانة، وأن يسهل أموره، ويقضي حاجاته، ولا يسب حظه ولا بخته.
السب ممنوع، لا يسب الإنسان زمانه، ولا حظه وبخته ولا مكانه، ولكن يستغفر الله، ويسأل ربه التوفيق، ويتوب إلى الله من معاصيه وما أصابه فقد يكون بذنب، يجب عليه التوبة إلى الله منه مثل ما قال الله جل وعلا: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ) (الشورى ٣٠)، وقال سبحانه: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) (النساء ٧٩) المقصود أن المؤمن والمؤمنة، عليهما أن يتوبا إلى الله دائما وأن يحاسبا أنفسهما، وأن يحذرا المعصية من سب أو غيره.[٤٧٤]
- الدعاء بـ: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه:
فهذا الدعاء يجري كثيراً على الألسنة، وهو دعاء لا ينبغي؛ لأنه شرع لنا أن نسأل الله ردَّ القضاء إذا كان فيه سوءٌ.

---

[٤٧١] مجموع الفتاوى/ شيخ الاسلام ابن تيمية، ٥٥١/٨ – ٥٥٤.

[٤٧٢] من فتاوى الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى ١٤٢٠هـ)، نشرت في نشرة رابطة العالم الإسلامي في ١٣ -١٩ رجب عام ١٤١٩ هـ.

[٤٧٣] فتاوى نور على الدرب لفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى ١٤٢٠هـ) / جمعها الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ، ٢٥٣/٤.

[٤٧٤] نفس المصدر السابق ٤٢٩/٤.

ولهذا بوَّب الإمام البخاري رحمه الله باباً في صحيحه قال فيه: باب من تعوذ بالله من درك الشقاء، وسوء القضاء، وقوله تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) (الفلق ١و٢).
ثم ساق قول النبي صلى الله عليه وسلم: (تعوذوا بالله من جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء).[٤٧٥]

فهذا الدعاء فيه نظر؛ ولماذا لا يسأل الله رد القضاء؟ وقد وعد الله عز وجل برد القضاء كما جاء في الحديث (لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة)[٤٧٦]. وينبغي أن ينسجم الدعاء مع أصول الشرع.

- قول القائل: ما شاء الله وشئت

عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فراجعه في بعض الكلام، فقال: ما شاء الله وشئت! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أجعلتني مع الله عدلاً (وفي لفظ: ندا ؟!)، لا، بل ما شاء الله وحده). [٤٧٧]

قال الشيخ الالباني في الصحيحة (٢٦٦/١)، الحديث ١٣٩: (وهو من شرك الألفاظ، لأنه يوهم أن مشيئة العبد في درجة مشيئة الرب سبحانه وتعالى، وسببه القرن بين المشيئتين، ومثل ذلك قول بعض العامة وأشباههم ممن يدعى العلم: ما لي غير الله وأنت، وتوكلنا على الله وعليك، ومثله قول بعض المحاضرين: (باسم الله والوطن)، أو (باسم الله والشعب) ونحو ذلك من الألفاظ الشركية، التي يجب الانتهاء عنها والتوبة منها، أدباً مع الله تبارك وتعالى.

- الاعتراض على الأقدار: فما أكثر الاعتراض على الأقدار، وما أقل المسلِّمين لله فيها. ومن صور الاعتراض على الأقدار قول بعضهم إذا أصيب بمصيبة: ماذا فعلتُ يا ربي؟ أو أنا لا أستحق ذلك! وكذلك ما يقال إذا أصيب شخص بمصيبة: فلان مسكين لا يستحق ما جرى له، لقد ظلمته الأقدار، وجارت في حقه، وقست عليه!

فمثل تلك الأقوال مما يكثر على الألسنة، وذلك من الاعتراض على قدر الله، ومن الجهل بحكمته عز وجل فلا يجوز إطلاقها؛ لأن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وله الحكمة البالغة في شرعه، وخلقه، وفعله (لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (الأنبياء ٢٣). [٤٧٨]

- قول الشاعر:

إذا الشعب يوما اراد الحياة   فلا بد أن يستجيب القدر

جعل الشاعر إرادة الله سبحانه تبعاً لإرادة الشعب التي لا يمكن أن تتخلف، ولا يمكن للخالق أن يردها. إن الله تعالى فعال لما يريد ويحكم بما يريد، ولا مُكره له على شيء لا يريده، وإرادته تعالى غير مقرونة بأي إرادة أو قدرة، سبحانه وتعالى عما يصفون.

- قول البعض في الحوادث: بسبب ام قضاء وقدر

وهذا خطأ لان جميع الحوادث تقع بقضاء الله تعالى وقدره، سواء بسبب او بغير سبب.

- قول بعضهم عند التعزية: البقية في حياتك: فمن الناس من إذا أراد التعزية في الميت قال: البقية في حياتك، أو ما شابه ذلك. وهذا خطأ؛ فأي بقية بقيت، والله عز وجل يقول: (فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ) (الأعراف ٣٤). فالميت يموت وقد استوفى أجله تماماً، ولم يتقدم ولم يتأخر فأين

[٤٧٥] رواه الامام البخاري – كتاب القدر.

[٤٧٦] رواه الحاكم في المستدرك وحسنه الالباني انظر حديث رقم: ٧٧٣٩ في صحيح الجامع.

[٤٧٧] اسناده حسن، قال الشيخ الالباني في الصحيحة ٢٦٦/١: أخرجه البخاري في " الأدب المفرد " (٧٨٧) وابن ماجه (٢١١٧) والطحاوي في " المشكل " (١ / ٩٠) والبيهقي (٣ / ٢١٧) وأحمد (١ / ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧) والطبراني في " الكبير " (٣ / ١٨٦ / ١) وأبو نعيم في " الحلية " (٤ / ٩٩) والخطيب في " التاريخ " (٨ / ١٠٥) وابن عساكر (١٢ / ٧ / ٢).

[٤٧٨] كتاب الايمان بالقضاء والقدر / الباحث محمد بن ابراهيم الحمد، دار الوطن، الرياض -المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ. ص١٥٤ – ١٥٥.

تلك البقية ؟!. ثم إن في ذلك مخالفةً للسنَّة في التعزية، فالسنة أن يقال: لله ما أخذ ولله ما أعطى، أو أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك، وغفر لميتك، وهكذا. [479]

- قول: أطال الله تعالى بقاءك، كره أهل العلم أن تقول للشخص: أطال الله بقاءك، لأن طول البقاء لا يعلم، فقد يكون خيرا، وقد يكون شرا، ولكن يقال: أطال الله بقاءك على طاعته وما أشبه ذلك حتى يكون الدعاء خيرا بكل حال.

٢٣/ البرمجة العصبية [480] تتعارض مع الإيمان بالقضاء والقدر

(البرمجة العصبية - كما عرفها القائلون بها – هي: مجموعة طرق وأساليب تعتمد على مبادئ نفسية لحل بعض الأزمات النفسية ومساعدة الأشخاص على تحقيق نجاحات أفضل في حياتهم.
والبرمجة العصبية (أو قانون الجذب) على اختلاف أنواعها هي مما يمتزج فيه الشرك بالوثنية من الفلسفات القديمة في الصين والهند؛ فهي بذلك ذات جذورٍ فلسفيةٍ شرقيةٍ قديمة تعتمد على فكرٍ فلسفيٍ ماديٍ يقوم على كثيرٍ من المغالطات التي تُعظم شأن الإنسان، وتعمل على تضخيم قدراته العقلية بصورةٍ مُبالغٍ فيها. وقد تصل إلى إعطاء الإنسان قدرات حتمية يمكنه من خلالها تحقيق النجاح في كل شأنه متى ما عرف ما يُسمى بوصفة النجاح التي يُمكنه من خلالها تحقيق كل ما يريد من أهداف ومقاصد، مهما كانت عظيمة أو مستحيلة، اعتماداً على تلك القُدرات المزعومة التي يأتي من أبرزها عندهم ما يُسمى بالقوة المعجزة والفاعلة للعقل الباطن الذي يجعل منه أصحاب هذه البرامج ركيزة أساسية تصنع المعجزات، وتُحقق المستحيل في حياة الإنسان.
وإذا تقرر هذا علمنا أن قانون الجذب لا يتعارض مع التوكل على الله، وإنما يتعارض مع الإيمان بالقضاء والقدر الذي هو أصل من أصول الإيمان، وركن من أركانه لا يتم إيمان المرء إلا به، والله أعلم.) [481]
وقال الشيخ محمد النجدي: (وقد حذر العلماء من هذا ومن أمثاله من العلوم الغريبة والضارة، ونبهوا على وجوب مخالفة أصحاب الجحيم، بل ومن قبلهم رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أخبر بقوله: (إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار) [482]رواه أهل السنن.
وقوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟). رواه البخاري وغيره.[483]

---

[479] المصدر السابق ص ١٦٦.

[480] ويسمى بعلم الطاقة الكونية، Neuro Linguistique programming واختصاراً NLP؛ أي البرمجة اللغوية العصبية وهي تشير إلى علاقة وثيقة بين اللغة والأعصاب. ولعل هذه التسمية، مع أنها لا توافق لمحتواها تشير إلى مؤسسها د.جون غرندر (عالم اللسانيات) الذي استفاد من أبحاث تشومسكي وشاركه في تأسيسها ريتشارد باندلر ووضعا فيها أفكاراً من اللسانيات وعلم إدارة الأعمال، حيث يحدد الهدف ويرسم الاستراتيجيات اللازمة لبلوغه ومعاودة الكرة....... وعلم النفس السلوكي وتمارين التخيل واليوغا والتنويم الإيحائي والاسترخاء في قالب منطقي له فرضياته وموازينه.
ويعتبر إبراهيم الفقي أول من أدخله إلى الوطن العربي و د. محمد التكريتي أول من أدخله إلى سورية.

[481] فتاوى الشبكة الإسلامية / لجنة الفتوى بالشبكة الإسلامية – رقم الفتوى ١٠٣٤٥٥، تاريخ الفتوى ٠٦ محرم ١٤٢٩، وانظر الرابط: http://www.islamweb.net. وانظر فتوى في المسألة على الرابط:
http://www.islamway.com/?iw_s=Article&iw_a=view&article_id=1411

[482] قلت: الحديث (أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار أتتكم الساعة بغتة بعثت أنا والساعة هكذا صبحتكم الساعة ومستكم أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا أو ضياعا فإلي وعلي وأنا ولي المؤمنين.) رواه الامام احمد في المسند والامام مسلم والنسائي وابن ماجة عن جابر، تحقيق الألباني: صحيح. وانظر الحديث رقم /١٣٥٣ في صحيح الجامع.

[483] قلت: رواه الامام البخاري / باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن من كان قبلكم) رقم /٧٣٢٠ونصه: عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبرا شبرا وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم)، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن). وعند الامام مسلم / باب اتباع سنن اليهود والنصارى رقم

فمصدر معارف المسلم والمسلمة: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما لا يخالفهما من المعارف والعلوم.
وقبله قد قال المولى الكريم: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً) (المائدة ٣). وقال: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (آل عمران ٨٥).
فأكمل الله تعالى الدين، وتم بلاغ خاتم النبيين، فما ترك خيرا إلا ودلنا عليه، ولا شرا إلا وحذرنا منه، كما قال صلى الله عليه وسلم. والله سبحانه أعلم.)[٤٨٤]

هل (الجسم الأثيري) له أصل في الشرع، أم أنه مجرد توقعات، أو سحر وخزعبلات؟

(بالنسبة للجسم الأثيري فهو:
أولاً: قول مبني على نظرية قديمة، تفترض وجود مادة (الأثير)، وهي مادة مطلقة قوية غير مرئية! تملأ الفراغ في الكون، سمَّاها أرسطو (العنصر الخامس) وعدّها عنصراً سامِيًا شريفًا ثابتًا غير قابل للتغيير والفساد، وقد أثبت العلم الحديث عدم وجود الأثير، ولكن الفلسفات القديمة المتعلقة بالأثير بقيت كما في الفلسفات المتعلقة بالعناصر الخمسة أو الأربعة.
ثانياً: قول تروج له حديثاً التطبيقات الاستشفائية والتدريبية المستمدة من الفلسفة الشرقية، ومع أن التراث المعرفي المستمد من الوحي المعصوم بيّنٌ أوضح البيان، وغنيٌّ كل الغنى بأصول ما يعرّف الإنسان بنفسه وقواه الظاهرة والخفيَّة إلا أن عقدة المفتونين بالعقل، والمهووسين بالغرب والشرق من المسلمين جعلتهم يلتمسون ذلك فيما شاع هناك باسم (الأبحاث الروحية)، فنظروا إليها على أنها حقائق علمية، أو خلاصة حضارة شرقية عريقة، وأعطوا لأباطيلها وتخرصات أهلها ما لم يعطوا لمحكمات الكتاب وقواطع السنَّة، ومن ذلك القول بتعدُّد أجساد الإنسان، وقد يسمونها (الأبعاد) أو (الطاقات)؛ للقطع بأنها اكتشافات علميّة، وهذا القول حقيقته بعث لفلسفة الأجساد السبعة المعروفة في الأديان الشرقيَّة، ومفادها أنّ النفس الإنسانيّة تتكوَّن من عدَّة أجساد - اختلفوا في عدِّها ما بين الخمسة إلى التسعة بحسب وجهات نظر فلسفيّة تتعلّق بمعتقدهم في ألوهية الكواكب أو المؤثرات الخارجية - والمتَّفق عليه من هذه الأجساد الجسم البدنيّ أو الأرضيّ، والجسم العاطفيّ، والجسم العقليّ، والجسم الحيويّ، والجسم الأثيريّ، فالجسم البدنيّ هو الظاهر الذي نتعامل معه، وتنعكس عليه حالات الأجساد الأخرى، والجسم الأثيري هو أهم هذه الأجساد، وأساس حياتها، وهو منبع صحة الإنسان، وروحانيته، وسعادته!.
وقد سرى هذا المعتقد في أوساط المسلمين بعد أن عُرض على أنه كشف علمي عبر التطبيقات الشرقية المروجة على شكل دورات تدريبية، أو تمارين استشفائية مفتوحة لعامة الناس، بعد أن كان هذا المعتقد غامضًا محصورًا في حُجَر تحضير الأرواح! عند خبراء حركة الروحية الحديثة.
فالاعتقاد بالجسم الأثيريّ كالاعتقاد بالعقل الباطن وقوى النفس، إنما شاع ذكره عند من غفل عن حقائق الغيب، ورام الوصول إليها من غير طريق الرُّسُل، فأصل هذه المعتقدات مأخوذ من التراث المنقول في الديانات الوثنيّة الشرقيّة، والمعتقدات السرِّية الباطنيّة، وكلّ تطبيقاتها الرياضيّة والعلاجيّة الحديثة تدعو إلى تطوير قوى هذا الجسد لتنمية الجنس البشريّ حيث يصبح بإمكان الإنسان في المستقبل فعل ما كان يُعدّ خارقة في العصور الماضية، كأن يصبح صاحب لمسة علاجيّة، أو قدرة على التنبُّؤ، أو التأثير عن بُعد، وغير ذلك، دون أن يكون

=
٢٦٦٩ونصه: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم) قلنا: يا رسول الله آليهود والنصارى؟ قال: (فمن).
[٤٨٤] حكم الشرع في علم الطاقة / الشيخ محمد النجدي، وانظر الرابط:
.http://www.alfowz.com/index.php?opti...d=137&Itemid=2
وانظر: حكم العلاج بالطاقة / مركز الفتوى بالشبكة الإسلامية على الرابط:
http://www.alfowz.com/index.php?opti...id=72&Itemid=2

متنبِّيًا أو كاهنًا ومن ثم لا يحتاج لأيِّ مصدر خارج عن نفسه ! ويستغني عن فكرة الدين، أو معتقد الألوهية - عياذاً بالله -).[٤٨٥]

اهمال البرمجة اللغوية العصبية جانب اتصال العبد بربه عز وجل

قلت: أن واضعي هذا العلم قد أهملوا جانب اتصال العبد بربه عز وجل، والإيمان بالله تعالى وبقدرته وبقضائه وقدره، لذا فإنهم ينظرون إلى الأحداث نظرة مادية مجردة، أو بمعنى آخر النظر إلى الأسباب دون النظر إلى المسبِّب. وإن كان في هذا العلم من الحق ففي القرآن والسنة وأخبار الصحابة ما يغني عنه بمراحل كبيرة، وأما ما زاد على ذلك فهو من ميراث الفلاسفة وعلومهم (مما لا يحتاجه العاقل ولا ينتفع به الجاهل) ومن آثار عقائد القدرية.

(قال النبي صلى الله عليه وسلم: (احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ ولا تَعْجز، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لو أَنِّي فَعَلْتُ كان كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وما شَاءَ فَعَلَ فإن لو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) رواه مسلم.[٤٨٦]

قال ابن القيم رحمه الله: (فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله، وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أزمة الأمور بيده ومصدرها منه ومردها إليه. فإن فاته ما لم يقدر له فله حالتان: حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى (لو) ولا فائدة في (لو) ههنا، بل هي مفتاح اللوم والجزع والسخط والأسف والحزن، وذلك كله من عمل الشيطان، فنهاه صلى الله عليه وسلم عن افتتاح عمله بهذا المفتاح، وأمره بالحالة الثانية، وهي النظر إلى القدر وملاحظته، وأنه لو قدر له لم يفته، ولم يغلبه عليه أحد فلم يبق له ههنا أنفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي توجب وجود المقدور، وإذا انتفت امتنع وجوده).[٤٨٧]

وهذا كله يبين خطأ ما هو مقرر فيما يسمى بالبرمجة اللغوية العصبية في إحدى قواعده الرئيسة وهي: (إذا كان أي إنسان قادرا على فعل شيء فمن الممكن لأي إنسان آخر أن يتعلمه ويفعله باتباع نفس الطريقة والخطوات حتى تحصل على نفس النتائج التي حصل عليها).[٤٨٨]

وهذا الكلام بهذا الإطلاق باطل يرده الواقع، فكم من ناس فعلوا مثلما فعل غيرهم من الناجحين فلم ينجحوا مثلهم، ولم يحصلوا على مرادهم، وشواهد هذا لا حصر لها في كافة الميادين.

وهذه القاعدة من قواعد البرمجة العصبية موافقة لكلام أهل الضلال من المبتدعة الذين يغالون في إثبات الأسباب، ويعتقدون استقلالها في التأثير. قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: (اعتقاد تأثير الأسباب على الاستقلال دخول في الضلال).[٤٨٩]

وقال ابن القيم في بيان قول بعض العلماء بأن الالتفات إلى الأسباب شرك قال: (فالشرك أن يعتمد عليها ويطمئن إليها، ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود، فهو معرض عن المسبب لها، ويجعل نظره والتفاته مقصورا عليها). [٤٩٠]

---

[٤٨٥] الدكتورة فوز كردي - حفظها الله - وهي من أوائل من تنبه لطاغوت البرمجة العصبية وأخواتها، ولها ردود منتشرة عليهم، بل حازت على رسالتي الماجستير والدكتوراه في العقيدة وضمنتهما الرد على تلك البرامج والادعات والعلاجات. وانظر السؤال والجواب في: القسم العربي من موقع (الإسلام سؤال وجواب) / الموقع بإشراف الشيخ محمد صالح المنجد حفظه الله، رقم الفتوى ١١٨٢٩٢، وانظر الرابط:

http://www.alfowz.com/index.php?option=com_content&task=view&id=135&Itemid=2.

[٤٨٦] قلت: رواه الامام احمد في المسند والامام مسلم وابن ماجةعن أبي هريرة. تحقيق الألباني: (حسن)، وانظر الحديث رقم ٦٦٥٠/ في صحيح الجامع.

[٤٨٧] شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار المعرفة، بيروت – لبنان، الطبعة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص١٩.

[٤٨٨] قلت: النص من (البرمجة اللغوية لناصر العبيد /٩). كما جاء في المقال.

[٤٨٩] مجموع الفتاوى / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية -المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٨/ ٣٩٢.

وقال الإمام ابن تيمية: (فالأسباب التي من العباد بل ومن غيرهم ليست موجِبات لا لأمر الدنيا ولا لأمر الآخرة بل قد يكون لا بد منها ومن أمور أخرى من فضل الله ورحمته خارجة عن قدرة العبد، وما ثَمَّ موجِبٌ إلا مشيئة الله، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وكل ذلك قد بينه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معروف عند مَنْ نَوَّرَ الله بصيرته). [491]

وقال أيضا: (ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبَّب فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيا في حصول النبات بل لابد من ريح مربية بإذن الله، ولابد من صرف الانتفاء عنه فلابد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، وكذلك الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء في الفرج، بل كم من أنزل ولم يولد له بل لا بد من أن الله شاء خلقه فتحبل المرأة وتربيه في الرحم وسائر ما يتم به خلقه من الشروط وزوال الموانع)[492]. [493]

=

[490] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م. ٤٦٢/٣.

[491] الاستقامة / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود -المدينة المنورة، الطبعة الأولى -١٤٠٣هـ، ١٧٦/١.

[492] مجموع الفتاوى / شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى ٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية -المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٧٠/٨.

[493] تعليقات بسام على كتاب (استمتع بحياتك) للدكتور محمد العريفي / كتبها الدكتور بسام الغانم العطاوي - أستاذ السنة وعلومها في جامعة الملك فيصل في الدمام. نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة – الاصدار ٣,٤٨.

الفصل الثالث
ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر [٤٩٤]

ثمرات الايمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح يثمر ثمراتٍ جليلة، وأخلاقاً جميلة، وعبودياتٍ متنوعةٍ، يعود أثرها على الفرد والجماعة في الدنيا والآخرة.

منها ثمرات إيمانية عقدية تعود على إيمان العبد بالزيادة، وعلى عقيدته بالثبات، ومنها ثمرات أخلاقية تعود على المؤمن به بحسن الخلق، وطيب النفس، وحسن المعشر، ولين العريكة، وتكسبه عند الله شكوراً، وتزداد بها صحيفة أعماله نوراً، ومنها ثمرات نفسية جميلة تعود على صاحبها بالراحة، والطمأنينة والسكينة، وتُضفي عليه أمناً، وهدوءَ بال.

ومن هذه الثمرات:

١/أنه من تمام الإيمان ولا يتم الإيمان إلا بذلك.

٢/أنه من تمام الإيمان بالربوبية لأنه قدر الله من أفعاله.

٣/ رد الإنسان أموره إلى ربه لأنه إذا علم أن كل شيء بقضائه وقدره فإنه سيرجع إلى الله في دفع الضراء ورفعها ويضيف السراء إلى الله ويعرف أنها من فضل الله عليه.

٤/إضافة النعم إلى مسديها، لأنك إذا لم تؤمن بالقدر، أضفت النعم إلى من باشر الإنعام، وهذا يوجد كثيراً في الذين يتزلقون إلى الملوك والأمراء والوزراء، فإذا أصابوا منهم ما يريدون، جعلوا الفضل إليهم، ونسوا فضل الخالق سبحانه.

٥/ أداء عبادة الله عز وجل.

فالقدر مما تعبدنا الله سبحانه وتعالى به.

٦/ الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك:

فالمجوس زعموا: أن النور خالق الخير، والظلمة خالقة الشر، والقدرية قالوا: إن الله لم يخلق أفعال العباد، فهم أثبتوا خالقين مع الله وهذا شرك، والإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد لله.

٧/ الشجاعة والإقدام:

فالذي يؤمن بالقدر يعلم أنه لن يموت إلا إذا جاء أجله، وأنه لن يناله إلا ما كتب له، فيقدم غير هياب ولا مبال بما يناله من الأذى والمصائب في سبيل الله، لأنه يستمد قوته من الله العلي القدير الذي يؤمن به ويتوكل عليه، ويعتقد أنه معه حيثما كان، والتوكل على الله معنى حافز وشحنة نفسية موجهه تغمر المؤمن بقوة المقاومة وتملؤه بروح الإصرار والتحدي وتقوي من عزيمته.

٨/قوة الإيمان:

فالذي يؤمن بالقدر يقوى إيمانه، فلا يتخلى عنه ولا يتزعزع أو يتضعضع مهما ناله في ذلك السبيل.

٩/الصبر والاحتساب ومواجهة الأخطار والصعاب:

فالذي لا يؤمنون بالقدر ربما يؤدي الجزع ببعضهم بالله وبعضهم يجن، وبعضهم يصبح موسوساً.

١٠/ الهداية:

كما في قوله تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (التغابن ١١).

---

[٤٩٤] قلت: مصدر هذا الفصل من: ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر / نسخة الكترونية http://www.alagidah.com وكتاب الايمان بالقضاء والقدر، ص ٣١ – ٤٤.دار الوطن -المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ / كلاهما للباحث محمد بن إبراهيم الحمد. مع إضافة تخريج للأحاديث الواردة في أصل البحث ضمن الحواشي، فاقتضى التنبيه.

وقال علقمه: هو الرجل تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من قبل الله فيسلم ويرضى.
١١/ الكرم:
الذي يؤمن بالقدر وأن الفقر والغنى بيد الله وأنه لا يفتقر إلا إذا قدر الله له ذلك، فإنه ينفق ولا يبالي.
١٢/التوكل واليقين والاستسلام لله، والاعتماد عليه:
كما في قوله تعالى: (قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) (التوبة ٥١).
١٣/الإخلاص:
فالذي يؤمن بالقدر لا يعمل لأجل الناس، لعلمه أنهم لن ينفعوه إلا بما كتبه الله له.
١٤/إحسان الظن بالله وقوة الرجاء:
فالمؤمن بالقدر حسنُ الظن بالله، قوي الرجاء به في كل أحواله.
١٥/ الخوف من الله والحذر من سوء الخاتمة:
فالمؤمن بالقدر دائماً على خوف من الله، وحذر من سوء الخاتمة، إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، فلا يغتر بعمله مهما كثر، فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها حيث يشاء، [٤٩٥] والخواتيم علمها عند الله سبحانه وتعالى.
١٦/ الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات، وتزرع الأحقاد بينها، وذلك مثل رذيلة الحسد فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضه، لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، فأعطى من شاء، ومنع من شاء ابتلاءً وامتحاناً منه، وإنه حين يحسد غيره إنما يعترض على القدر.
١٧/تحرير العقل من الخرافات والأباطيل:
فمن بديهيات الإيمان بالقدر، الإيمان بأن ما جرى وما يجري وما سيجري في هذا الكون إنما هو بقدر الله، وأن قدر الله سر مكتوم، لا يعلمه إلا هو، ولا يطلع عليه أحد إلا من ارتضى من رسول.
ومن هذا المنطلق تجد أن المؤمن بالقدر حقيقة لا يعتمد على الدجالين والمشعوذين، ولا يذهب إلى الكهان والمنجمين والعرافين، فلا يصدق أقوالهم، ويعيش سالما من زيف هذه الأقاويل، متحرراً من جميع تلك الخرافات والأباطيل.
١٨/التواضع:
فالمؤمن بالقدر إذا رزقه الله مالاً، أو جاهاً أو علماً أو غير ذلك تواضع لله، علمه أن هذا من الله وبقدر الله، ولو شاء لانتزعه منه، إنه على كل شيء قدير.
١٩/ السلامة من الاعتراض على أحكام الله الشرعية وأقداره الكونية، والتسليم له في ذلك كله.
٢٠/ الجد والحزم في الأمور والحرص على كل خير ديني أو دنيوي: فإن الإيمان بالقضاء والقدر يوفر الإنتاج والثراء؛ لأن المؤمن إذا علم أن الناس لا يضرونه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، ولا ينفعونه إلا بشيء قد كتبه الله له؛ فإنه لن يتواكل، ولا يهاب المخلوقين، ولا يعتمد عليهم، وإنما يتوكل على الله، ويمضي في طريق الكسب، وإذا أصيب بنكسة، ولم يتوفر له مطلوبه؛ فإن ذلك لا يثنيه عن مواصلة الجهود، ولا يقطع منه باب الأمل، ولا يقول: لو أنني فعلت كذا؛ كان كذا وكذا! ولكنه يقول: قدر الله وما شاء فعل، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا

---

[٤٩٥] قلت: جاء في السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني -١٦٨٩ – (إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء. ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك). رواه مسلم (٨ / ٥١) وأحمد (٢ / ١٦٨ و١٧٣) والطبري (ج ٦ رقم ٦٦٥٧ صفحة ٢١٩).
وفي الجامع الصغير وزيادته: (ما من قلب إلا وهو معلق بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه والميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة) رواه الامام احمد في المسند وابن ماجة والحاكم عن النواس.
قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٥٧٤٧ في صحيح الجامع.

تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان) [٤٩٦]

ويمضي في طريقه متوكلا على الله، مع تصحيح خطئه، ومحاسبته لنفسه، وبهذا يقوم كيان المجتمع، وتنتظم مصالحه، وصدق الله حيث يقول: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق ٣).

٢١/ الشكر:

فالمؤمن بالقدر يعلم أن ما به من نعمة فمن الله وحده، وأن الله هو الدافع لكل مكروه ونقمه، فينبعث بسبب ذلك إلى الشكر لله، إذ هو المنعم المتفضل الذي قدر له ذلك، وهو المستحق للشكر، وهذا لا يعني ألا يشكر الناس.

قال عكرمة رحمه الله: (ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن، ولكن اجعلوا الفرح شكراً، والحزن صبراً).

٢٢/ الرضا:

فيرضى بالله سبحانه ربا مدبرا مشرعا، فتمتلئ نفسه بالرضا عن ربه سبحانه، فإذا رضي بالله عز وجل أرضاه الله سبحانه وتعالى.

٢٣/الفرح:

فيفرح المؤمن بالقدر بذلك الإيمان الذي حرم منه أمم كثيرة، كما في قوله تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) (يونس ٥٨)، وكما أنه آمن بالقدر فلا سبيل لمشاعر القلق والتوتر لكي تتسرب إلى نفسه وتصبحه هاجسه الملازم، ذلك أنه على يقين بأن الله سوف يختار له ما هو في صالحه، حتى وإن كان يبدو على النقيض تماما مما كان يأمله ويرجوه، واضعا نصب عينيه قوله سبحانه وتعالى: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢١٦).

قال ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية:(في هذه الآية عدة حكم وأسرار ومصالح للعبد، فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب والمحبوب قد يأتي بالمكروه، لم يأمن أن توافيه المضرة من جانب المسرة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة، لعدم علمه بالعواقب، فإن الله يعلم منها مالا يعلمه العبد، وأنفع للعبد من الامتثال لأوامر الله، وإن شق عليه ذلك في الابتداء، لأن عواقبه كلها خيرات ومسرات، وكذلك لا شيء أضر عليه من ارتكاب النهي وإن هوته نفسه ومالت إليه، لأن عواقبه كلها آلام وأحزان وشرور ومصاب). [٤٩٧]

ومن أسرار هذه الآية أنها تقتضي من العبد التفويض إلى من يعلم عواقب الأمور، والرضا بما يختاره له ويقضيه له لما يرجو فيه من حسن العاقبة، إنه لا يقترح على ربه ولا يختار عليه، ولا يسأله ما ليس له به علم، فلعل مضرته وهلاكه فيه، وهو لا يعلم فلا يختار على ربه شيء بل ويسأله حسن الاختيار له وأن يرضيه بما يختاره فلا شيء أنفع له من ذلك.

٢٤/ الاستقامة على منهج سواء في السراء والضراء:

فالعباد فيهم قصور وضعف ونقص لا يستقيمون على منهج سواء إلا من آمن بالقدر، فإن النعمة لا تبطره، والمصيبة لا تقنطه.

٢٥/عدم اليأس من انتصار الحق: فالمؤمن بالقدر يعلم علم اليقين أن العاقبة للمتقين، وأن قدر الله في ذلك نافذ لامحالة، فلا يدب اليأس إلى روعه، ولا يعرف إليه طريقا مهما احلولكت ظلمة الباطل.

٢٦/ علو الهمة وكبر النفس:

فالمؤمن بالقدر تجده عالي الهمة كبير النفس لا يرضى بالدون، ولا بالواقع المر الأليم، ولا يستسلم له محتجاً بالقدر، إذ أن هذا ليس مجال الاحتجاج بالقدر، لأنه من المعائب، والاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب

---

[٤٩٦] رواه الامام احمد في المسند والامام مسلم في صحيحه وابن ماجة وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة. وانظر صحيح الجامع / ٦٦٥٠ والتعليقات الحسان / ٥٦٩١ و٥٦٩٢، والسنة /٣٥٦ ومختصر مسلم /١٨٤٠ للشيخ الالباني.

[٤٩٧] قلت: انظر غير مأمور: الفوائد / محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ -١٩٧٣ م، ص١٣٦ -١٣٧.

دون المعائب، بل إن إيمانه بالقدر يحتم عليه أن يسعى سعياً حثيثاً لتغير هذا الواقع حسب قدرته واستطاعته وذلك وفق الضوابط الشرعية.
٢٧/ الإيمان بالقدر على وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله فيما يقدره من خير أو شر: فيعرف الإنسان بذلك أن وراء تفكيره، وتخيلاته من هو أعظم وأعلم، ولهذا كثيراً ما يقع الشيء فنكرهه وهو خير لنا، فكم من الناس من يتبرم ويضيق صدره لفوات محبوب أو نزول مكروب، وما أن ينكشف الأمر ويستبين سر القدر إلا وتجده جذلاً مسروراً؛ لأن العاقبة كانت حميدة بالنسبة له، وصدق تعالى إذ يقول: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة ٢١٦).
٢٨/ عزة النفس والقناعة والتحرر من رق المخلوقين:
فالمؤمن بالقدر يعلم أن رزقه مكتوب، وأنه لن يموت حتى يستوفي رزقه، ويدرك كذلك ان الله حسبه وكافيه ورازقه، وأن العباد مهما حاولوا إيصال الرزق له، أو منعه عنه فلن يستطيعوا إلا بشيء قد كتبه الله، فينبعث بذلك إلى القناعة وعزة النفس، والإجمال في اطلب، وترك التكالب على الدنيا، والتحرر من رق المخلوقين، وقطع الطمع مما في أيديهم، والتوجه بالقلب إلى رب العالمين، وهذا أساس فلاحه ورأس نجاحه.
٢٩/ سكون القلب وطمأنينة النفس وراحة البال:
فلا يدرك هذه الأمور، ولا يجد حلاوتها ولا يعلم ثمراتها إلا من آمن بالله وقضائه وقدره، كما أنه وسيلة لمواجهة القلق النفسي فالمؤمن الحق إذا أصابته مصيبة مقدرة فعليه ألا يتحسر، بل عليه أن يقول: قدر الله وما شاء فعل، ولا عليه أن يتمنى حدوث عكس ما وقع، لأن ذلك يورث حسرة وحزنا لا يفيد، والتسليم للقدر هو الذي يشيع الأمن والاطمئنان ويقضي على مشاعر القلق والتوتر، وكما قال بعضهم الأمر أمران:
- أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه.
- أمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه.
وأن كل ما يعترض المؤمن من مشاق لا يقابلها بغير الرضا والتسليم، وذلك من منطلق قوله عليه الصلاة والسلام عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ. [٤٩٨]
والمؤمن يعلم إن ابتلاء الله له إنما هو دليل على حبه له، وامتحانه لإيمانه وصبره، فمن رضي بهذا الامتحان وصبر فله الرضا من الله، ومن سخط من هذا الابتلاء وجزع واستسلم للقلق واليأس فله السخط من الله، ومصداق ذلك من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط). [٤٩٩]

---

[٤٩٨] قلت: رواه الامام مسلم في صحيحه/٢٦٦٤واللفظ له ورواه الامام احمد في المسند وابن حبان في صحيحه وابن ماجة.
[٤٩٩] أخرجه الترمذي – أبواب الزهد -باب ما جاء في الصبر على البلاء(ح٢٣٩٦).
قلت الحديث رواه الترمذي وابن ماجة عن أنس، وحسنه الشيخ الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة/١٤٦والحديث رواه الامام احمد في المسند عن محمود بن لبيد، وصححه الشيخ الالباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير (إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع)
وقال الشيخ الالباني في الصحيحة ٢٧٦/١: (وهو أن البلاء إنما يكون خيرا، وأن صاحبه يكون محبوبا عند الله تعالى، إذا صبر على بلاء الله تعالى، ورضي بقضاء الله عز وجل. ويشهد لذلك الحديث الآتي: (عجبت لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، إن أصابه ما يحب حمد الله وكان له خير، وإن أصابه ما يكره فصبر كان له خير، وليس كل أحد أمره كله خير إلا المؤمن).)
والحديث اخرجه الدارمي واحمد وقال الشيخ الالباني في الصحيحة /١٤٧: (وهذا سند صحيح على شرط مسلم، وقد أخرج في صحيحه (٨ / ٢٢٧) من طريق سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت به المرفوع فقط نحوه. وهو رواية لأحمد (٤ / ٣٣٢، ٣٣٣، ٦ / ١٥)) إهـ
قلت: وفي السلسلة الصحيحة للشيخ الالباني،
الأحاديث:

ولقد أدهش جانب الرضا بالقضاء والقدر من حيث أثره البالغ في نفس المسلم واستقباله لصعوبات الحياة بعزيمة قوية وإرادة لا تجزع، أدهش هذا الركن من أركان الإيمان الكثير من غير المسلمين، وقد كتبوا في هذا الشأن معبرين عن دهشتهم ومن هؤلاء (ر.ن. س بودلي) الذي قال عن تجربته: (لقد تعلمت من عرب الصحراء التغلب على القلق فهم-بوصفهم- يؤمنون بالقضاء والقدر وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان وأخذ الحياة مأخذا سهلا هينا، فهم لا يلقون أنفسهم بين براثن الهم والقلق على أمر، إنهم يؤمنون بأن ما قدر يكون، وأنه لا يصيب الفرد منهم إلا ما كتب الله له، وليس معنى ذلك أنهم يتواكلون أو يقفون في وجه الكارثة، مكتوفي الأيدي.......)، وبعد أن استعرض (بودلي) تجربته مع عرب الصحراء علق بقوله: (وخلاصة القول إنني بعد انقضاء سبعة عشر عاما على مغادرتي الصحراء، ما زلت اتخذ موقف العرب حيال قضاء الله، فأقابل الحوادث التي لا حيلة لي فيها بالهدوء، والامتثال، والسكينة، ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير).

وما أحسن ما قاله الحربي رحمه الله: (من لم يؤمن بالقدر لم يتهن بعيشه).

وهذا صحيح فما تعاظمت المصائب في القلوب، وضاقت بها الأنفس وحرجت بها الصدور إلا من ضعف الإيمان.

٣٠/ القدر من أكبر الدواعي التي تدعو إلى العمل والنشاط والسعي بما يرضي الله في هذه الحياة، والإيمان بالقدر من أقوى الحوافز للمؤمن لكي يعمل ويقدم على عظائم الأمور بثبات وعزم ويقين.

٣١/ومن ثمراته أن الداعي إلى الله يصدع بدعوته، ويجهر بها أمام الكافرين والظالمين، لا يخاف في الله لومة لائم، يبين للناس حقيقة الإيمان ويوضح لهم مقتضياته، وواجباتهم تجاه ربهم كما يبين لهم حقائق الكفر الشرك والنفاق ويحذرهم منها، ويكشف الباطل وزيفه، ودعاته وحماته، ويقول كلمة الحق أمام الظالمين، ويفضح ما هم فيه من كفر وظلم، وما يقومن به من إفساد وتضليل، يفعل المؤمن كل ذلك وهو راسخ الإيمان واثق بالله، متوكل عليه، صابر على كل ما يحصل له في سبيله.

٣٢/ تحويل المحن إلى منح، والمصائب إلى أجر؛ كما قال تعالى: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) (التغابن ١١).

ومعنى الآية الكريمة: من أصابته مصيبة، فعلم أنها من قدر الله، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله؛ هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدًى في قلبه ويقينا صادقا، وقد يخلف الله عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه، وهذا في نزول المصائب التي هي من قضاء الله وقدره، لا دخل للعبد في إيجادها إلا من ناحية أنه تسبب في

=

١٤٣ -" أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب (وفي رواية: قدر) دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة ". رواه الترمذي (٢ / ٦٤) وابن ماجه (٤٠٢٣) والدارمي (٢ /٣٢٠) والطحاوي (٣ / ٦١) وابن حبان (٦٩٩) والحاكم (١ / ٤٠، ٤١) وأحمد (١ / ١٧٢، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥) والضياء في " المختارة " (١ / ٣٤٩).

١٤٤ -" أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلي بالفقر، حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة التي يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء ". أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤) وابن سعد (٢ / ٢٠٨) والحاكم (٤ / ٣٠٧)

١٤٥ -" إن من أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ". رواه أحمد (٦ / ٣٦٩) والمحاملي في " الأمالي " (٣ / ٤٤ / ٢)

١٤٨ -" عجبا للمؤمن لا يقضي الله له شيئا إلا كان خيرا له ". رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه (٥ / ٢٤) وأبو الفضل التميمي في " نسخة أبي مسهر... " (٦١ / ١) وأبو يعلى (٢٠٠ / ٢).

نزولها به، حيث قصر في حق الله عليه بفعل أمره وترك نهيه؛ فعليه أن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويصحح خطأه الذي أصيب بسببه.

وبعض الناس يخطئون خطأ فاحشا عندما يحتجون بالقضاء والقدر على فعلهم للمعاصي وتركهم للواجبات، ويقولون: هذا مقدر علينا! ولا يتوبون من ذنوبهم؛ كما قال المشركون: (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ) (الانعام ١٤٨). وهذا فهم سيئ للقضاء والقدر؛ لأنه لا يحتج بهما على فعل المعاصي والمصائب، وإنما يحتج بهما على نزول المصائب؛ فالاحتجاج بهما على فعل المعاصي قبيح؛ لأنه ترك للتوبة وترك للعمل الصالح المأمور بهما، والاحتجاج بهما على المصائب حسن؛ لأنه يحمل على الصبر والاحتساب.

الخاتمة

أحمد الله في الختام كما حمدته في البدء، فهو أهل للحمد في كلّ موطن، الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات وأحمده على توفيقه، وأثني عليه الخير كله، لا أحصي ثناء عليه، هو كما أثنى على نفسه.
والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين.
وبعد:
فقد انتهيت من دراسة موضوع (توحيد الربوبية والايمان بالقضاء والقدر) إلى النتائج التالية:

أولا: توحيد الربوبية

١/ علم التوحيد أشرفُ العلوم، وأجلُّها قدرًا، وأوجبُها مطلبًا؛ لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى، وأساس شرائعه.
٢/ من الأسماء المعتبرة لعلم التوحيد عند أهل السنة والجماعة: العقيدة، والإيمان، والسنة، وأصول الدين، والشريعة، والفقه الأكبر.
٣/ من خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة التوقيف.
٤/ التوحيدهو: إفراد الله تعالى بالربوبية وماله من الأسماء والصفات، والإخلاص له في الألوهية والعبادة.
٥/ التوحيد ثلاثة اقسام:

١-توحيد الربوبية.
٢-توحيد الألوهية.
٣-توحيد الأسماء والصفات.

٦/ الناس يتفاضلون في التوحيد، تفاضلا عظيما، ويكونون فيه على درجات بعضها أعلى من بعض.
٧/ إن كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.
٨/ نواقض التوحيد هي الأمور التي إذا وجدت عند العبد خرج من دين الله بالكلية، أما منقصات التوحيد فهي الأمور التي تنافي كمال التوحيد ولا تنقضه بالكلية.
٩/ توحيد الربوبية هو إفراد الله تبارك وتعالى بالربوبية وهي الخلق والتدبير الكوني والشرعي.
١٠/ الإيمان بالقضاء والقدر يدخل في توحيد الربوبية؛ لأنه من أفعال الله جل وعلا، فمن جحد القضاء والقدر لم يكن مؤمناً بتوحيد الربوبية.
١١/ ارتباط العلم الإلهي في القرآن إما بالخلق والقدرة والتقدير وإما بالحكمة والتدبير.

ثانيا: الايمان بالقضاء والقدر [500]

١/ الإيمان بالقدر من أهم مباحث العقيدة، فهو ركن من أركان الإيمان، والإيمان به تمام التوحيد.
٢/ الإيمان بالقدر أمر فطري، والمرجع فيه الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح من أهل السنة والجماعة.
٣/ إن المقصود بالقضاء والقدر: هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه وتعالى بأنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك، ومشيئته له، ثم وقوع هذه الأشياء على مقتضى إرادته ومشيئته وخلقه لها سبحانه وتعالى، كما قال تبارك وتعالى في كتابه العزيز: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (الرعد ١٦). والقضاء سابق، وهو علم وكتابة ومشيئة، والقدر لاحق، وهو علم وكتابة ومشيئة وخلق.
٤/ الايمان بالقضاء والقدر يشمل:

١ -الإيمان بعلم الله الأزلي التام بأن الله سبحانه وتعالى علم في الأزل ما الخلق فاعلون.
٢ -الإيمان بأن الله تبارك وتعالى كتب في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة - وهو اللوح المحفوظ - ما هو كائن إلى يوم القيامة.
٣ -الإيمان بأن الله تعالى له المشيئة النافذة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.
٤ -الإيمان أنه لابد أن تقع هذه الأشياء على وفق ما علمها وكتبها وأرادها، والإيمان بأن الله تعالى خالقها، أي: أن الله تبارك وتعالى خالق كل شيء.

٥/ الله سبحانه وتعالى أحاط بكل شيء علماً سواء مما يتعلق بأفعاله عز وجل أو بأفعال عباده فهو مُحيط بها جملة وتفصيلاً بعلمه الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، ولا يلزم من علم الله الأزلي أن العبد مجبر.
٦/ الإيمان بالقدر على الوجه الصحيح يثمر ثمرات جليلة على الأفراد والمجتمعات في الدنيا والآخرة.
٧/ التقدير الالهية خمسة أقسام وهي:

١-التقدير العام لجميع الكائنات.
٢ -التقدير البشري: وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأنه أشهدهم على أنفسهم بذلك، والذي قدَّر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة.
٣ -التقدير العمري: وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله، وكتابةُ شقاوته، أو سعادته، في بطن أمه في أطوار الحمل الاولى.
٤ -التقدير السنوي: وهو تقدير ما يجري كل سنة، وذلك ليلة القدر من كل سنة، كما قال تعالى: (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) (الدخان ٤)
٥ -التقدير اليومي: وهو تقدير ما يجري كل يوم، كما قال تعالى: (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) (الرحمن ٢٩).

٨/ أفعال العباد داخلة في عموم خلقه عز وجل ولا يخرجها عن ذلك العموم شيء. فكل ما سوى الله فهو مخلوق له وكما أن ذوات المخلوقات مخلوقة، فكذلك أن صفاتها من أقوالها وأعمالها مخلوقة.
٩/ الواجب على العبد في باب القدر أن يؤمن بقضاء الله وقدره، ويؤمن بشرع الله وأمره ونهيه، فعليه تصديق الخبر وطاعة الأمر، فإذا أحسن حمد الله تعالى، وإذا أساء استغفر الله تعالى، وعلم أن ذلك بقدر الله، فهذا هو الواجب على العبد، ولا يلزم كل أحدٍ أن يعرف مباحث القدر على وجه التفصيل، كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة؛ فهم لا يوجبون على العاجز ما يوجبون على القادر.
١٠/ الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وأن يكون له قدرة عليها، بل له مشيئة وقدرة، وهما تابعتان لمشيئة الله وقدرته، واقعتان بها.
١١/ فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، بل إن ذلك من تمام الإيمان به.
١٢/ كل قضاء للمؤمن هو خيرٌ له وإن كان ظاهره الشر.

---

[500] قلت: بعض ما ورد من النتائج نقلت بنصها أو بتصرف تيسيرا لصياغة النص، وذلك من: شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر / أبو فيصل البدراني. نسخة الكترونية من المكتبة الشاملة – الاصدار – ٣,٤٨. فاقتضى التنبيه.

١٣/ الاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب لا المعائب.
١٤/ ليس كل ما يريد الله كوناً يرضاه ويحبه شرعاً وديانة، فالإرادة الربانية تنقسم إلى قسمين:
أ -كونية قدرية: وهي مرادفة للمشيئة ولا يخرج عن مرادها شيءٌ أبداً ولابد أن تقع.
ب -شرعية دينية: وتتضمن محبة الرب ورضاه، ولا يلزم وقوعها، فقد تقع وقد لا تقع.
١٥ / الشر لا ينسب إلى الله عز وجل فهو منزه عن الشر، ولا يفعل إلا الخير، والقدر من حيث نسبتُه إلى الله لا شر فيه بوجه من الوجوه؛ فإنه علم الله، وكتابته، ومشيئته، وخلقه، وذلك خيرٌ محضٌ، فكل أفعاله خير وحكمة، ولكن الشر في مفعولاته ومقدوراته؛ فالشر هنا باعتبار المقدور والمفعول، أما باعتبار الفعل؛ فلا.
والحاصل أننا نقول:
أولًا: الشر الذي وصف به القدر هو شر بالنسبة لمقدور الله، أما تقدير الله، فكله خير والدليل قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (والشر ليس إليك).
ثانيًا: أن الشر الذي في المقدور ليس شرًّا محضًا بل هذا الشر قد ينتج عنه أمور هي خير، فتكون الشَّرِّيَّة بالنسبة إليه أمرًا إضافيًّا.
ومخلوقات الله باعتبار الخير والشر تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:
١ -شر محض كالنار وإبليس باعتبار ذاتيهما، أما باعتبار الحكمة التي خلقهما الله من أجلها، فهي خير.
٢ -خير محض، كالجنة والرسل والملائكة.
٣-فيه شر وخير، كالإنس والجن والحيوان.
١٦/ قد يريد الله أمراً، ويشاءه، وفي الوقت نفسه لا يحبه؛ لأن المراد نوعان:
١-مراد لنفسه إرادة الغايات مثل خلق جبريل عليه السلام.
٢-مراد لغيره: فهو وسيلة إلى غيره مثل خلق إبليس، فهو مكروه لله من حيث نفسه وذاته، مراد له عز وجل من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده، فهو سبب لحصول محابَّ كثيرة، فيجتمع الأمران بُغْضُه له، وإرادتُه له، ولا يتنافيان.
١٧/ لله عز وجل الحكمة البالغة في كل فعل من أفعاله، وقد تظهر لنا الحكمةُ، وقد تخفى، ولا يلزم أن ندرك حكمته عز وجل في كل شيء، أو أن يدرك ذلك كل أحد.
١٨/ وجوب الرضا بقضاء الله عز وجل، فقضاء الله تعالى كله خير وعدل وحكمة، يجب الرضا به كله، والرضا هو التسليم، وسكون القلب وطمأنينته، والمقضي لا يجب الرضا به كله، فالمقضيّ والمقدور أثر القضاء والقدر، فالواجب هو الرّضا بالقضاء فقط، أما المقضيّ فقد يكون الرّضا به واجباً كالإيمان بالله تعالى والواجبات إذا قدرها الله تعالى للإنسان، وقد يكون مندوباً في المندوبات وحراماً في المحرمات، ومباحاً في المباحات، وأما الرّضا بالقضاء فواجب على الإطلاق.
١٩/ الانسان مفتقر الى اختيار الله تعالى وتقديره.
٢٠/ البرمجة العصبية تتعارض مع القضاء والقدر.
٢١/ التعلق بالأسباب وحدها من دون التعلق بخالقها الله تبارك وتعالى من الامور التي لا تجوز شرعاً.
والأسباب مهما بلغت في قوة التأثير فإنها تابعة للقضاء والقدر ليست مستقلة في التأثير.
٢٢/ القدر قدران:
١ -القدر المثبت أو المبرم؛ وهو ما في أم الكتاب، فهذا لا يتغير ولا يتبدل.
٢ -القدر المعلق أو المقيد بسبب وهو ما في كتب الملائكة فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات.
٢٣/ الإنسان مخير باعتبار ومسير باعتبار؛ فهو مخيَّر باعتبار أن له قدرة ومشيئة واختياراً، ومسيَّر باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر راجع إليه، ولكونه لا يخرج عما قدره الله له. وأفعال العبد قسمان أفعال هو مُجبر عليها مُسيَر عليها كحركة القلب والهرم ونحوها، وأفعال هو مُخيَر فيها وهي مناط التكليف. وأن ما وقع باختيار العبد هو مناط التكليف، وفعل العبد الاختياري وغير الاختياري هما من جُملة القضاء والقدر.

وخلاصة المسألة: إن للإنسان مشيئةً يختار بها، وقدرةً يفعل بها، وقدرته ومشيئته تابعتان لمشيئة الله، واقعتان بها.
٢٤/ للعبد قدرة واختيار ومشيئة لا يجبره على فعله الاختياري أحد حتى خالقه بل يفعل ما يفعله بمحض إرادته وحسب مشيئته، لكن فعله هذا وإرادته هذه داخله في خلق الله تعالى له كما أنها مسبوقة بعلم الله الأزلي فلا يعمل عملاً إلا وقد سبق تقديره وإرادته في علم الله الأزلي وكتبه عنده في كتابه الذي جرى بما كان ويكون إلى قيام الساعة وعلم الله كاشف لا مُكره ولا تأثير لما سبق في علم الله وكتابته وتقديره على محض اختيار العبد وإرادته فكتابة الله المقادير في اللوح المحفوظ هي كتابة علم وليست كتابة إجبار والله عز وجل يعلم ما كان، ويعلم ما يكون، ويعلم ما سيكون، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون فعلمه مطلق وقد أحاط بكل شيءٍ علماً ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وكتابة أفعال العباد الاختيارية في اللوح المحفوظ فرع عن علمه عن الخلق وما سيعملون وعلى هذا فالمكتوب من أعمال العباد الاختيارية واقع لا محالة، لا، لأن المكتوب جبر للعبد بل لأن المكتوب فرع عن علم الله المُطلق المُحيط بخلقه.
٢٥/ لا يُحتج بالقدر على الشرع.
٢٦/ محل جواز الاحتجاج بالقدر:
الاحتجاج بالقدر على وجه الإيمان به والتوحيد والتوكل على الله والنظر إلى سبق قضائه وقدره فهو محمود مأمورٌ به وكذلك الاحتجاج به على نعم الله الدينية والدنيوية، وكذلك إذا فعل ما يقدر عليه من الأسباب النافعة في دينه ودنياه ثم لم يحصل له مُراده بعد اجتهاده فإنه إذا اطمأن في هذه الحال إلى قضاء الله وقدره كان محموداً وكذلك إذا احتج بعد التوبة من الذنب ومغفرة الله وأيضاً يجوز الاحتجاج بالقدر والعذر به في أخطاء الخلق في حق العبد الخاص.
٢٧/ حكم الاحتجاج بالقدر على الذنوب وظلم العباد فيما بينهم:
إن اعتذار المذنبين والظالمين واحتجاجهم بالقدر يُنافي التوبة إلى الله من الذنوب والمعاصي، ويعتبر خللاً في العقيدة، وينقل العبد من دائرة الإسلام إلى دائرة الشرك والكفر.
٢٨/ إنكار القدر لم يكن معروفاً عند العرب لا في جاهليتها ولا في إسلامها، وإنما أتاهم ذلك من الأمم الأخرى.
٢٩/ أهل الضلال الخائضون في القدر انقسموا إلى ثلاث فرق: مجوسية، ومشركية، وإبليسية.
٣٠/ حكم الخوض في القدر: إن البحث في القضاء القدر من أجلِ تعلم ما يجب على المسلم اعتقاده ويصحح به إيمانه واجب، ومعلوم أنه لا يتحقق هذا الإيمان الواجب إلا بعد العلم به.
وأما الخوض في القضاء والقدر بالظن وعدم العلم ومحاولة علم ما لا تهتدي العقول إلى معرفته فإنه لا يجوز.

فهذه خلاصة ما تضمنه البحث، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

وفي الختام أحمد الله عز وجل على ما يسر وأعان، وأسأله أن ينفع به، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنه على ذلك قدير، وأن يغفر لي ما كان فيه من زلل انه هو الغفور الرحيم سبحانه وتعالى.
وبعد حمد الله تعالى أتوجه بالدعاء للسادة العلماء العاملين لجهودهم في نشر الاسلام على منهج سلفنا الصالح من أهل السنة والجماعة، وأسأله تعالى أن يوفقهم لخير ما يحب ويرضى وأن يتقبل أعمالهم وأن يجزيهم جنة الفردوس مع الانبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.
والشكر موصول لمن راجع هذه البحث المتواضع وأمدني بملحوظاته وتوجيهاته الطيبة.
ومن خير ما أختم به كتابي هذا كفارة المجلس:
(سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك).[٥٠١]
(اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).[٥٠٢]

وكتب ذلكم
اكرم غانم اسماعيل تكاي
٢٧ جمادى الاولى ١٤٣٧هـ
٧ آذار ٢٠١٦م

[٥٠١] قال الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة / ٨١ – (من قال: سبحان الله وبحمده سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فقالها في مجلس ذكر كانت كالطابع يطبع عليه، ومن قالها في مجلس لغو كانت كفارة له).
أخرجه الطبراني (١ / ٧٩ / ٢) والحاكم (١ / ٥٣٧) من طريق نافع بن جبير ابن مطعم عن أبيه مرفوعا. وقال: (صحيح على شرط مسلم). ووافقه الذهبي وهو كما قالا.
[٥٠٢] صحيح الترغيب والترهيب للشيخ الالباني:
١٦٧٥ -(٢٠) [صحيح لغيره] وعن عليّ رضي الله عنه قال:
(كلُّ دعاءٍ محجوبٌ حتى يُصَلِّي على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [وآل محمد]). رواه الطبراني في الأوسط موقوفاً، ورواته ثقات، ورفعه بعضهم، والموقوف أصح.
١٦٧٦ -(٢١) [صحيح لغيره] ورواه الترمذي عن أبي قُرَّة الأسدي عن سعيد بن المسيّب عن عمر بن الخطاب موقوفاً قال: (إنَّ الدعاءَ موقوف بين السماء والأرض، لا يصعدُ منه شيءٌ حتى تُصلِّي على نبيِّك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

الفهرس

تم بحمد
الله الواحد الأحد الصمد
سبحانه وتعالى

الحمد لله عز وجل

تمت المراجعة والتصحيح

٦ شعبان ١٤٣٧هـ

١٣ أيار ٢٠١٦م

فاقتضى التنبيه